

صفات الله المنفية

في

الكتاب والسنة النبوية

تقديم
فضيلة الشيخ العلامة محدث العصر
شعيب الأرنؤوط
حفظه الله

تأليف
ماهر بن عبد الحميد بن مقدم

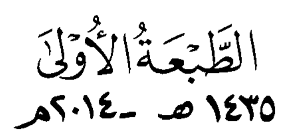





رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com





الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م

جَميعُ الحُقُوقِ محفُوظَةٌ للمُؤلِّف

ولمن أراد طبعه أخذ إذن خطي من المؤلف

للتواصل
٩٩٤٨٨٦٠٨ (٩٦٥)
alabdolhady@hotmail.com



مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الكويت ـ حولي ـ شارع المثنى ـ مجمع البدري

ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦، ف: ٢٢٦١٢٠٠٤، الخط الساخن: ٩٤٤٠٥٥٥٩

فرع حولي: شارع المثنى: ٢٢٦١٥٠٤٦، فرع المباركية: ٢٢٤٦٠٥٢٨

ص.ب: ١٠٧٥، حولي، الرمز البريدي: ٣٢٠١١ الكويت

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



صفات الله المنفية

في

الكتاب والسنة النبوية

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة محدث العصر

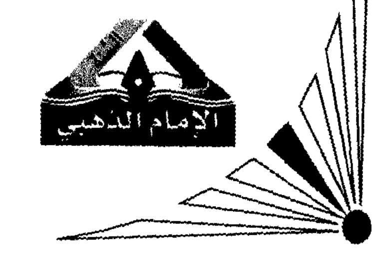
شعيب الأرنؤوط

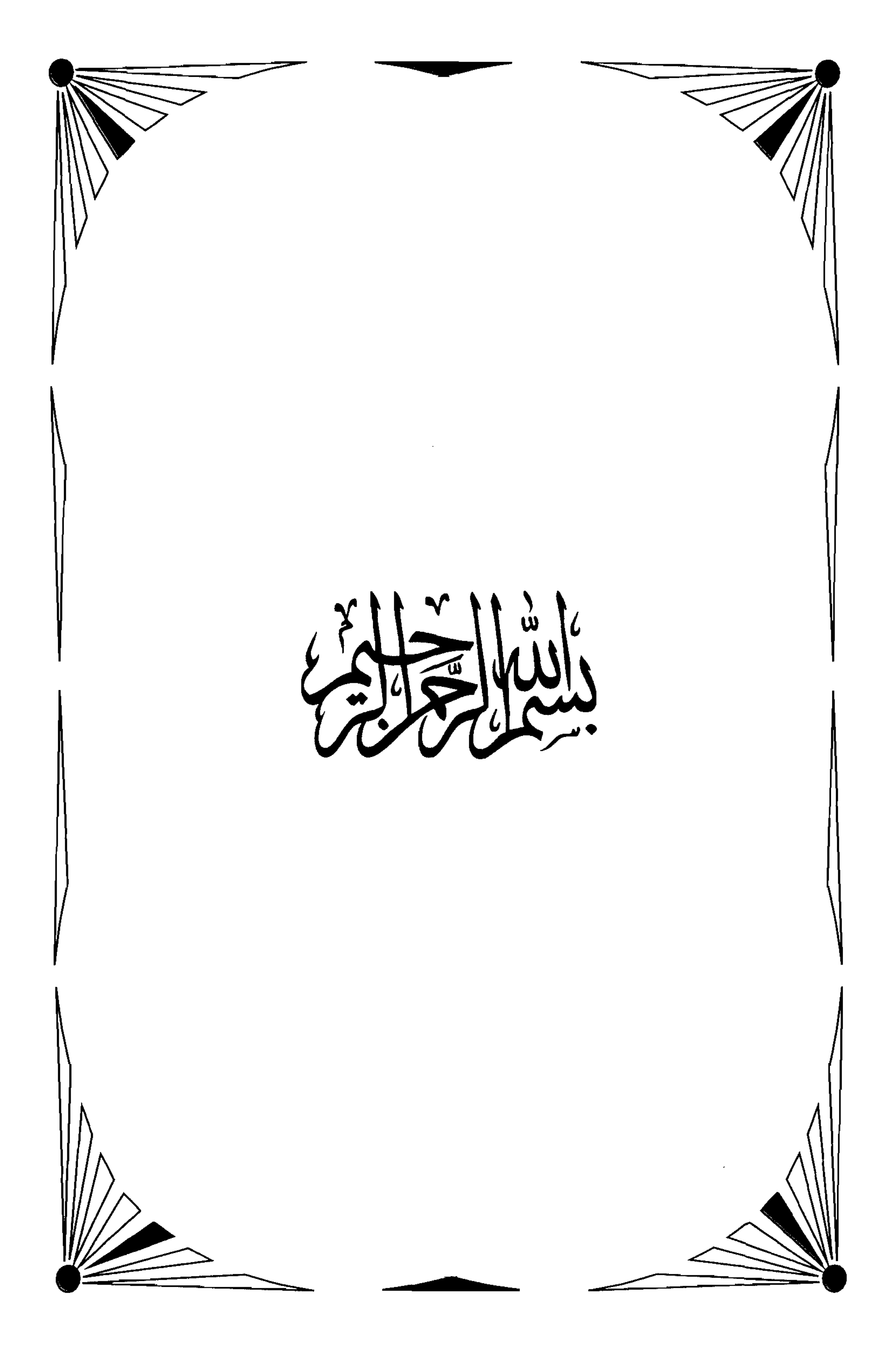
حفظه الله

تأليف

ماهر بن عبد الحميد بن مقدم






بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم
فضيلة الشيخ العلاَّمة محدِّث العصر
شعيب الأرنؤوط

حفظه الله وأدام في عمره وعلمه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فإن مسألة الصفات تُعدُّ من أجلّ وأعظم ما تُكلم فيه من أصول الاعتقاد، وأحسن من سلك هذه الطريقة المرضيَّة على نور من كتاب الله وسُنّة رسول الله ﷺ هم سلفنا الصالح رحمهم الله، الذين أثبتوا ما أثبته الله لنفسه أو رسوله ﷺ، ونَفوا عنه ما نفاه عن نفسه أو رسوله ﷺ، لأنه بداهة لا أحد أعلم بالله من الله، ولا أحد أعلم بالله بعد الله من رسول الله ﷺ، وهذه هي حقيقة التوحيد.

ومن المعلوم أيضاً عند علمائنا الأثبات: أن صفات الله سبحانه، تنقسم إلى قسمين:

١ - **الصفات الثُّبوتية**: وكلُّها صفات كمال وإجلال، وتَرِدُ في الغالب على التفصيل والبيان.

٢ - **والصفات المنفية**: وهي صفات السَّلب، وتأتي غالباً بوصف الإجمال.

وقد جاء أسلوب القرآن الكريم بهذا التَّفنين في عرض هذا الأصل العقدي، لأنه من كمال تعظيم وإجلال الله وتنزيهه سبحانه، وهذه قاعدة مشهورة.

وقد أطلعني صاحبنا الفاضل الأثير الشيخ الدكتور محمد بن يوسف

الجوراني، على كتاب «الأنوار البهية في بيان صفات الله المنفية»[1] لمؤلِّفه الشيخ ماهر مقدم وفقه الله، وقد رغب أن أنظر فيه، فقد استعرضت مقدّمته، وبعض مباحثه، وفوائده اللطيفة والماتعة، فوجدته قد تناول فيه ما تعلَّق بالصفات المنفية في حقِّ الله تعالى، وفق ما جاء في كتاب الله تعالى، وسنة نبينا محمد ﷺ، على هدي السلف الصالح رضوان الله عليهم، ورأيتُ أنَّ الشيخ قد نحا فيه المنهج العلمي في ذلك، وتناول بيان الصفة، ومدلولها اللغوي والشرعي ودلالة ذلك، وقد اجتهد في جمع مادته العلمية مما تناثر وتفرَّق في كُتب أهل العلم الكبار من سلفنا الصالح إلى يومنا هذا، واستفاد مما كُتب في هذا الباب على الخصوص، فنظمها في سلك واحد، ووثَّقها برباط جامع مانع متين، فجمع ما تفرَّق، وأحكم سَبكه، وتفنن في طرق مباحثه، وجدَّة موضوعاته، فجاء كتابه، كتاباً ماتعاً نافعاً مفيداً لطالب العلم، ولا سيما أنَّ كتابه يكاد يكون من أوائل ما أُلِّف في هذا الباب النافع.

وأوصي طلبة العلم بالعناية بهذا الجانب، والاستزادة من دراسة هذه الكتب النَّافعة التي تعرض علم التوحيد والعقائد ومسائله بأسلوب سهل نافع، وفهم جيد، واستنباط حسن.

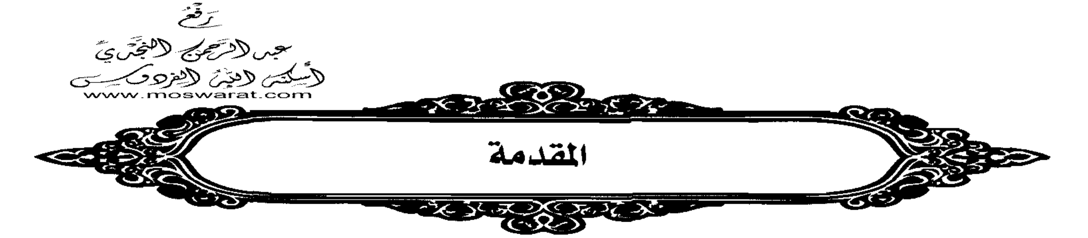
فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزي مؤلِّفه خيراً، وأن يبارك في علمه وعمله، وأن يكون فيما كتب إفادة لطلبة العلم، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن يُوفِّقه في هذا المسلك النافع للإسلام والمسلمين، وأن يرزقنا وإياه الإخلاص في القول والعمل.

أملاه: شعيب الأرنؤوط

الرابع من أيام عيد الأضحى المبارك العام ١٤٣٣هـ

---

(١) قبل تغيير العنوان إلى عنوان الجديد: (صفات الله المنفية في الكتاب والسنة النبوية).



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب).

«**أما بعد:**

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدثاتها، وكل بدعة ضلالة[1] وكل ضلالة في النار».[2]

---

(١) مسلم (٨٦٧) (٨٦٨)، وانظر مقدمة السلسلة الصحيحة: (٣/١).

(٢) هذه الزيادة أخرجها البيهقي في السنن الكبرى (٣/٢١٤) والنسائي (٣/١٨٩) وصححها الألباني في صحيح النسائي، وانظر تخريج المشكاة (١/٥١)، وصحيح النسائي (١/٣٤٦).

ثم أما بعد:

اعلم رحمني الله تعالى وإيّاك إن أعظم النعم التي أسبغها علينا رب العالمين، وأسماها، وأعلاها، ومنتهاها أن هدانا إلى دينه العظيم «الإسلام» المحروم منه أكثر العالمين، رزقنا إيَّاه بمحض فضله، وجوده، وإحسانه، من غير سؤال، ولا وسيلة، وأنعم علينا بلا سبب ولا حيلة.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ (الأعراف: ٤٣).

«اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزل سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا»[1]

فتذكَّر يا رعاك الله وذكِّر هذه النعمة الجزيلة، والعطية الرفيعة: نفسك، وأهلك، وأحبابك، في حركاتك وسكناتك، مع شكرك لربك في ليلك ونهارك، في ظاهرك وباطنك، في سفرك وحضرك، فإن في الشكر تدوم النعم، وبه تزول المحن، وإن أتم النعم، وأكملها، وسنامها، التوفيق والعزم إلى الاستمساك بهدي رسول الله الأمين محمد بن عبدالله ﷺ، والاقتفاء بسنن الخلفاء المهديين من بعده، فإن كتاب الله

---

(١) البخاري (٣٠٣٤) (٤١٠٦)، ومسلم (١٨٠٣)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم الخندق وهو ينقل التراب حتى وارى التراب صدره وهو يقول...».



العظيم، وهدي رسوله الرحمة المهداة للعالمين، هما الهدي القويم، والصراط المستقيم، ونور الله تعالى في الأرض المبين، ففيهما السعادة، والفلاح، والنجاح والفوز العظيم، في الدنيا، ويوم الدين، قال ترجمان القرآن الكريم ابن عباس رضي الله عنهما:

«ضمن الله تعالى لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا قول رب العالمين: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)﴾ (طه)».[1]

تضمن الكتاب والسنة على أشرف العلوم

لما كان هذان المصدران الوحيان (الكتاب، السنة) فيهما علوم شتى، ومعارف متنوعة كثيرة، من النور والهدى، أرشد الشارع الحكيم إلى أعظم، وأجل، وأهم، وأشرف العلوم كلها على الإطلاق «علم التوحيد»، بل دلَّ، وأبان، إلى أعظم أركانه وهو «توحيد الأسماء والصفات».

إذ هو أعظم ما اشتمل عليه الكتاب، وسنة خير العباد، والمتأمل يجد جلياً في ناظريه أنه لا تخلو آية من آيات الكتاب إلاَّ مختتمة أو مبتدأة باسم أو اسمين من أسمائه الحسان، أو بصفة، أو صفتين، من صفاته الكمال، الجلال، لشرف هذا العلم، وجلالة قدره وشأنه.

---

(١) التفسير الصحيح أ. د حكمت بن بشير ياسين (٣/٣٧٢).



أعظم الأقسام التي اشتملت عليها الكتب السماوية

إن زبدة الرسالات السماوية التي أرسلها الله تعالى عن طريق الرسل خير البرية إلى البرية تعريفهم بربهم بما له من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، يقول ابن القيم رحمه الله: «اقتضت رحمة العزيز الرحيم أن يبعث الرسل به معرفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين، وجعل مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم: معرفة المعبود سبحانه بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تنبني مطالب الرسالة جميعها..».[1]

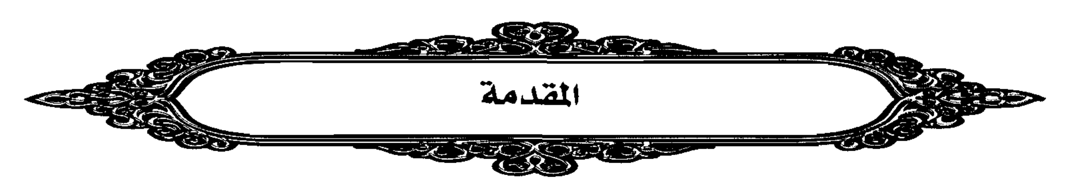
فإن أول الواجبات، وأولاها، وأوسطها، وآخرها، هو معرفة «الله» تبارك وتعالى: «ومعلوم أن حاجتهم إلى معرفة ربهم وفاطرهم ومعبودهم جل جلاله: فوق مراتب هذه الحاجات كلها، فإنه لا سعادة لهم، ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم، إلا بأن يعرفوه، ويعبدوه، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، ونهاية مرادهم»[2]، ولا تكون هذه المعرفة الجليلة إلا بمعرفة أسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الهدى، وانتفاء أضدادها من كل وجه.

أركان عبودية المكلفين

إن العبد المتأمل يجد في نصوص الوحيين أن عبودية المكلفين تقوم على ركنين عظيمين، وأساسين جليلين:

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١/١٥٠).

(٢) المصدر السابق (١/٣٦٦).



الأول: الإيمان بالله تعالى.

الثاني: القيام بعبوديته، وهي مقتضى وموجب الأول، أي: الإيمان بالله عز وجل.

وقد جمع الله سبحانه وتعالى بينهما، فبدأ بالأصل والأهم بقوله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ (محمد) فقدم العلم على العمل، لأنه أساسه، وقاعدته، ومنبعه في عبوديته سبحانه، ولذا فإن العلم والعمل كلٌّ واحد منهما يتضمن ويستلزم الآخر، لا ينفكان عن بعضهما، فلا يكون علم بلا عمل، ولا عمل بلا علم، فمن كان خلاف ذلك، فهو الضال المبتدع، المجانب للهدى والحق.

يقول العلامة ابن السعدي رحمه الله: «العلم لابد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه، وهذا العلم الذي أمر الله تعالى به - وهو العلم بتوحيد الله - فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائناً من كان، بل كل مضطر إلى ذلك، والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله هو أمور: أحدها، بل أعظمها: تدبر أسمائه، وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله، وعظمته، وجلاله...».[1]

---

(١) تفسير السعدي (٧٨٧).



أنواع التوحيد الذي دعت به الرسل

إن مدار ما بعث الله تبارك وتعالى به رسله، وأنزل به كتبه على خلقه هو التوحيد، وتوحيد الله تعالى كما قسمه أهل الحق، أهل السنة والجماعة، بالاستقراء في نصوص الكتاب والسنة: إلى قسمين:

الأول: التوحيد العلمي الاعتقادي.

الثاني: التوحيد العملي.

ويعبر كذلك عن تعبيرات أُخر صحيحة:

الأول: توحيد في الإثبات والمعرفة.

الثاني: توحيد في الطلب والقصد.

وقُسِّم كذلك التوحيد عند أهل السنة إلى ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد الربوبية.

الثاني: توحيد الأسماء والصفات.

الثالث: توحيد الألوهية والعبادة.

وكل هذه التعبيرات صحيحة، لا تنافي هذه المسميات، فمن قسم التوحيد إلى نوعين: أدخل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، في توحيد الإثبات والمعرفة، والثاني: توحيد العمل، أو الطلب والقصد، وغيره من المسميات.

فالتوحيد الأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الرشد الهدى، وتنزيهه عن النقائص



والمعايب، وأنه ليس كمثله شيء في ذلك كله وحده سبحانه، فهو يتضمن بذلك الإيمان بالربوبية، وإثبات ما أثبته من النعوت والصفات الفعلية، ونزاهته عن الشبيه والمثلية.

والثاني: إفراد الله جل جلاله بالعبودية الكاملة، الظاهرية والباطنية كلها، لا شريك له من أحد من الخليقة[1] بتجريد محبته، والإخلاص له، وخوفه، ورجائه، والتوكل عليه، والرضى به رباً، وإلهاً، وولياً.

وهذان الأصلان: هما قطبا رحى القرآن، وعليهما مداره، وما بينهما من أهم الأمور.

وأقرب الخلق إلى الله تعالى أقومهم بهما علماً، وعملاً.

وقد جمع الله تعالى هذين النوعين من التوحيد في سورتي (الإخلاص) و(الكافرون).

فسورة الإخلاص للتوحيد العلمي الخبري، والكافرون المتضمن للتوحيد العملي الإرادي.[2]

إتمام الدين بالنبي الأمين ﷺ

إن الله عز وجل من كمال رحمته، ورأفته، وعنايته بدينه الذي ارتضاه سبحانه، أنه لم يقبض المصطفى ﷺ حتى أكمل له دينه

(١) انظر هذه التقسيمات في: بيان تلبيس الجهمية (٤٧٩/١)، ومجموع الفتاوى (٢٦/٥)، (١٣٥/١٤)، والتوسل والوسيلة (١٧٧)، وشرح العقيدة الطحاوية (٨٨)، ومدارج السالكين (٣٣/١) وتيسير العزيز الحميد (٣٣) وتوضيح الكافية (١١٥) وغيرها.

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (٤٠٢/٢)، واجتماع الجيوش الإسلامية (٩٣).

كله، فلم يمت إلا وقد بيَّن ﷺ لأمته جميع ما يحتاجون إليه في جميع أمور دينهم، بأحسن بيان، وأكمل وضوح، وأجلاها لهم في غاية الجلاء، على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، قال ﷺ: «**وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء**[1] **ليلها ونهارها سواء**».[2]

يقول الإمام الجليل ابن القيم رحمه الله: «فإن الله تعالى قد تمم الدين، وأكمله نبيه ﷺ، فكان عليه الصلاة والسلام أحرص الناس على كل سبب ينال به العلم، والهدى، وهو أحرص الناس على تعليمهم هدايتهم، بل كان أحرص على هداية الكفار، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (النحل).[3]

ولما كان رسول الله ﷺ قد بيَّن لأمته ما يحتاجون إليه في أمور معاشهم ومعادهم، فإنه عليه الصلاة والسلام أعظم وأجل، ما بينه لهم في مسائل الإيمان، والتوحيد وهو:

أن عرَّفهم بربهم العظيم جل جلاله، بما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلا، وما يجب له ويستحقه من الكمال، وما يمتنع في حقه من العيوب والنقائص المذام.

---

(١) (على مثل البيضاء) أي: على قلوب بيضاء نقيَّة عن الميل إلى الباطل، لا يُميلها عن الإقبال على الله تعالى السراء والضراء، أو: المنهج الواضح النقي، من كلام الألباني في حاشية صحيح ابن ماجه (١٣).

(٢) المصدر السابق (٥).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة (٥١٢/٢).



وما ذاك إلا مصداقاً لقوله تعالى في محكم كتابه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ (المائدة: ٣) يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «دينكم: وهو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان.

(**لأن الإسلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان**)، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً».[1]

يقول ابن القيم رحمه الله: «كان رسول الله ﷺ أعلم الناس بتفاصيل الأسماء والصفات، وحقائقها، وكان أفصح الناس في التعبير عنها، وإيضاحها، وكشفها بكل طريق، كما كان ﷺ يفعله بإشارته، وحاله، كما في الصحيح عن عمر رضي الله عنه، قال: «رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول: «**يقبض الله سمواته بيده، والأرض باليد الأخرى**» «وجعل رسول الله ﷺ يقبض بيده ويبسطها» يحكي ربه تبارك وتعالى تحقيقاً لإثبات اليد، وصفة القبض، والبسط، لا تشبيهاً، ولا تمثيلاً (ثم سرد رحمه الله جملاً عديدة من الأدلة).[2]

عناية الصحابة بمنهج النبوة

اقتفى الصحابة الميامين رضوان الله عليهم أجمعين، هذا المعين الصافي النقي، أثر نبيهم ﷺ، دون خوض، ولا جدال، ولا سؤال، بل

---

(١) التفسير الصحيح (٢/١٥٣).
(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٥١٢ - ٥١٥).

تلقوه بالقبول والتسليم، والإيمان، واليقين، فأخذوا في تبليغ هذا الدين القويم، وحفظه من كل ما يشوبه، ويشوهه، ونقله من بعدهم من أهل العلم والأثر، كابراً عن كابر، دون زيادة، ولا نقصان، وهذا من كمال أمانتهم، وعهدهم، واستمساكهم بالهدى المبين، فعن أبي جعفر قال: «كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثاً لم يعده، ولم يقصّر دونه».(١)

قوله: «لم يعده» أي: لم يتجاوز بالزيادة على قدر الوارد في الحديث والإفراط فيه، ولم يقصِّر في التقصير دونه.(٢)

يقول الإمام ابن القيم: «مضى الرعيل الأول في ضوء ذلك النور، «أي: نور الوحي»، لم تطفئه عواصف الأهواء، ولم تلتبس به ظلم الآراء، وأوصوا من بعدهم أن لا يفارقوا النور الذي اقتبسوه منهم، وأن لا يخرجوا عن طريقهم».(٣)

عدم تنازعهم في مسائل التوحيد والإيمان

إن الصحابة رضي الله عنهم هم أعلم أهل الأرض بهدي النبي ﷺ، فقد نقلوا لنا سنته ﷺ كاملة دون زيادة ولا إخلال، مقتفين آثاره، القولية، والفعلية، والخُلقية، والخَلقية، والتقريرية، وكانوا يسألون رسولهم ﷺ عن كل صغيرة وكبيرة من مسائل الأحكام

---

(١) صحيح ابن ماجه (٤).

(٢) كلام الألباني في الحاشية، المصدر السابق.

(٣) الصواعق المرسلة (٣/١٠٦٩).



العملية، وفروعها التفصيلية، سؤال استعلام، واستفهام، لا سؤال تعنت، وإحجام. ومع هذا فلم يثبت عنهم أثر صحيح ولا سقيم، أنهم تنازعوا في مسألة واحدة من أصول الدين، والتي أجلّها وأخطرها: الأسماء، والصفات.

يقول الإمام الحافظ المؤرخ تقي الدين أحمد المقريزي: «لما بعث الله تعالى محمداً ﷺ إلى الناس وصف لهم ربهم بما وصف به نفسه، فلم يسأله أحد من العرب بأسرهم: قرويهم، وبدويهم عن معنى شيء من ذلك، كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة، وشرائع الإسلام، إذ لو سأله أحد منهم عن شيء من الصفات لنقل، كما نقلت أحاديث الأحكام وغيرها.

ومن أمعن النظر في دواوين الحديث والآثار عن السلف علم أنه لم يرد قط لا من طريق صحيح، ولا سقيم عن أحد من الصحابة على اختلاف طبقاتهم، وكثرة عددهم أنه سأل النبي ﷺ عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه في القرآن، وعلى لسان نبيه ﷺ، بل كلهم فهموا معنى ذلك، وسكتوا سكوت فاهم مقتنع، ولم يفرقوا بين صفة وأخرى، ولم يتعرض أحد منهم إلى تأويل شيء منها، بل أجروا الصفات كما وردت بأجمعهم، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به سوى كتاب الله، وسنة رسوله، ومضى عصرهم رضي الله عنهم على هذا».[1]

---

(١) الخطط (٣/٣٠٩).

ويقول ابن القيم رحمه الله: «وقد تنازع الصحابة رضي الله عنهم في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيماناً، ولكن بحمد الله تعالى لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الإيمان، والصفات، والأفعال، ولم يحفظ عنهم في ذلك خلاف مشهور، ولا شاذ، بل كلمتهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم».[1]

بداية الانحراف بعد انقضاء الصحابة

مع وضوح هذا النور وجلائه، وصفائه في الوحيين، اللذين نقلهما الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، إلا أنه قد «تعرض لعواصف شديدة هوج منذ زمن طويل، فنقلت تلك العواصف أشياء كثيرة من أماكنها، وألقت بها في غير موضعها، فتغيرت بسبب ذلك مفاهيم عديدة، فالتبست مسائل هذا الباب على كثير من الناس، حتى عجز أغلب طلاب العلم على التمييز بين الحق والباطل».[2]

وما ذاك إلا بعد أن وسعت الفتوحات الإسلامية العظيمة في المعمورة، فبعد هذا الانتشار دخل في هذا الدين من الفِرق، والأعراق، من بين دخيل حاقد على الدين، أو ممن متلبس متأثر من علم الكلام،

---

(١) انظر كلامه في عدة مواضع منها: إعلام الموقعين (١/٨٤)، والصواعق المرسلة (١/٢١٣)، (٢/٥٠٩).

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة، محمد بن أمان الجامي (٧).



وما نتج عن ذلك من ترجمة واسعة في الكتب المبسوطة عن الإغريق، واليونان وغيرهما، فدخل علم الكلام في أوسع أبوابه، ومداخله، فظهر زمرة من الزنادقة، ومن سلاطين أرباب علم الكلام، وهو في الحقيقة علم الشياطين من الإنس والجان، والعياذ بالله.

«وسبحان الله كم زلت في هذا المقام أقدام، وضلت فيه أفهام، وتكلم فيه الزنديق بلسان الصديق، واشتبه فيه إخوان النصارى بالحنفاء المخلصين: لنُبوِّ الأفهام عنه، وعزة تخلص الحق من الباطل فيه، والتباس ما في الذهن بما في الخارج، إلا من رزقه الله بصيرة في الحق، ونوراً يميز به بين الهدى والضلال، وفرقاناً يفرق به بين الحق والباطل».[1]

أعظم أسباب ضلال العباد في هذا الباب

إن أسباب ضلال الخلائق متعددة ومتنوعة، ولكن أخطرها هو تقديم العقول على المنقول، والهوى على الهدى.

وما ذاك إلا ما نتجته العلوم السيئة المخالفة للعقل والفطرة، الذي زيّنه وألبسه حلا الجمال علماء أهل الكلام.

يقول الإمام ابن القيم: «كل من له مسكةٌ من عقل يعلم: أن فساد العالم وخرابه، إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهدى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب، إلا استحكم

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم (٥٠).

هلاكه، و(لا) في أمة إلا فسد أمرها، أتمَّ فساد، فلا إله إلا الله كم نُفي بهذه الآراء من حق، وأثبت بها من باطل، وأميت بها من هدى، وأحيي بها من ضلالة؟ وكم هُدم بها من معقل الإيمان، وعُمر بها من دين الشيطان؟».[1]

نصرة سلف الأمة جناب عقيدة الملة

لما كان أعظم الأسباب في ضلال الأنام، في كل زمان، هو إعراضهم عن السنة والقرآن، وتقديمهم الأفهام على الهدى والبيان، وانكبابهم على كتب أهل الكلام، انبرى لهم الأئمة الأعلام، الراسخون في العلم كما وصفهم القرآن: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ (آل عمران).

في بيان الحق، وزهق الباطل، وإدماغه بالحجة والبيان، فكان منهم النفير والنكير، ومن هؤلاء الأعلاء: إمام أهل السنة والجماعة أحمد ابن حنبل الشيباني رحمه الله: فإن الله جلَّت حكمته قضى ألا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق منصورة، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله، يقول: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال

---

(١) أعلام الموقعين (٦٨/١).

تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تعالى تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة... إلى آخر كلامه رحمه الله».[١]

بل كان من شدة نكرانهم على أهل الأهواء والبدع، الذين ينفون صفات الله، أنهم كانوا يحذرون منهم كأنهم جيش قادم لقتالهم، لشدة غيرتهم على صفات ربهم الأعلى، ولجناب كماله المقدس، وتوحيده عز وجل الأعظم.

فقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، عن شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري الهروي رحمه الله، أنه ذكر في كتاب «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» له في باب الإشارة عن طريقته في الأصول، لما ذكر كلامه في مسائل القرآن، وترتيب البدع التي ظهرت فيه عن إمام الأئمة أبي بكر بن خزيمة رحمه الله: أنه تصدى في نيسابور لما أنكر، تكلم بعدما تكلم حيث قال شيخ الإسلام الهروي: «فطار لتلك الفتنة ذاك الإمام أبو بكر، فلم يزل يصيح بتشويهها، ويصنف في ردها، كأنه منذر جيش، حتى دون في الدفاتر، وتمكن في السرائر، ولقن في الكتاتيب، ونقش في المحاريب: إن الله متكلم،. إن شاء تكلم، وإن شاء سكت، فجزى الله ذاك الإمام، وأولئك النفر العز عن نصرة دينه، وتوقير نبيه ﷺ خيراً».[٢]

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٨٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٧٨).

فانظر رعاك الله إلى غيرة هؤلاء الأئمة الأبرار، في صيانة جناب التوحيد، الذي أجله باب «الصفات»، فمن أجل صفة واحدة نفيت عن الله تعالى، قام ما قام إلى الدفاع والحمى، في نصرة دين الله سبحانه وتعالى.

يقول الإمام الجليل الآجري رحمه الله: «علامة من أراد الله به خيراً سلوك هذه الطريقة: الكتاب ، وسنن رسول الله ﷺ، وسنن أصحابه رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد، إلى آخر ما كان من العلماء، مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم ابن سلام، ومن كان على طريقهم، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء».[1]

دعوتهم إلى الاستمساك بالكتاب والسنة

يقول الإمام ابن بطة رحمه الله: «اعلموا رحمكم الله أن من صفات المؤمنين من أهل الحق: تصديق الآثار الصحيحة، وتلقيها بالقبول، وترك الاعتراض عليها بالقياس، ومواضعة القول بالآراء، والأهواء، فإن الإيمان: تصديق، والمؤمن هو المصدق، قال الله عز وجل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (النساء).

(١) كتاب الشريعة (١/٣١).

فمن علامات المؤمنين: أن يصفوا الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، مما نقلته العلماء، ورواه الثقات، من أهل النقل الذين هم الحُجة فيما رووه من الحلال والحرام، والسنن والآثار، ولا يقال فيما صح عن رسول الله ﷺ كيف؟ ولم؟ بل يتبعون، ولا يبتدعون، ويُسلمون، ولا يعارضون، ويتيقنون، ولا يشكون، ولا يرتابون».(١)

دعوتهم إلى التمسك بالطائفة المنصورة (أهل الحديث)

يقول الإمام الجليل أبو مظفر السمعاني رحمه الله: «أبى الله أن يكون الحق، والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث، لأنهم أخذوا دينهم، وعقائدهم، خلفاً عن سلف، وقرناً عن قرن، بإسناد متصل إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذ التابعون من أصحاب النبي ﷺ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم، والصراط القويم، إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث».(٢)

ويقول الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم ابن إسماعيل بن العباس رحمه الله: «اعلموا رحمنا الله وإياكم: أن مذهب، أهل الحديث أهل السنة والجماعة:

١ - الإقرار بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله.

---

(١) الإبانة الكبرى: «تتمة الرد على الجهمية» (٣/٩١).

(٢) الانتصار لأهل الحديث ص ٤٤، بواسطة كتاب «الاحتجاج بالآثار السلفية على إثبات الصفات الإلهية»، جمع أبي عبدالله عادل حمدان، (٥).

٢ ـ وقبول ما نطق به كتاب الله تعالى، وما صحت به الرواية عن رسول الله ﷺ، لا معدل عما وردا به، ولا سبيل إلى رده، إذ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة، مضموناً لهم الهدى فيهما، مشهوداً لهم بأن نبيهم ﷺ يهدي إلى صراط مستقيم، محذرين في مخالفته الفتنة والعذاب الأليم... «ثم ذكر رحمه الله جملة من أسمائه وصفاته سبحانه».(١)

وكتب بعض أهل دمشق إلى الإمام الجليل الحافظ أبي بكر الخطيب أحمد بن علي البغدادي يسأله في الصفات، فأجاب رحمه الله: « أما الكلام في الصفات، فإن ما روي منها في السنن الصحاح: مذهب السلف رضوان الله عليهم: إثباتها، وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها ... «ثم ذكر رحمه الله ضوابط وأصول في الفهم في هذا الباب لا يستغني عنه طالب علم».(٢)

وقد علَّق العلامة الشيخ الألباني رحمه الله بعد إيراد جواب الخطيب: «فاحفظ هذا الأصل من الكلام في الصفات، وافهمه جيداً، فإنه مفتاح الهداية، والاستقامة عليها، وعليه اعتمد الإمام الجويني حين هداه الله تعالى لمذهب السلف في الاستواء وغيره، وهو عمدة المحققين كلهم، في تحقيقاتهم لهذه المسألة، كابن تيمية، وابن القيم وغيرهما».(٣)

---

(١) كتاب «اعتقاد أهل السنة» (٣٥).

(٢) «جواب أبي بكر الخطيب عن سؤال أهل دمشق في الحديث» (٧٠ – ٧٥).

(٣) مختصر العلو للذهبي (٤٩).

ولهذا ألَّف الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل الصابوني رحمه الله، رسالة نفيسة وجليلة، وهي «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»، يقول: «سألني إخواني في الدين، أن أجمع لهم فصولاً في أصول الدين، التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين، وعلماء المسلمين، والسلف الصالحين، وهدوا ودعوا الناس إليها في كل حين، ونهوا عما يضادها، وينافيها جملة المؤمنين المصدقين المتقين، ووالوا في اتباعها، وعادوا فيها، وبدّعوا، وكفَّروا من اعتقد غيرها، وأحرزوا أنفسهم، ولمن دعوهم إليها بركتها وخيرها....، «ثم ذكر رحمه الله اعتقاد أصحاب الحديث في الصفات وغيرها من أبواب الاعتقاد».[1]

وهي رسالة نفيسة ينبغي لكل طالب العناية بها خاصة في هذا الباب العظيم.[2]

وألَّف الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في هذا الباب كذلك في عدة كتب له، وذكر فيها بيان عقيدة أصحاب الحديث، وذب عن كل ما ينافي اعتقادهم الصحيح، كما في «مقالات الإسلاميين» «ورسالة إلى أهل الثغر» وغيرهما.

والنقول عن الأئمة الأعلام في اعتقاد أصحاب الحديث والأثر، كثيرة جداً، لا تحصى في هذه الوريقات، لكثرتها ووفرتها، تدل على

---

(١) (١٥٨).

(٢) وقد حققها في رسالة علمية الدكتور ناصر بن عبدالرحمن الجديع.

أنهم هم المعنيون بقول رسولهم الأمين ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم**».[1]

فهم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية من بين (٧٣) فرقة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة**»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»، وفي لفظ أنه قال: «**وهي الجماعة**».[2]

وهذا الوعد الصادق متحقق ولله الحمد والمنة، فلا يخلو منه زمان، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإنه لم يزل، ولا يزال فيه طائفة قائمة بالهدى، ودين الحق، ظاهرة بالحجة، والبيان، واليد والسنان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين».[3]

تعريفهم للطائفة المنصورة

اتفاق سلف الأمّة على أن الطائفة المنصورة هم: أهل الحديث، فقد سئل الإمام أحمد عن معنى هذا الحديث فقال: «إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم».[4]

---

(١) البخاري (٣١١٦)، ومسلم (١٥٢٣).

(٢) صحيح الترمذي (٢٦٤١)، وصحيح ابن ماجه (٦٥٩)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٤٩٢).

(٣) الجواب الصحيح (٥/٩٢).

(٤) معرفة علوم الحديث (٢).



المقدمة

وعلَّق الحاكم رحمه الله على كلامه فقال: «لقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هذا الخبر، أن الطائفة المنصورة التي يرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة، هم أصحاب الحديث، ومن أحق بهذا التأويل، من قوم سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف من الماضين، ومنعوا أهل البدع والمخالفين، بسنن رسول الله ﷺ وعلى آله أجمعين».[1]

إذ هم «المتمسكون بالإسلام المحض، الخالص عن الشوب».[2]

وقد فسر علي بن المديني رحمه الله أصحاب الحديث، بأنهم «الذين يتعاهدون مذاهب الرسول، ويذبون عن العلم».[3]

وفسر ابن حبان رحمه الله في قول النبي ﷺ: «فعليكم بسنتي».[4]

قال: «من واظب على السنن وقال بها، ولم يعرج على غيرها من الآراء، فهو من الفرقة الناجية».[5]

فهذا أوضح بيان على أن التمسك بسنة النبي ﷺ، وكذلك بالأئمة الهدى الميامين، الذي أمرنا ﷺ في المبالغة بالتمسك والأخذ بها بقوله: **«فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»**.[6]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مجموع الفتاوى (٣/١٥٩).

(٣) شرف أصحاب الحديث (١٠).

(٤) صحيح أبي داود (٤٦٠٧).

(٥) الإحسان (١/١٠٥).

(٦) تقدم تخريجه رقم (٤) في الحاشية.

إنهم هم المنصورون في الدنيا ويوم القيامة، ومعذرة يا أخي في الله في الإطالة في ذكر النقول عنهم، لتكون على أسس وقواعد راسخة، لا تهتز ولا تتغير مهما عصفت رياح الأهواء والبدع، ما دمت متمسكاً بها، على منهاج النبوة، في باب الله الأعظم: (**صفاته العلا**).

أهمية الموضوع وسبب اختياره

إن موضوع صفات ربنا العظيمة هو أجل مطلوب وأشرف مرغوب، لأن شرف العلم من شرف المعلوم، وأي: معلوم أشرف، وأجل، وأسمى من الله جل جلاله، فإن معرفة الله سبحانه، أجل الغايات، وأعظم الأمنيات، من جميع الوجوه والاعتبارات، فإن الإيمان بالله تعالى هو أول الأركان، وأعظمها في أركان الإيمان، فما بقية الأركان إلا تبع له، وفرع منه، متوقف عليه، فلا يكمل، ولا يصح إلا به.

فهو أول الدين، وآخره، «فمن ظفر به غنم، ومن صُرف عنه فقد خسر، وحرم، لأنه قطب السعادة، الذي مدارها عليه، وآخية الإيمان الذي مرجعه إليه، فالوصول إلى الله تعالى وإلى رضوانه بدونه محال، و طلب الهدى من غيره هو عين الضلال».[1]

ومن أهمية هذا العلم وكماله أنه يتفاضل به العباد، أكثر من غيره من العلوم، من كل الجهات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «العلم بالله تعالى، وما يستحقه من الأسماء والصفات، لا ريب أنه مما يُفضل الله به بعض الناس على بعض، أعظم مما يفضلهم بغير ذلك من أنواع العلم».[2]

---

(١) تهذيب مختصر سنن أبي داود لابن القيم (١١/١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١٢٩/٧).

فمن هنا تبرز أهمية هذا الموضوع، وعند النظر والسبر، يجد العبد الصالح أن باب الصفات هو أعظم باب في توحيد الأسماء والصفات، وذلك: إن من الأصول المقررة عند أهل السنة والجماعة: أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء: إذ إن الأسماء الحسنى مشتقة من صفاته تعالى العلا، فإن الصفات مصادر للأسماء الحسنى.

فكل اسم من أسماء ربنا الحسنى يتضمن صفة، وليس كل صفة تتضمن اسماً، فإنه من أسماء الله جل جلاله: «السميع»، يدل على صفة السمع، ومن أسمائه «الستير»، يدل على صفة الستر، «الحيي»: على صفة الحياء، «الوهاب»: يدل على صفة الهبة، وهكذا، ومن صفاته العليا: أنه مستوي على العرش: وليس من أسمائه المستوي، ويوصف بالنزول إلى السماء الدنيا كل ليلة، وليس من أسمائه النازل، ويوصف بالمجيء، والإرادة، والضحك، ولا يسمى بالجائي، ولا المريد، ولا الضاحك.[1]

فإذا كانت الأمَّة قد اجتمعت على أن أسماء ربنا العظيم الحسنى لا تحصى، ولا تحد، ولا تعد، فكيف بصفاتها العلا، فإنه من باب أولى، إذ إن صفات الله تعالى كما تقدم أكثر من أسمائه الحسنى، لتضمن بعضها أسماء، والبعض الآخر لا يتضمن أسماء.

والأمر الآخر: إن موضوع كتابنا وهو «الصفات المنفية» يعد

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/١٦١)، وشفاء العليل (٢٧٧)، والقواعد المثلى لابن عثيمين (١٠٣-١٠٥).

الركن الثاني العظيم في صفات رب العالمين، كما سيأتي بيانه مفصلاً، إذ إنه كما تقدم يقوم على ركنين جليلين، **الركن الأول:** الصفات الثبوتية.

الركن الثاني: الصفات المنفية، فالله تبارك وتعالى موصوف بصفات الإثبات، وموصوف بصفات النفي.[1]

فهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بينهما[2]، إذ إن «الجمع بين النفي والإثبات في باب الصفات هو حقيقة التوحيد، وذلك أن التوحيد مصدر وحّد يوحد، ولا يمكن صدق حقيقته إلا بنفي وإثبات، لأن الاقتصار على النفي المحض، تعطيل محض، والاقتصار على الإثبات المحض لا يمنع المشاركة».[3]

فدل على ذلك أن الصفات المنفية هي «من أعظم أوصاف الله تعالى التي قررها الكتاب والسنة وهي: نزاهته سبحانه من النقائص والعيوب كلها، وبراءته من الأقوال السيئة، والأفعال الذميمة جميعها، وتعاليه عن أن يكون له مماثل، أو مساو، أو معاون».[4]

فمن هنا تبرز أهمية دراسة هذا الركن العظيم، والأسُّ الجسيم، فهذا الركن الجليل مقصوده صون كمال الله سبحانه من كل وجه، في

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٣/٣٥)، والصواعق المرسلة (٢/٤٢٠)، وتوضيح الكافية الشافية (١١٥ - ١١٦).

(٢) العقيدة الواسطية (٢٩) لابن تيمية.

(٣) تقريب التدمرية (١٦) لابن عثيمين.

(٤) التسبيح في الكتاب والسنة (١/٤٧٩).

أن يظن به خلاف كماله العلا المقدس، أو يتوهم فيه كيفية معلومة، أو شبيه أو مثلية، لأن هذا النوع «وسيلة وتميم وحفظ للصفات الثبوتية، والتي هي المقصود الأعظم، فإن جميع ما ينزه الله تعالى عنه، فإنما ذلك لأجل ثبوت كمال ضده.

فلهذا كان عامة ما وصف الله تعالى بها نفسه من النفي، متضمناً لإثبات المدح، ولهذا فإن الصفات المنفية تأكيد لصفات الكمال (وهي: الثبوتية، والتي هي الأصل، والأكثر، والأعم في صفات الله سبحانه)، لأنها تتضمن ثبوت الصفات الكمالية الخالية من هذه الصفة، وهي صفة النقص، ولهذا ما من نفي في صفات الله تعالى (على الإطلاق)، إلا وهو متضمن لإثبات، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، في هذا الباب العظيم، أن التنزيه في الكتاب والسنة، ليس مقصوده مجرد نفي النقائص والعيوب عن الله تعالى فقط، وإنما مقصوده تقرير توحيد الله تعالى الخالص، وحفظ كماله من الظنون السيئة، والخواطر الباطلة، وإن الباعث على هذا التنزيه: هو التعظيم، والإجلال، والإكبار لله سبحانه وتعالى، وعلى هذا المعتقد الصحيح أنه: لا يتم الإثبات إلا مع التنزيه، ولا يتحقق التنزيه إلا مع الإثبات، ولا يمكن توحيد الله سبحانه وتعالى في أسمائه، وصفاته، وأفعاله، إلا الجمع بين الإثبات، والتنزيه».[1]

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٦)، (١٧/١١٢)، ومدارج السالكين (٣/٤١٤)، وطريق الهجرتين (٢٥١)، وتوضيح الكافية (١١٥)، وتلخيص الحموية (١٠٤)، وتقريب التدمرية (١٩، ٤٦) لابن عثيمين بتصرف.

وبهذا يعلم أن من أوجب الواجبات، وأجل المهمات، أنه «ينبغي البحث عما لله تعالى من الصفات الكمال، ونعوت الجلال، وما يمتنع ويستحيل عليه من أوصاف النقص، والعيب، والمثال، لأنك كلما ازددت معرفة بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، ازددت يقيناً، لأنه به تستقيم القلوب على العقيدة الصحيحة (النقية الصافية)، وبه تزكو الأخلاق، وتنمو، وبه تصلح الأعمال، وتكمل».[1]

واعلم حفظك الله أن معرفة صفات الله تعالى، وأخذها من السنة والقرآن، من أجل النعم والإكرام من الرحمن إلى الأنام.

يقول ابن القيم رحمه الله: «إن الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، إذا أراد أن يكرم عبده بمعرفته، ويجمع قلبه على محبته: شرح صدره لقبول صفاته العلا، وتلقيها من مشكاة الوحي، فإذا ورد عليه شيء منها: قابله بالقبول والتسليم، وتلقاه بالرضى والتسليم، واتسع له صدره، ولا سبيل إلى هذه، إلا بمعرفة أوصافه، وأسمائه».[2]

ومما يدل رعاك الله على أهمية الصفات المنفية في نصوص الكتاب، والسنة النبوية، أنها كثيرة وعديدة، خاصة في حسن القيام في مقام العبودية، من ذلك: العبادات القولية، حيث رتب عز وجل عليها من الأجر والمثوبة الجليلة، فإن أعظم آية في كتاب ربنا، وهي آية «الكرسي» قد تضمنت عدة صفات منفية، كنفي الألوهية عما سواه «لا إله» وكنفي

---

(١) فتح الرحيم الملك (٧)، وتفسير سورة (سبأ) لابن عثيمين (٥٩٦/٧ - ٥٩٧).

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (١٦) باختصار.

«السِّنة»، و«النوم»، ونفي «الشفاعة إلا بإذنه»، وعدم «الإحاطة به علماً»، وعدم: «الإثقال والاكتراث» في حمل الأرض والسموات.

وسورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، فيها أسماء حسنى دالة على النفي، مثل: «الأحد»، و«الصمد»، وصفات منفية، مثل: «لم يلد»، و«لم يولد»، «ولم يكن له كفواً أحد».

ونصوص الكتاب والسنة حافلة في ذلك مما لا يعد ولا يحصى، فمن ذلك: أعظم كلمة في الوجود، كلمة الإسلام، والإيمان: «لا إله إلا الله»، فإنها مبتدأة بأحد أركانها، وأسّها، في النفي، وهو: نفي الألوهية، والعبودية، عما سواه، بـ«لا إله»، ثم الإثبات «إلا الله»، يقول شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: «اعلم رحمك الله: أن معنى لا إله إلا الله، نفي وإثبات. «لا إله» نفي، «إلا الله» إثبات، تنفي أربعة أنواع: الآلهة، والطواغيت، والأنداد، والأرباب...»[1].

ومما يدل على أهمية الصفات المنفية كذلك: أن التسبيح[2]، وهو من أجل الألفاظ الدالة على نفي صفات النقائص والعيوب عن الله، وهو أيضاً من أعظم ما يُعبد الرب به، فهو عبادة أهل السماء، وأهل الأرض، إذ كلمة «سبحان» كلمة ممتنعة، لا يجوز أن يوصف بها غير

---

(١) الدرر السنية (٢/٦٢).

(٢) التسبيح معناه كما سيأتي هو: التنزيه والإبعاد عن الله تعالى كل النقائص، والمساوئ، والشرور، والمعايب.

الله تبارك وتعالى، لأنها صارت علماً ﴿في﴾ الدين، على أعلى المراتب، وأبلغها في التعظيم، التي يستحقها رب العالمين.[1]

فقد رتب الله عز وجل على التسبيح من الأجر العظيم، ومن حصول الخيرات، ودفع الشرور، والهلكات، في الدنيا، ويوم الدين، وإن من أوضح ما يدل على ذلك: أن الله تعالى ضمَّن هذه الكلمة العظيمة، في أحب وأعظم الأعمال عنده، وهي «الصلاة» ففي أدعية الاستفتاح، وأذكار الركوع، والسجود وغيرها، ما فيه غنية عن بيانه.

وغير ذلك من الأدلة التي لا تعد ولا تستوفى، وصدق الله تعالى حين قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ (الإسراء).

(١) انظر: التسبيح (١/٧٨ - ٨٦)، ومنهج اللغويين في العقيدة (٣٥٠)، وأسماء الله الحسنى د.عمر الأشقر (٥٣).



وصية جليلة

اعلم رعاك الله ورحمني الله تعالى وإياك، أن العناية في فهم صفات الله تعالى العليّة، والاشتغال بفهمها، والبحث عنها، ومدارستها، ومذاكرتها: «هو أولى ما صرفت إليه العناية، وجرى المتسابقون في ميدانه، إلى أفضل غاية».[1]

فهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، فإلى نحوها تمتد الأعناق، وإليها تتجه القلوب الصحيحة بالأشواق.[2]

فهو باب عظيم من أبواب الإيمان، إنما يفتحه الله تعالى على من سبقت له منه سابقة السعادة، وهذا أشرف علم يناله العبد في هذه الدار، ويدخل بها إلى الدار الآخرة.[3] في دار القرار، فإذا كان «أعظم نعيم الآخرة، ولذتها: النظر إلى وجه الله جل جلاله، وسماع كلامه، والقرب منه، كما ثبت في الصحيح في حديث الرؤية، كما قال ﷺ: «**فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه**».[4]

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية: (٩٠) لابن القيم.

(٢) الصواعق المرسلة (١١٣٢/٣).

(٣) انظر بدائع الفوائد (١٣٧/٤)، ومفتاح دار السعادة (٣١٠/٢).

(٤) مسلم (١٨١).



(وهم في نعيم فيه: «ما لا عين رأت» «ولا أذن سمعت» «ولا خطر على قلب بشر» فما ظنك بجماله، وجلاله سبحانه).

وكان من دعاء رسول الله ﷺ: «**وأسألك اللهم لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك**».[١]

فإذا عرف هذا، فأعظم الأسباب التي تحصل هذه اللذة: الذي هو أعظم لذات الدنيا على الإطلاق، وهي لذة معرفته سبحانه، ولذة محبته، فإن ذلك هو جنة الدنيا، ونعيمها العالي، ونسبة لذاتها الفانية إليه كتفلة في بحر فإن الروح والقلب والبدن إنما خلق لله فأطيب ما في الدنيا: معرفته سبحانه، وألذ ما في الجنة: رؤيته ومشاهدته، فمحبته، ومعرفته قرة العيون، ولذة الأرواح، وبهجة القلوب، ونعيم الدنيا، وسرورها، بل لذات الدنيا القاطعة عن ذلك تنقلب آلاماً وعذاباً، ويبقى صاحبها في المعيشة الضنك، فليست الحياة الطيبة إلا بالله».[٢]

وإذا أردت يا عبدالله نيل أشرف المحاب، وأكملها، وأجملها، وهي محبة الله سبحانه، فأحبب صفاته العلا، فالجزاء من جنس العمل.

عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه من صلاته، فيختم بـ«**قل هو الله أحد**»، فلما

(١) صحيح النسائي (١٣٠٥).

(٢) الداء والدواء لابن القيم (٣٥٧).

رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك»؟ فقال: «لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها»، فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**».[1]

وعلى قدر محبتك لأوصاف ربك[2]، تكون لك الزلفى عند الله تعالى، في جناته العلا: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلاً قال: «يا رسول الله، إني أحب هذه السورة: «قل هو الله أحد»، فقال رسول الله ﷺ: «**إن حُبَّها أدخلك الجنة**».[3]

إذ إن «الفرح بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، ورسوله، وسنته، وكلامه: محض الإيمان، وصفوته، ولبُّه، (هو) أفضل ما يعطاه، بل هو جل عطاياه، والفرح في الآخرة بالله ولقائه، بحسب الفرح به، ومحبته في الدنيا».[4]

وصدق ابن القيم رحمه الله: فالفرح بها يا عبدالله أجل فرح محبوب مرغوب في الدنيا، وفي يوم الخلود: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (يونس).

وفقدها هو أسوأ وأشد مفقود، في الوجود في الدنيا، واليوم الموعود: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ (المطففين).

---

(١) البخاري (٧٣٧٥).

(٢) يستأنس بذلك: على القاعدة الجليلة: «الحكم إذا علق على الوصف يزداد بزيادته، وينقص بنقصانه»، والله أعلم.

(٣) صحيح الترمذي (٢٩٠١).

(٤) الروح لابن القيم (٥٥٣).

فدل على أن حب العبد لصفات الرحمن، وملازمة تذكرها، واستحضار ما دلت عليه من المعاني الجليلة، والتفهم في معانيها، من أعظم الأسباب في دخول الجنة، ونيل محبته، التي هي أجل المحاب على الإطلاق.

فينبغي للمؤمن الناصح لنفسه، أن يبذل ما استطاع من مقدوره في ليله ونهاره، في معرفة أسماء الله سبحانه الحسان، وصفاته العلا الجلال، وتقديسه من العيوب، والمذام، ويجعل هذه المسألة العظيمة أهم المسائل عنده، وأولاها بالإيثار، وأحقها بالتحقيق، ليفوز من الخير بأوفر نصيب».[1]

وختاماً ليعلم كل عبد «أن ذلك الفضل والعطاء ليس لسبب من العبد، وأنه عاجز عن تحصيلها، بكسب واختيار، وأنها مجرد موهبة، وصدقة تصدق الله بها عليه، ولا يبلغها عمله، ولا ينالها سعيه».[2]

وهذا من عاجل البشرى في الدنيا قبل الأخرى.

فليحمد الله تعالى في كل لحظة، وخطرة، وومضة، كل من رزقه الله سبحانه ووفقه إلى معرفته، وما يستحقه من كمال، وجلال، وحمد، وتمجيد، الذي هو حقيقة التعبيد، الذي هو حق الله تعالى على كل العبيد، فهذه هي الحياة الطيبة في الدنيا: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ

---

(١) المواهب الربانية من الآيات القرآنية لابن السعدي (١١٢) بتصرف كبير.

(٢) مدارج السالكين (٣/١٩٧).

أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ (النحل)، والحقيقية في الآخرة: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (العنكبوت).



تمهيد

إنَّ حدود الأشياء وتفسيرها الذي يوضحها، تتقدم أحكامها، فإن الحكم على الأشياء فرع عن تصورها، فمن حكم على أمر من الأمور، قبل أن يحيط علمه بتفسيره، ويتصوره تصويراً يميزه عن غيره أخطأ خطأً فاحشاً.[١]

فلابد عند الحكم على الشيء من أن يكون مسبوقاً بتصور ماهية المحكوم عليه، والمحكوم به، فإن كل تصديق بشيء، لابد أن يكون مسبوقاً بتصور.[٢]

لهذا قبل الدخول إلى هذه المادة ينبغي معرفة أصل هذه المادة، أي: (النفي) ومرادفاتها في اللغة.

معنى النفي

أصل الكلمة: تدل على تعرية شيء من شيء، وإبعاده منه.[٣]

معانيها: النفي: مصدر نفى ينفي، وهو ضد الإثبات.

وترد كلمة (نفي) على عدة معان:

التنحية، والرد، والإبعاد، والجحود، والإنكار، والدفع.

---

(١) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للعلامة السعدي (٧).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣/٣١٩).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٩٠٩).

الأول: تنحية الشيء وإبعاده: يقال: انتفى تنحَّى، والنفي: الإبعاد عن البلد، يقال: نفيته أنفيه نفياً: إذا أخرجته من البلد وطردته، قال تعالى: ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ (المائدة: ٣٣)، وفي الحديث: «**المدينة كالكير تنفي خبثها**».(١)

ثانياً: جحد الشيء والتبرؤ منه: يقال: نفى الشيء إذا جحده، ويقال: انتفى فلان من فلان وانتفل منه، إذا رغب عنه أنفاً، واستنكافاً.

ثالثاً: ردّ الشيء ودفعه وعدم إثباته: فكل ما رددته ودفعته، ولم تثبته، فقد نفيته، يقال: السيل ينفي الغثاء؛ يحمله ويدفعه، ونفت الريح التراب نفياً، ونفياناً: أطارته.

وهناك معان أخرى لغوية:(٢)

والذي يدخل في موضوع مادتنا هو: «التنحية، والرد، والإبعاد، والجحد والدفع، وهي معانٍ متقاربة جداً من حيث مدلولها اللغوي».(٣)

ولما كان بحثنا عن معنى النفي لابد من معرفة بعض المصطلحات التي لها علاقة بمصطلح النفي في باب الصفات عموماً، والتي أقربها وأشهرها في هذا الباب: (السَّلب)، لكثرة التعبير به خاصة عند المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة، ولهذا أطلق أهل السنة

(١) البخاري (١٨٨٣)، ومسلم (٣٣٤٢).

(٢) انظر المعاني السابقة: لسان العرب (٨/٦٦١ - ٦٦٢)، وكتاب العين (٤/٢٥٣)، ومختار الصحاح (١٣٠٦) والقاموس المحيط (١٠٦١).

(٣) النفي في باب صفات الله عز وجل بين أهل السنة والجماعة والمعطلة (٣٠).



والجماعة لهذه الكلمة في مناقشتهم لخصومهم. بقولهم (الصفات السلبية) فهي رديفة لمعنى (الصفات المنفية).

السَّلب

أصل كلمة السَّلب: هو أخذ الشيء بخفة واختطاف.[1]

معانيها: وهو أخذ وانتزاع الشيء إما قهراً، أو خلسة.

الأول: نزع الشيء من الغير على القهر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ (الحج).

الثاني: الاختلاس: يقال: سَلَبَ يَسْلَب سلباً.[2]

الثالث: الخفة والإسراع، يقال: السَّلْب: السير الخفيف السريع، يقال: انسلبت الناقة: إذا أسرعت في سيرها حتى كأنها تخرج من جلدها[3] وهناك معان أخرى لا تدخل في مادتنا.[4]

أصل كلمة التنزيه

تدل هذه الكلمة على بُعد في مكان، و غيره، يقال: رجل نزيه الخُلق: بعيد عن المطامع الدينية، وفلان يتنزه عن الأقذار، أي: يباعد نفسه عنها، ومكان نزيه: خلاء ليس فيه أحد[5]

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤١٣).

(٢) لسان العرب (٤٧١/١)، والقاموس المحيط (١٢٥).

(٣) كتاب العين (٢٦٢/٢)، ولسان العرب (٤٧٢/١)، ومختار الصحاح (١٧٦).

(٤) انظر المزيد من المعاني في النفي في باب صفات الله عز وجل (٣٥ - ٣٧).

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة (٨٩٥)، والقاموس المحيط (١٢٧٨) والمصباح المنير (٣٤٧).

معانيها

معاني الكلمة كلها تدور حول البعد، والتنحية عن الشيء، والتبرئة منه، إذ هو مأخوذ من النزهة، وهي البعد، يقال: تنزهت، أي: خرجت إلى نزهة، وتنزهت عن كذا: أي: رفعت نفسي عنه تكرماً ورغبة عنه، ويقال: رجل نزيه، أي: بعيد عن السوء.(١)

وهذه اللفظة استعملت في الحديث عن ذات الله تبارك وتعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

قال الخليل: «تنزيه الله: تسبيحه، وهو تبرئته عما يصف المشركون».(٢)

وقال ابن منظور: «تنزيه الله بتبعيده عما لا يجوز عليه من النقائص والسوء».(٣)

التسبيح

أصل الكلمة: البعد، والذهاب على وجه السرعة والخفة.(٤)

---

(١) انظر: كتاب العين (٢١٣/٤)، ومعاني القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس (٥٢٦/١)، والقاموس المحيط (١٢٧٨).

(٢) كتاب العين (٢١٣/٤).

(٣) اللسان (٥٢٦/٨).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٥٠٢)، ولسان العرب (٤٧٠/١ - ٤٧٥) ومفردات القرآن (٣٩٢).



معانيها

١ . التنزيه، والتبرئة من السوء، ومنه: يقال: سبح الرجل في الأرض، إذا ذهب فيها، أي: تباعد فيها، والسبح: الإبعاد في السير.

والتسبيح: تبعيد الله تعالى عن السوء، فقولك: سبَّحت الله، أي: نزهته وبرأته مما لا يليق به.

٢ . الجري والمر السريع في الماء، أو الهواء، أو الأرض، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ (يس).

أي: يجرون.[١]

فتبين مما سبق، أن التسبيح هو: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، والعيوب، والمساوئ، وكل مما لا يليق بالله تبارك وتعالى من جميع الوجوه.[٢]

«من خلال إيراد التعاريف السابقة لكل من النفي، والسَّلب، والتنزيه، والتسبيح، والصفات في اللغة، والاصطلاح: على رفع شيء عن شيء وإبعاده عنه، على اختلاف في الاستعمال يقتضيه مقام الخطاب، ولما كانت الصفات هي المعاني القائمة بالذات، كان المراد بالنفي، أو السلب أو التنزيه، أو التسبيح في باب الصفات المتعلقة بالذات الإلهية العليَّة هو:

---

(١) تفسير الطبري (١٠/٤٤٣)، وشأن الدعاء للخطابي (١٤٣)، وتاج العروس للزبيدي (٦/٤٥١)، وتهذيب اللغة (٤/٣٣٨).

(٢) انظر: الفتح (١١/٢١٠) والتسبيح في الكتاب والسنة (١/٤١ - ٤٤).

«الإخبار أو الاعتقاد بأن هذه المعاني التي يراد نفيها عن الله عز وجل، غير قائمة بالذات العليَّة، والأحكام المتعلقة بذلك».(١)

الأدوات الدالة على النفي

تقدم بيان معنى النفي، وأنه مصدر نفى، ينفي، وهو ضد الإثبات، ويأتي بمعنى: الإبعاد، والتنحية، والإنكار، والجحود، ويستعمل للنفي في لغة العرب ألفاظ تعرف بأدوات النفي وأشهرها: ليس، ولا، ولم، ولن، وما.(٢)

أما ليس، ففعل لا يتصرف، وأما الأربعة الباقون فحروف، وقد ورد النفي بهذه الأدوات المذكورة في حق الله تعالى في الكتاب والسنة، لإفادة تنزيهه سبحانه عما نفي عنه، وأنه مما لا يليق بكماله وجلاله وعظمته.. وأمثلة هذا النفي في الكتاب والسنة كثيرة جداً لا يمكن استقصاؤها في هذا المطلب. ولكن يمكن ذكر بعض منها، هو:

أولاً: النفي الوارد في حق الله تعالى بـ (ليس):

١ - قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ (آل عمران: ١٨٢) و(الأنفال: ٥١).

فنفى سبحانه الظلم عن نفسه، وذلك في سياق التقريع والتوبيخ للكفار، وإن ما حل بهم من العذاب والعقاب ليس بظلم من الله تعالى.

---

(١) انظر: النفي في باب صفات الله (٥٨).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط (٦٤٣/٢).



بل لاستحقاقهم العذاب بما عملته أيديهم، فإن الله سبحانه لكمال عدله، وحكمته، ليس ظلاماً لأحدٍ من خلقه، لأن الظلم لا يليق بالله عز وجل.(١)

٢ ـ قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى). ففي الآية نفي للمثل عن الله تعالى، فلا يماثله شيء من خلقه، كما أنه لا رب سواه، ولا إله غيره.

ثانياً: النفي الوارد في حق الله تعالى بـ (لا):

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ (البقرة).

وهذه الآية وهي آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله قد تضمنت على خمسة من النفي بـ (لا) في حق الله تعالى، وهي:

١ ـ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٢ ـ ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾. ٣ ـ ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾.

٤ ـ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

٥ ـ ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/٥٣٨)، (٦/٢٦٨).



ثالثاً: النفي الوارد في حق الله تعالى بـ (لم):

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ (الإخلاص).

وقد اشتملت السورة على ثلاثة من النفي بـ (لم) في حق الله تعالى، وهي:

١. (لم يلد) أي: لم يتفرع عنه شيء، ففيه تنزيهه تعالى عن الولد.

٢. (ولم يولد) أي: ولم يتفرع هو عن شيء، فليس له والد.[1]

٣. (ولم يكن له كفواً أحد)، أي: ليس له شبيه، ولا مثيل، ولا نظير.[2]

رابعاً: النفي الوارد في حق الله تعالى بـ (لن):

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧)﴾ (آل عمران).

نفى سبحانه إمكان وقوع الضر عليه بأي حال من الأحوال، لأن ذلك دليل على النقص والعجز، وهو سبحانه يتعالى عن ذلك، فإنه سبحانه لا تضره معصية العاصين، ولا تنفعه طاعة الطاعين، لكمال غناه تعالى، وكمال عزته.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٦١٠).

(٢) تفسير الطبري (١٢/٧٤٥).



٢ ـ قال سبحانه: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ (الحج: ٤٧).

نفى سبحانه عن نفسه خلف الوعد، لأن ذلك يعد لؤماً ومنقصة، والله تعالى كامل الصدق، والكرم، والعلم، والقدرة، فلا يقع منه مع هذا الكمال خلف الوعد.

خامساً: النفي الوارد في حق الله تعالى بـ (ما):

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ (البقرة: ٧٤ ـ ٨٥ ـ ١٤٩) و(آل عمران: ٩٩).

نفى سبحانه عن نفسه الغفلة، وهي: ترك الشيء على وجه السهو عنه، والنسيان له، لكمال حفظه، وعلمه، ومراقبته سبحانه.

٢ ـ قال سبحانه: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ (إبراهيم).

نفى كذلك سبحانه عن نفسه خفاء شيء عليه من الأشياء، سواء كان في الأرض أو في السماء وفي ذلك تنزيهه عن الجهل مطلقاً، لكمال علمه، وإحاطته بكل شيء.

٣ ـ وقال جل جلاله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الأنبياء).

نفى سبحانه في هذه الآية أن يكون خلقه للسموات والأرض على وجه اللعب، واللعب: هو العبث، واللهو. وهو خلاف الجد.

ولهذا نفى سبحانه أن يكون خلق الخلق لاعباً، لأن ذلك لا يليق به لكمال حكمته. وكمال أحقيته، فهو سبحانه (الحق) الذي لا يعتريه الباطل بوجه من الوجوه.

تنبيه: وينبغي أن يُعرف أن النفي في حق الله تعالى قد يرد في صورة استفهام، وهو الاستفهام الإنكاري الإبطالي، الذي يقتضي أن ما بعده غير واقع، ومن ذلك:

١ - قوله تعالى - في تعديد آيات ربوبيته: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (النمل).

أي: أفعل هذه إله مع الله؟!، والمعنى: ما فعلها إلا الله.

وفي هذا تنزيه لله تعالى عن أن يكون معه شريك في العبادة، لكونه تعالى المستقل المتفرد بالخلق، والرزق، والتدبير، فكيف يكون معه والحالة هذه - إله يعبد؟ بل هو المستحق للعبادة وحده.[1]

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣٨٢/٣).



٢ ـ وقوله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

فـ (من) هنا هي: (من) الاستفهامية أشربت معنى النفي.

والمعنى: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه له في الشفاعة، فنفي الشفاعة بدون إذنه مستلزم لكمال ملكه، وسلطانه.

٣ ـ وقوله عز شأنه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ (مريم).

أي: هل تعلم لله مسامياً، ومشابهاً، ومماثلاً من المخلوقين.

وهذا استفهام بمعنى النفي، المعلوم بالعقل، أي: لا تعلم له مسامياً، ولا مشابهاً لأنه الرب وغيره مربوب، الخالق وغيره مخلوق، الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده بالعبودية، وأن عبادته حق، وعبادة ما سواه باطل، فهذه الأمثلة المذكورة ونحوها من جملة ما ورد من النفي في حق الله تعالى، للدلالة على تنزيهه سبحانه عما لا يليق بكماله، وجلاله، وعظمته.[1]

الألفاظ الدالة على معنى النفي:

جاءت ألفاظ في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ تتضمن معاني النفي في حقه سبحانه، منها:

---

(١) انظر: ما سبق في الكتاب النفيس: التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه د. محمد بن إسحاق كندو (١/١٣٣، ١٤٤).

١ . التقديس: على وزن: تفعيل، أصل الكلمة من الطهارة. والنزاهة.[1]

قال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة: ٣٠).

٢ . **تعالى**: على وزن (تفاعل) فعل ماض، ومصدره (التعالي) وهو تفاعل من العلو، بمعنى: ترفع، أو ارتفع، ومنه قولهم: تعالى النهار، إذا ارتفع، والتعالي: الارتفاع، «وتعالى أبلغ من قولك: علا، فإن علا تفيد العلو، لكن تعالى تفيد معنى: التنزه مع العلو، يعني: ترفع وتنزه بعلو».[2]

وقد جاء هذا الفعل مسنداً إلى الله عز وجل في ثلاثة عشر موضعاً في القرآن الكريم، في أربعة منها أسند إلى اسمه الظاهر. كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ (الاعراف).

وفي بقية المواضع أسند إلى الضمير المقدر العائد إلى الله عز وجل كقوله عز من قائل: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (المؤمنون).

وجاء مسنداً إلى ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ في قوله سبحانه . حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ (الجن).

(١) كما سيأتي عند شرح الأسماء الدالة على النفي عند اسمه تعالى (القدوس).

(٢) تفسير سورة القصص لابن عثيمين (٦/٤٢٥).



وجاء هذا الفعل في السنة مسنداً إلى الضمير البارز العائد إلى الله سبحانه، كما في دعاء الاستفتاح في الصلاة: «أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، استغفرك وأتوب إليه».[١]

وإذا أسند هذا الفعل إلى الله تعالى كان معناه تنزيهه سبحانه عما لا يليق بكماله، وعظمته، وعلوه على كل شيء، بذاته، وصفاته، وأفعاله، وعن كل عيب، ونقص، وعن كل مثيل، وشريك.[٢]

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري - رحمه الله : «وأما قوله: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٩٠﴾ (الأعراف) فتنزيهٌ من الله تبارك وتعالى نفسه، وتعظيم لها عما يقول فيه المبطلون، ويدعون معه من الآلهة والأوثان».[٣]

(٣) حاش لله:

جاءت هذه اللفظة في آيتين من كتاب ربنا جل جلاله، في قصة يوسف - عليه السلام - مع النسوة، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١﴾ (يوسف: ٣١ ـ ٥١).

أي: بعيداً منه[٤]، قال الزجاج: وأصل الكلمة من الحاشية بمعنى:

---

(١) مسلم برقم (٧٧١).

(٢) انظر: التسبيح (١/١١٣ - ١١٩) (١/١٢٦ - ١٢٩).

(٣) التفسير (٦/١٤٨).

(٤) المفردات (٢٦٤).

الناحية، تقول: كنت في حاشية فلان: أي: في ناحيته، فقولك حاشا لزيد من هذا، أي: تباعد منه.(١)

وقد ثبت عن مجاهد - رحمه الله - أنه قال في قوله تعالى: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾، أي: معاذ الله.(٢)

وقد ذكر أهل العلم أن معنى (حاش لله) مثل معنى (سبحان الله) أي: التنزيه لله تعالى، وبراءة لله.(٣)

(٤) سبحان الله:

تقدم معنى التسبيح، وهو: التنزيه، والتبرئة من السوء، تقول: سبحت الله تسبيحاً، أي: نزهته تنزيهاً، وبرأته من كل سوء وشر. قال الزجاج: «ومعنى (سبحان الله) في اللغة: تنزيه الله تعالى عن السوء».(٤)

وقال نفطويه: «وقول القائل: سبحان الله عن هذا، أي: برأته من هذا براءة، ونزهته تنزيهاً».(٥)(٦)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (١٠٧/٣).

(٢) التفسير الصحيح (٨٧/٣).

(٣) ينظر: لسان العرب (١٨١/١٤)، والتسبيح في الكتاب والسنة (١٢٩/١)، وتفسير الطبري (٢٠٦/٧)، والمفردات (٢٦٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢٢٥/٣).

(٥) مسألة سبحان (٢٩) نقلاً من «التسبيح في الكتاب والسنة» (٣٩/١).

(٦) انظر: استعمال لفظ (سبحان) في لغة العرب وفي كتاب الله تعالى: «التسبيح في الكتاب والسنة» (٥٦/١-٦١).



الأسماء الحسنى الواردة
في الكتاب والسنة المتضمنة للتنزيه والنفي العام

وردت أسماء عدة من أسماء الله تعالى الحسنى في الكتاب الحكيم. وفي سنة البشير النذير محمد ﷺ متضمنة للتنزيه العام لله تعالى عن كل النقائص والعيوب، لهذا كان من الضروري أن يتعرف إليها العبد في هذا المقام الجليل فإن من الأصول المقررة عند أهل السنة والجماعة في هذا الباب أن أسماءه الحسنى، مشتقة من صفاته العلا، فكل اسم يتضمن صفة، وليس بالعكس أي: لا يشتق من كل صفة اسم.[1]

أولاً: الأسماء الواردة في الكتاب والسنة:

١ - (السلام)

القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ (الحشر: ٢٣).

---

(١) انظر «منهاج السنة النبوية» (٢/١٦)، وشرح العقيدة الأصفهانية (١٠٧)، لشيخ الإسلام ابن تيمية، وبدائع الفوائد (١/١٦١)، وشفاء العليل (٢/٢٦٢) لابن القيم، والقواعد المثلى (٣٠) لابن عثيمين.

السنة النبوية:

(أ) قال ﷺ: «إن الله هو السلام».(١)

(ب) وقال ﷺ: «إن السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه الله في الأرض، فأفشوا السلام بينكم».(٢)

المعنى في اللغة:

السلام: مصدر استعمل اسماً للموصوف بالسلامة.

فعله: سلم يسلم سلاماً وسلامة، وهو مشتق من السلامة، وهي: البراءة من الآفات الظاهرة والباطنة، والخلاص من كل مكروه، وعيب، وشر. وأصل هذه المادة: أنها تدل على الخلاص، والنجاة، وقيل للجنة دار السلام: لأنها دار السلامة من الهموم والآفات.(٣)

المعنى في الشرع:

الله جل جلاله هو السلام من كل وجه واعتبار، فهو أحقُّ به من كل ما سواه. فهو سبحانه الذي سلم من جميع العيوب والنقائص المضادة لكماله، فهو تعالى السلام في ذاته: عن كل عيب ونقص يتخيله وهم، حيث إن ذاته العلية خلصت بانفراد الوحدانية من كل شيء، وبانت عن كل شيء، وارتفعت وعلت فوق كل شيء.

---

(١) البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني (ص ٣٥٧)، وفي السلسلة الصحيحة (١٨٤، ١٦٠٧).

(٣) المفردات (٤١٨)، واللسان (١٢/٢٨٩)، واشتقاق أسماء الله (٢١٦).

وهو السلام في أسمائه: فليس فيها اسم يتضمن السوء، أو الشر، أو الذم، وهو السلام في أفعاله: من العبث، والشر، والظلم، وفعل واقع على غير وجه الحكمة، وهو السلام في صفاته: فهي كلها صفات علا لا يحيط بها أحدٌ من الخلق. فإذا نظرت إلى أفراد صفات كماله وجدت كل صفة سلاماً مما يضاد كمالها، فحياته: سلام من الموت، والسِّنة، والنوم، وقدرته: سلام من التعب، والعجز، وكلماته: سلام من الكذب والظلم.... إلخ.

وهو الذي يسلم على أوليائه في الدنيا، وفي الجنة، وهو السلام: الذي يُسلم من يشاء من خلقه من المكاره، ويخلصه من الشرور والشدائد، فتضمن هذا الاسم سلامة الله تعالى من كل النقائص، والعيوب من كل وجه، فكان هذا من النفي العام المجمل، الذي لا يليق به سبحانه وتعالى.[1]

٢ ـ (القدوس)

القرآن الكريم:

قال جل جلاله: ﴿ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ (الجمعة).

السنة النبوية: كان رسول الله ﷺ: يقول في كل ركوعه، وسجوده: **(سبوح قدوس رب الملائكة والروح)**.[2]

---

(١) انظر بدائع الفوائد (٦٥١/٢)، وأحكام أهل الذمة (١٩٣/١)، وابن كثير (١٠٥/٨) والتوحيد لابن منده (٦٨/٢)، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته (٢٦٠)، وفتح الرحيم الملك (١٩ - ٢٠).

(٢) مسلم (٤٨٧).



المعنى في اللغة:

القدوس من أبنية المبالغة على وزن (فعُّول) وهو: الطهارة، والنزاهة، والتعظيم، والتكبير.

يقال: قَدَّس الرجل ربه، أي: عظَّمه، وكبَّره.[1]

ومنه سمِّيت الجنة حظيرة القدس، لطهارتها، ونزاهتها من كل آفات الدنيا، كما جاء في الحديث القدسي عن ربنا تبارك وتعالى: «من ترك الخمر، وهو يقدر عليه لأسقينَّه منه في حظيرة القدس».[2]

والقدوس: المبارك[3]، ومنه الأرض المقدسة، أي: المباركة.[4]

المعنى في الشرع:

القدوس يرجع إلى صفات العظمة، وإلى السلامة من العيوب والنقائص التي تنافي كماله:

فهو تبارك وتعالى المنزه والمطهر عن كل ما ينافي صفات كماله، وجلاله، وعظمته، ومجده، في ذاته، وأسمائه، وأوصافه، وأفعاله، وسلطانه من جميع الوجوه على الإطلاق، فهو سبحانه المعظم[5] الذي له كل قدس، وطهارة، وتعظيم، الممدوح بالفضائل، والمحاسن، والمحامد

(١) صح عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) قال: نعظمك ونكبرك، التفسير الصحيح (١/١٣٥).

(٢) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٧٥).

(٣) ثبت عن قتادة رحمه الله أنه قال: (المبارك) التفسير الصحيح (٤/٤٦٩).

(٤) اللسان (٦/٣٥٤٩).

(٥) كما تقدم عن مجاهد.

كلها، المنزه عن أن يقاربه، أو يماثله أحدٌ في شيء من خصائصه، وكمالاته، أو أن يكون له مثيل، أو شبيه، أو كفؤ.

فهو تعالى المقدس عن كل عيب، السالم من كل نقص، البليغ في النزاهة عن كل ما يستقبح، المنزه عن الشريك في ألوهيته، وربوبيته، فهو سبحانه القدوس في خلقه، وفعله، وقضائه، وأحكامه، وهو القدوس المبارك، الذي عمت خيراته، وكثرت أفضاله، على طول الأوقات، تبارك اسمه، وتباركت أفعاله، وصفاته، وذاته العلا.[1]

٣ـ (الواحد)

القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ (إبراهيم).

السنة النبوية:

في حديث محجن بن الأدرع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ دخل المسجد إذا رجلٌ قد قضى صلاته، وهو يتشهد، فقال: «**اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم**» فقال رسول الله ﷺ: «**قد غفر له، قد غفر له، قد غفر له**».[2]

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/١٦٧)، وابن كثير (٤/٣٦٣)، وشفاء العليل (٢/٥١٢)، والتوحيد لابن منده (٢/٦٦)، وتفسير الأسماء (٣٠) وفتح الرحيم (١٩ - ٢٠)، وتوضيح الكافية (١٢٧) و(الوسيط) أسماء الله الحسنى جلالها (١٦١- ١٦٣).

(٢) صححه الألباني في صحيح أبي داود (٩٨٥)، وفي صحيح النسائي (١٣٠٣).

المعنى في اللغة:

الواحد اسم فاعل للموصوف بالواحدية، أو الوحدانية. فعله وحد يوحد وحادة وتوحيداً، ووحده توحيداً جعله واحداً، والواحد في لغة العرب له معنيان: **الأول:** اسم لمفتتح العدد، وهو يدل على الإثبات مضافاً وغير مضاف. فلو قيل في الدار واحد، لكان فيه إثبات واحد منفرد، مع إثبات ما فوق الواحد مجتمعين، ومفترقين.

والمعنى الثاني: الذي لا نظير له، ولا مثيل، يقال: فلان واحد العالم. أي: لا نظير له في العالم.[1]

والمعنى الثاني هو المقصود في مادة كتابنا.

المعنى في الشرع:

هو الله جل جلاله الواحد المتفرد بصفات المجد، والجلال، المتوحد بنعوت العظمة، والكبرياء، والجمال، فهو واحد في ذاته، وواحد في أسمائه، لا سمي له، وواحد في صفاته لا مثيل له، وواحد في أفعاله، لا شريك له، ولا ظهير، ولا عوين، وواحد في ألوهيته، فليس له ند في المحبة، والتعظيم، ولا له مثيل في التعبد له، والتأله، وإخلاص الدين له.

وهو الذي عظمت صفاته، ونعوته، حتى تفرد بكل كمال، وتعذَّر على جميع الخلق أن يحيطوا بشيء من صفاته، أو يدركوا شيئاً من نعوته،

(١) لسان العرب (١/٢٧٧)، وتفسير أبي مظفر السمعاني (١/١٦١) ونظم الدرر للبقاعي (٨/٥٨٥).

فضلاً عن أن يماثله أحد في شيء منها[1] وهو سبحانه الواحد الذي يعتمده عباده، ويقصدونه، ولا يتكلون إلا عليه عز وجل[2] فالله تعالى لا مثل له، ولا نظير، ولا عديل بوجه من الوجوه، فهو تعالى معبود واحد، ورب واحد، لا يستحق الطاعة غيره، ولا يستوجب العبادة سواه.[3]

٤ ـ (الأحد)

القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ (الإخلاص).

السنة النبوية:

في حديث بريدة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: «اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب**».[4]

المعنى في اللغة:

الأحد اسم فاعل، أو صفة مشبهة للموصوف بالأحدية، فعله أحَّد

---

(١) فتح الرحيم الملك (٣٦ - ٣٧).

(٢) اشتقاق أسماء الله (٩٠ - ٩٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣/٢٦٥ - ٢٦٦).

(٤) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٤٧٥)، وفي صحيح ابن ماجة (٣٨٥٧).

يأحّد تأحيداً وتوحيداً، أي: حقق الوحدانية لمن وحده، وهو اسم بني لنفي ما يذكر معه من العدد، تقول: ما أتاني منهم أحد، فمعناه: لا واحد أتاني، ولا اثنان، وهو بالنفي أعم من الواحد، ولهذا لا يجوز وصف شيء في جانب الإثبات بأحد إلا الله تعالى الأحد، لخلوص هذا الاسم الشريف له وحده، فهو من النعوت السلبية، بل هو مجمعها، ولهذا أعري من لام التعريف، لأنه صار نعتاً لله تعالى على وجه الخصوص، فصار معرفة.(1)

المعنى الشرعي:

الله تبارك وتعالى هو الأحد: الذي توحد بجميع الكمالات، وتفرد بكل كمال، وباين بأحديته جميع الموجودات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك(2) فهو سبحانه المتفرد لا مثيل، ولا شبيه، ولا عديل له، متوحد لا شريك له، ولا صاحبة، ولا ند، ولا ولد، فهو سبحانه منزه عن كل نقص، وعيب، وسوء، وذم وهو تعالى الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، وهو الذي لم يتفرع عن شيء، ولا تفرع هو عن شيء، وليس له مكافئ من خلقه يساميه، أو يساويه، أو يقرب منه، أو يدانيه، لتفرده بغاية الكمال، ونهاية الجلال على الإطلاق من كل وجه.

فهو سبحانه المتفرد بالربوبية فلا شريك له في ملكه، ولا عوين، ولا

---

(1) لسان العرب (١/٢٧٧)، والمفردات (٦٦)، والنهاية (١/٢٧)، ونظم الدرر (٥/٥٨٥)، وتفسير السمعاني (١/١٦١).

(2) تفسير السعدي (٥/٤٨٦).

ظهير، ولا وزير، ولا منازع، ولا مغالب، وهو الذي تفرد في ألوهيته، فهو المعبود بحق، المتفرد في المحبة، والتعظيم، فلا يستحق الطاعة غيره، ولا يستوجب العبادة سواه.[1]

فأحديته تعالى تدل على ثلاثة أمور:

١ ـ نفي المثل، والند، والمكافئ من جميع الوجوه.

٢ ـ وإثبات جميع صفات الكمال بحيث لا يفوته منها صفة ولا نعت، دال على الجلال والجمال.

٣ ـ وأن له من كل صفة من تلك الصفات أعظمها، وغاياتها، ومنتهاها، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ (النجم).[2]

٥ ـ (الصمد)

القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ (الإخلاص).

السنة النبوية:

حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربه جل جلاله وفيه: «.... **وأما شتمه إيايّ فقوله اتخذ**

---

(١) طريق الهجرتين (٢١٤)، وشفاء العليل (٢/١٤٧)، وابن كثير (٤/٧٩٣) واشتقاق أسماء الله (٩٠) للزجاجي.

(٢) فتح الرحيم الملك (٣٧)، وبهجة قلوب الأبرار (٢٩١) للسعدي.

الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد». [1]

المعنى في اللغة:

الصمد: صفة مشبهة للموصوف بالصمدية، فعله صَمَدَ يصمدُ صمداً، وهو يأتي على عدة معان جليلة، وعظيمة، وكثيرة، ولهذا كانت العرب تسمي أشرافها بهذا الاسم، لكثرة الصفات المحمودة في المسمى به[2]، منها: أنه يطلق على السيد المطاع، الذي لا يقضى دونه أمر، وهو الذي يُقصد إليه في الحوائج وفي الرغائب والشدائد، وهو السيد الذي ينتهي إليه السؤدد في كل شيء، وهو الذي لا جوف له، فلا يأكل ولا يشرب.

ويطلق كذلك على: العالي الذي تناهى علوّه، من قولهم بناء مصمد، أي: معلى، وهو الدائم الباقي، المستغني عن كل شيء، وهو الرفيع في كل شيء، لكثرة خصال الخير فيه، وكثرة الأوصاف الحميدة له.[3]

المعنى في الشرع:

كل المعاني اللغوية المتقدمة يصح وصف الله تعالى بها، قد ثبتت عن السلف في تفسير اسم (الصمد).[4]

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٧٤).

(٢) الصواعق المرسلة (١٠٢٤/٣).

(٣) اللسان (٢٤٩٥/٤) والقاموس المحيط (٧٥٣)، وتفسير الطبري (٢٢٢/٣٠) وابن كثير (٥٧/٤) وتفسير سورة الإخلاص لابن تيمية (٣٥ - ٦٠) والأسنى (١٧٩/١) ونظم الدرر (٥٨٩/٨).

(٤) معالم التنزيل للبغوي (٣٢١/٧)، وابن كثير (٥٧٠/٤).

فهو تعالى: السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه...[1] وهو الذي تقصده الخلائق كلها إنسها وجنها، بل العالم بأسره العلوي والسفلي، بحاجاتها وملماتها الدقيقة، وهو الذي لا جوف له فلا يأكل ولا يشرب، فهو سبحانه يُطعم ولا يُطعَم، وهو الذي لم يلد، ولم يولد، «وهو الذي لا يموت ولا يورث، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، والله تعالى لا يموت ولا يورث»[2]، وهو تعالى الذي تناهى علوه، له العلو المطلق من كل وجه، علو الذات، والتعالي في كل الصفات، وهو سبحانه الذي ليس كمثله شيء فليس له من خلقه من نظير يساميه، أو قريب يدانيه، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ (الإخلاص).[3]

٦ـ (المتكبر)

القرآن الكريم:

قال عز شأنه: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الحشر).

---

(١) صح عن ابن عباس رضي الله عنهما، التفسير الصحيح (٦٨١/٤).

(٢) صح عن أبي بن كعب رضي الله عنه، صحيح الترمذي (٣٣٦٤).

(٣) ابن كثير (٧٩٣/٤)، والطبري (٢٢٢/٣٠)، وبدائع الفوائد (١٧٦/١)، ومجموع الفتاوى (١٧٨/١٧).



السنة النبوية:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية وهو على المنبر»: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (الزمر) قال: «**يقول الله عز وجل: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا المتعال، يُمجد نفسه...**».[١]

المعنى في اللغة:

المتكبر: من الكبر، والكبرياء، والكبر: العظمة، والتجبر، والرفعة في الشرف، ويقال: أكبرت الشيء: استعظمته، والتكبير: التعظيم، وأصل الكلمة: الامتناع، والترفع عن الانقياد، والكبرياء الملك[٢] قال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (يونس: ٧٨).[٣]

المعنى في الشرع:

المتكبر: اسم يدل على كمال العظمة، ونهاية الكبرياء.[٤]

فهو في حق الله تعالى مدح وكمال في الوصف، وفي حق المخلوقين ذم ونقص، «لأن الخلق لا يخلون عن نقيصة، فلا يليق بهم إعظامهم أنفسهم، وإعلاؤهم إياهم» والله تعالى لا يجوز عليه النقص، فيصح

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥٦٠٨) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٤).

(٢) صح عن مجاهد، التفسير الصحيح (٣/٣٠).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥/١٥٣)، والصحاح للجوهري (٢/٨٠١) وتفسير القرطبي (١٨/٣١).

(٤) فتح الرحيم الملك (١٧).

مدحه لنفسه، وإعظامه، (فإنه) مدح نفسه ليُعلّم خلقه مدحهم إياه، ليثيبهم عليه. إذ لا يجوز أن يعود إليه الضر، ولا النفع».[1]

فهو يدل على علوّ قدر الله تبارك وتعالى، المستحق له، وكماله علواً، وكمالاً لا يتناهى، ولهذا دخلت فيه (التاء)، وسماها من فهم معناها: تاء الاختصاص، لأن هذا المعنى يختص بالله تعالى وحده، وهي في حق غيره تكلف، فهو يتضمن جميع صفات الكمال والجلال، التي تنال مع بُعد الغاية، وعدم النهاية، فهو الذي تاهت الألباب في جلاله، وكبرت عن التصور صفاته.[2]

فهو سبحانه المتعظم، الذي أعلى نفسه، وعظمها، المتعالي عن صفات خلقه، فليس له شبيه، ولا مثيل، ولا عديل، المتكبر عن ظلم عباده، فلا يظلم أحداً من خلقه، حتى لو كان من أهل كفرانه، عدله ظاهر في سائر خلقه، فهو تعالى المتكبر عن السوء، والسيئات، فلا يصدر منه إلا الآلاء والخيرات، المتنزه عن العيوب، والمذام، والآفات، لكماله تعالى من جميع الوجوه والاعتبارات، فهذا الاسم يتضمن: نفي كل النقائص التي تنافي صفات كماله، وعن مشابهة أحد من خلقه، وإثبات كل صفات الكمال التي تليق بجلاله.[3]

---

(١) تفسير أبي مظفر السمعاني (٥/٤١٠).

(٢) شفاء العليل (٢/٥١١)، والأسنى (٤٦٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٨/٣٧)، وشأن الدعاء (٤٨) ومجموع الفتاوى (٤/١٨٢) ومختصر الصواعق المرسلة (٢١٢).

٧ـ (الكبير)

القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ (الرعد).

السنة النبوية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كالسلسلة على صفوان، فإذا فُزع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العليّ الكبير**».[1]

المعنى في اللغة:

الكبر: خلاف الصغر، والكبر بكسر الكاف وضمها: الرفعة في الشرف، والكبير من صيغ المبالغة على وزن (فعيل)، وهو العظيم الجليل يقال: فلان كبير بني فلان، أي: رئيسهم، وعظيمهم.[2]

المعنى في الشرع:

الله جل جلاله هو الكبير: العظيم الجليل الذي ليس لكبريائه بداية، ولا نهاية، فهو سبحانه أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى من كل شيء، الذي صغر دون جلاله وعظمته،

---

(١) البخاري (٤٤٢٤).

(٢) المفردات (٦٩٦)، ومعجم مقاييس اللغة (٥/١٥٣)، واشتقاق أسماء الله (٢٦٨).

كل كبير، فهو تعالى الذي كبر عن شبه المخلوقين، فليس له عديل ولا نظير في العالمين.

وهو الذي كبر عن النقائص والمعايب، فهو تعالى أكبر من أن يعرف كنه كبريائه، وعظمته، الذي كبر وعلا عن كل عبودية سواه من البرية، وعن المعين، والنديد في الربوبية لمن في الأرض والسموات العلية، الذي كبر عن كل سوء، وشر، وظلم، والله أكبر تعالى عما يقوله الملحدون، والمحرفون علواً كبيراً، فهو سبحانه الكبير المتعالي عن صفات خلقه، فهو أكبر من كل شيء شهادة[1]، فهو الكبير على الإطلاق الذي تناهى في كبريائه وعظمته، وكمال صفاته، وتنزه عن كل ما يضاد كمالها، وجلالها، وسموها.

٨- (المتعال)

القرآن الكريم:

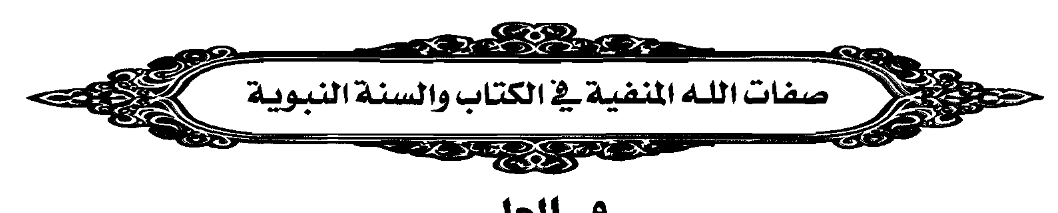
قال سبحانه وتعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ ﴾ (الرعد).

السنة النبوية:

تقدم حديث ابن عمر رضي الله عنهما وفيه: «.... **يقول الله عز وجل: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا المتعال...**»[2].

(١) انظر ما تقدم: شأن الدعاء (٦٦)، وتفسير الأسماء (٣٥، ٤٨) والأسنى (٢٤٨)، والحجة في بيان المحجة (١٢٩/١)، وتفسير السعدي (٤٨٧/٦)، وفتح الرحيم (٣٠) والكافية (١٦٥).

(٢) سبق تخريجه.



٩ ـ العلي

القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ (الشورى).

السنة النبوية:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العليّ العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع، ورب العرش العظيم**».(١)

١٠ ـ (الأعلى)

القرآن الكريم:

قال جل جلاله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ (الأعلى).

السنة النبوية:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، «**أنَّ النبي ﷺ كان إذا قرأ: سبح اسم ربك الأعلى، قال: سبحان ربي الأعلى**».(٢)

---

(١) أخرجه أحمد (١/٣٣٩)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: إسناده صحيح على شرط الشيخين (٥/٧٣).

(٢) صححه الألباني في صحيح أبي داود (٨٨٣).



المعنى في اللغة:

المتعالي: اسم فاعل من (تعالى)، وفعله: تعالى يتعالى فهو متعال، و(تعالى) مأخوذة من العلو، أي. المترفع. وهو يدل على كمال العلو، ونهايته، وهو أبلغ من الفعل (علا)، فإن علا تفيد العلو، وتعالى تفيد معنى التنزه مع العلو، أي: أنها تفيد مع العلو التنزه والتحاشي عما يشركون به، أو عن إشراكهم به، ولهذا صيغت الصفة بصيغة التفاعل، للدلالة على أن العلو صفة ذاتية له، لا لغيره، لأن زيادة المبنى دليل على زيادة المعنى.[1]

العليّ: فعيل بمعنى فاعل، صفة مشبهة للموصوف بالعلو: فعله: علا يعلو علواً: إذا ارتفع، وأعجز من رامه، فهو يدل على معنيين: أحدهما: علو المكان، والثاني علو المكانة.[2]

الأعلى: على وزن أفعل التفضيل، فعله: علا يعلو علواً، وهو الذي ارتفع عن غيره، وفاقه في وصفه، فهو يجمع معاني العلو جميعاً، وأنه الأعلى بجميع معاني العلو، فدل على التفضيل المطلق في العلو، فالأعلى: ذو العلا، والعلاء، والمعالي.[3]

---

(١) لسان العرب (١٥/٩٠)، وبدائع الفوائد (٢/١٥٩)، وتفسير الطاهر بن عاشور (١٣/٩٨)، وتفسير سورة القصص لابن عثيمين (٦/٤٢٥).

(٢) اللسان (١٥/٨٤)، وكتاب العين (٢/٢٤٥).

(٣) اللسان (١٥/٨٤)، ومجموع الفتاوى (١٦/١١٩).

المعنى في الشرع:

الله جل جلاله هو المتعالي: المتنزه عن صفات المخلوقين، تعالى أن يوصف بها، وارتفع عن مساواتهم في شيء منها، وهو سبحانه جلّ عن إفك المفترين، وتنزه عن وساوس المتحيرين، وهو تعالى تنزه وتعالى عما يقول فيه المبطلون، ويدعون معه من الآلهة، والأوثان، فهو عز شأنه ترفع وتنزه عن المشركين وعن أصنامهم، وعن شركهم له، قال سبحانه: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ (الأعراف).

وهو الذي تعالى عما لا يليق به بوجه من الوجوه سبحانه.

وهو الذي تعالى عن الصاحبة والولد، قال عز شأنه ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ (الجن)، وقال جل جلاله: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ (الإسراء)، الذي تعالى في عظمته أن يشفع أحدٌ عنده إلا بإذنه، وهو العالي فوق خلقه بذاته فوق عرشه، كما يليق بجلاله وكماله.[1]

وهو العلي الأعلى: الذي علا عن كل عيب، ونقص، وشر، فهو عالٍ عن ذلك، منزه عنه، وهو سبحانه العلي عن كل كمال يساويه، أو يقرب منه، أو يدانيه، لأنه تعالى ليس فوقه ما يجب له من معالي

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٨٦/٣)، وشأن الدعاء (٦٦، ٨٩)، وتفسير الطبري (١٤٨/٦)، والتفسير الكبير لابن تيمية (١٤٠/٦). وتفسير سورة القصص لابن عثيمين (٤٢٧/٦).

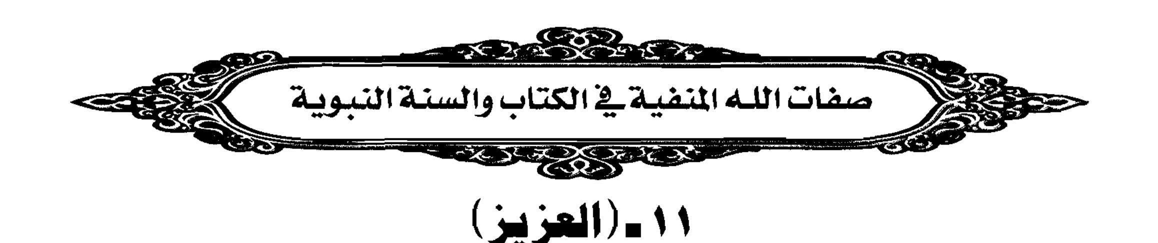
الجلال أحد، ولا معه من يكون العلو مشتركاً بينه وبينه، ولكنه العلي بالإطلاق.

فهو تعالى عال عن كل مثيل، أو نظير، أو شريك في ألوهيته، وربوبيته، فله تعالى علو الكمال أعلاه، وهو: علو المكان: أي علو ذاته سبحانه، فوق كل المخلوقات، وعلو المكانة: وهو علو الصفات وعظمتها، وقدرها، الذي لا يقدر أحد من الخلائق من أولهم إلى آخرهم إنسهم وجنهم، أن يحيطوا بصفة واحدة من صفاته العلا، وله علو الغلبة، والقهر لكل المخلوقات، لمن في الأرض والسموات، فالعالم العلوي والسفلي كلهم مقهورون تحت سلطانه، خاضعون لعظمته، مفتقرون في كل شؤونهم، فجميع الخلق نواصيهم بيده، فلا يتحرك منهم متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ﴾ (الأنعام: ١٨).[1]

فهذه الأسماء الثلاثة الجليلة يقرب بعضها من بعض في الاشتقاق، والمعنى، فتدل على كمال العلو، وأعظم المباينة، وأجلها، وأكملها[2] في الذات، والصفات، والنزاهة من كل العيوب والآفات، من جميع الوجوه والاعتبارات.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (١٦/١١٩ - ١٢٤)، والحجة في بيان المحجة (٢/١١٤)، والأسماء والصفات للبيهقي (١/٤٥)، وشفاء العليل (٢/٥١٠ - ٥١٣) وتوضيح الكافية (٦٢، ١١٦) وفتح الرحيم (٢٩).
(٢) الصواعق المرسلة (٤/١٣٣٨)، وتهذيب اللغة (٣/١٨٦).



١١ـ (العزيز)

القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ (ص).

السنة النبوية:

عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان إذا تضور من الليل أي: «تقلب وتلوى من شدة الأمر»[١]، قال: «**لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار**».[٢]

المعنى في اللغة:

العزيز: من صيغ المبالغة على وزن فعيل، فعله: عز يعز عزاً وعزة، وله عدة معان جليلة منها: القوة، والغلبة، والقهر، ومنها: الجليل الشريف، الرفيع الشأن والقدر، والمنقطع النظير، الذي يندر وجود مثله، ويأتي العزيز بمعنى: المنيع، الذي لا يقدر عليه، الذي يصعب مناله، تقول العرب: حصن عزيز: إذا كان لا يوصل إليه، ويقال للأرض الصلبة القوية: عزاز، لامتناعها على من أراد أن يحفرها[٣] وهذا المعنى الأخير هو المقصود في مادتنا وهو كما تقدم من معاني العزة، وهي:

---

(١) انظر: النهاية (٥٥١).

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧٥٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٦٦).

(٣) اللسان (٣٧٤/٥)، ومعجم مقاييس اللغة (٣٨/٤)، والمفردات (٥٦٣)، وتفسير السمعاني (١٤١/١)، والأسنى (٢٣٨).

الصلابة، والمنعة والامتناع: عن النقائص والمساوئ، والذي يصعب مناله، والوصول إليه.

المعنى في الشرع:

الله جل جلاله هو العزيز: المنيع الذي لا ينال منه، ولا يرام جنابه، ولا يلحقه سوء، وشر، فلا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، وهو المنقطع النظير عزيز متفرد، لا مثيل، ولا عديل له، متوحّد لا شبيه له، فهو منزه عما يجوز على المخلوقين إذ تصيبهم الحوادث وتغيرهم، ومن تمام عزته براءته عن جميع ما لا يليق بعظمته، وجلاله من العيوب، والنقائص، وعن كل ما ينافي كماله سبحانه، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ (الصافات).

كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله قال: «**العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**»[1] ومن كمال عزته أنه تعالى: امتنع عن الأنداد، والشركاء، والأضداد، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ (آل عمران) فهو تعالى أمنع الأبصار أن تدركه، وعن الأوهام أن تكيفه.[2]

والله تعالى أعلم.

---

(١) مسلم (٢٦٢٠).

(٢) انظر: ابن كثير (٢٩٢/٤ - ٣٤٣)، والحجة في بيان المحجة (١٣٠/١)، والأسماء والصفات للبيهقي (٩٦/١)، وفتح الرحيم (١٧)، والحق الواضح (١٧)، والأسنى (٢٤٠).



الأسماء الواردة في السنة المتضمنة للتنزيه والنفي العام

١٢ - (الطيب)

السنة النبوية:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أيَّها الناس إنَّ الله طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً**».[١]

المعنى في اللغة:

الطيب: على بناء فعل، فعله طاب يطيب طيباً فما أطيبه، وما أزكاه، وما أنفسه، ويأتي بمعنى: الطاهر، والطيب: خلاف الخبيث، وأصل الطيب: الزكاة، والطهارة، والسلامة من الخبث، وهو بمعنى: القدوس.[٢]

المعنى في الشرع:

الله جل جلاله هو الطيب الذي لا أطيب منه على الإطلاق:

الطاهر عن كل النقائص، والمعائب، المقدس عن الأدناس، المنزه عن الآفات والشوائب، المطهر لمن شاء من عبيده، بما يمنحهم من توفيقه، ورزقهم من طاعته وتوحيده.[٣]

---

(١) مسلم (١٠١٥).

(٢) لسان العرب (١/٥٦٣)، وكتاب العين (٧/٤٦١) والمصباح المنير (٢١٩ - ٢٢٠)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٧/١٠٠٠).

(٣) انظر: الأسنى (٢٨٧).

فهو تعالى المنزه عن كل وصفٍ خلا عن كمال، أو طيب الثناء،[1] في أي حال من الأحوال، فهو سبحانه: طيب في ذاته، وفي أفعاله، وصفاته، وأسمائه، وأقواله، فكل ما يسمى ويوصف به تعالى طيب على الإطلاق.[2]

وهو سبحانه الطيب في أحكامه العليا الثلاثة: فهو طيب في أحكامه الكونية القدرية، وفي أحكامه الشرعية الدينية، وأحكامه الجزائية.

١٣ ـ (السّبوح)

السنة النبوية:

عن عائشة رضي الله عنها، كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: **(سّبُّوح قدُّوس، ربُّ الملائكة والروح)**.[3]

المعنى في اللغة:

السَّبوح من أبنية المبالغة، على وزن فعول، فعله: سبّح يسبّح تسبيحاً و(سبحان): التنزيه، والتعظيم، والتكبير، والإبعاد، وكل ما جاء في سائر القرآن ذكر (سبحان الله) إلا ومعها: إثبات، ونفي، فالإثبات لأسمائه، والنفي فيما سوى ذلك[4] فالتسبيح هو: التنزيه، وهو: إبعاد عن الموصوف كل سوء ونقص، على جهة التعظيم.[5]

(١) فيض القدير (٢/٢٣٩).

(٢) كتاب الصلاة لابن القيم (١٨٣).

(٣) مسلم (١٠٩١).

(٤) انظر: «منهج اللغويين في تقرير العقيدة (٣٤٩ - ٣٥٢).

(٥) لسان العرب (٢/٤٧١)، ومعجم مقاييس اللغة (٥٠٢)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٨).

المعنى في الشرع:

الله جل جلاله هو السُّبوح: المنزه والمبرأ من كل النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي صفات كماله، وجلاله على الإطلاق، المنزه سبحانه في ذاته: عن الفناء، والزوال، والإحاطة، والمثال، وفي صفاته: عن كل شائبة عيب، أو ذم. وفي أسمائه الحسنى: فليس فيها اسم يتضمن السوء، أو الشر، وفي أفعاله: عن العبث واللهو، والسفه، والخطأ، المنزه عن كل ما لا يليق بألوهيته، من شريك، أو ند، أو ضد.

وفي ربوبيته: عن الولي من الذل، والمعين، أو الظهير، أو النصير، المنزه سبحانه من أن يكون معطلاً عن كماله، في أيّ حال من الأحوال، أو أن يكون كمثله شيء، المبرأ في أمره الكوني، والقدري، والشرعي، والجزائي عن كل نقص، وذم، وظلم، وجور، وعن منافاة الحكمة، وهو الذي يسبحه كل من في الوجود في كل اللحظات، في الأرض والسموات، من الأحياء، والجمادات، باختلاف الأصوات، واللغات ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ (الإسراء)، وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (الجمعة).[1]

والله تعالى هو أعظم المسبحين لنفسه العلية، حيث ورد في القرآن

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/١٦٨)، واللآلي البهية في شرح الواسطية لصالح آل الشيخ (١/١٩١)، والتسبيح في الكتاب والسنة (١/٤٨٠)، و(الجامع) أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها (٥٠٢ - ٥٠٤).

الكريم تسبيح الله تعالى لنفسه المقدسة، في سبعٍ وعشرين آية من تسع عشرة سورة.[1]

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ (الصافات)
وقال عز شأنه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ (البقرة).

١٤ ـ (الوتر)

السنة النبوية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وترٌ يحب الوتر**».[2]

المعنى في اللغة:

الوتر هو: الفرد، أو ما لم يشفع من العدد، أي: كل عدد لا زوج له.[3]

المعنى في الشرع:

الله جل جلاله هو الوتر: الفرد الواحد الذي لا نظير له في ذاته، ولا انقسام[4]، المتفرد في ذاته بالكمال، وعلوها فوق كل الأنام، الذي

(١) التسبيح (٢٤٨/١).
(٢) البخاري (٦٠٤٧).
(٣) اللسان (٢٧٥/٥).
(٤) فتح الباري (٢٢٧/١١).

تفرد بالكمال أعلاه في أسمائه الحسان، وصفاته بالعلا والجلال، وأفعاله بالتمام على الدوام.

وهو سبحانه المتفرد الذي له لا مثيل له، ولا شبيه له، ولا نظير له من الأنام.

وهو الذي تفرد عن الشريك في الألوهية، فهو المستحق وحده للعبودية، والمتفرد في الربوبية، فليس له مشير، ولا وزير، ولا معين من البرية، لكماله على الإطلاق.

المتفرد في الوجود والنعوت بالأزلية بلا بداية، والأخروية بلا نهاية.

فالله تبارك «هو الذي انفرد عن جميع المخلوقات والكائنات بالوترية، فجعل كل ما دونه سبحانه شفعاً من الخليقة، فلا تستقر ولا تعتدل إلا بالزوجية، ولا تهنأ على الفردية والأحدية، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (الذاريات)».[1]

---

(١) انظر: أسماء الله الحسنى. د. الرضواني بتصرف يسير (٣٥٨).



أنواع صفات ربنا سبحانه

تمهيد:

قبل الشروع في بيان أنواع الصفات، ينبغي التعرف على معنى الصفة في اللغة، وفي الاصطلاح.

الصفات: جمع صفة، مشتقة من الفعل وصَفَ، وكلمة «وصف» تطلق في لغة العرب على: تحلية الشيء، ونعته، يقال: وصفت الشيء وصفاً وصفة، إذا حليته، ونعته، وذكرت صفته.[1]

والصفة في اصطلاح أهل الحق: «ما قام بالذات من المعاني والنعوت، وهي في حق الله تعالى نعوت الجلال، والجمال، والعظمة، والكمال، كالقدرة، والإرادة، والعلم، والحكمة».

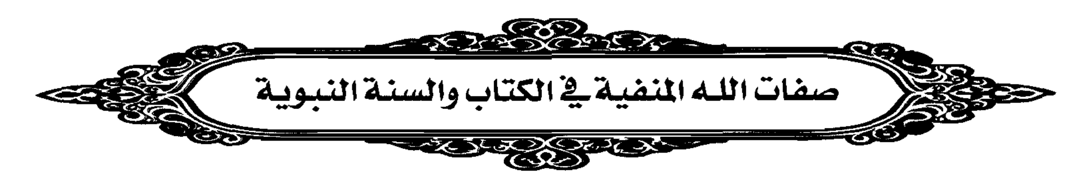
والصفة غير الذات، وزائدة عليها من حيث مفهومها، وتصورها، بيد أنها لا تنفك عن الذات[2] الإلهية، بأي حال من الأحوال، لأن الصفة تتبع الموصوف، إذ يستحيل أن تكون الذات مجردة عن الصفات، وكذلك الصفات مجردة عن الذات.

وهناك تعريف آخر صحيح: «ما قام بالذات الإلهية مما يميزها عن غيرها، ووردت بها نصوص الكتاب والسنة».

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٦/١١٥)، وكتاب العين (٧/١٦٢)، ولسان العرب (٨/٤٨٤٩).

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة، محمد بن أمان الجامي (٨٤).



شرح مفردات التعريف:

أ) «ما قام بالذات»: يخرج من هذا التقييد ما كان من إضافة الملك، والتشريف[1]، إذ الإضافة إلى الله نوعان:

النوع الأول: إضافة ملك وتشريف، وضابطها: كل ما يضاف إلى الله تعالى ويكون عيناً قائمة بنفسها، أو حالاً في ذلك القائم بنفسه، ومثال ما يضاف ويكون عيناً قائمة بنفسها، قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾ (الشمس)، ومثال ما يكون حالاً في ذلك القائم بنفسه قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (الحجر)، فهذا لا يكون صفة، لأن الصفة قائمة بالموصوف لا تنفك عنه.

النوع الثاني: إضافة صفة إلى موصوفها، وضابطها: ما كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به، وهي المقصودة هنا، وهي: إضافة الصفة إلى الله تعالى، فالله لا يتصف إلا بما قام به، لا بما يخلقه في غيره، وهذه حقيقة الصفة، فإن كل موصوف لا يوصف إلا بما قام به، لا بما هو مباين له، صفة لغيره، والضابط في هذا الباب: «أن كل ما يضاف إلى الله تعالى، إن كان عيناً قائمة بنفسها، أو بمخلوق، فهو ملكٌ له مخلوق.

---

(١) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (٣٤)، والصفات الإلهية تعريفها وأقسامها (١٢)، د. محمد بن خليفة التميمي.

وإن كان صفة لا تقوم بنفسها ولا بمخلوق، فهو صفة لله تعالى، كسمعه، وبصره، وعلمه، ووجهه، ويده.[1]

ب) ومعنى بـ «الذات الإلهية»: أصل لفظة «الذات» هو تأنيث «ذو» بمعنى: صاحب، فذات كذا صاحبة كذا، ولهذا لا يقال ذات الشيء إلا لما له صفات ونعوت تضاف إليه. فكأنه يقول: صاحبة هذه الصفات، والنعوت.[2]

وقولنا (مما يميزها عن غيرها): في هذا إشارة إلى وظيفة الصفة، فالله عز وجل وصف نفسه بصفات كثيرة تعرف بها إلى عباده، وهذه الصفات هي التي تميز الخالق عز وجل عما سواه، وتُظهر للعباد كمال الرب عز وجل، وعظمة شأنه، وجلال قدرته، وتزيد العبد معرفة بالله عز وجل.[3]

فبهذا التمييز يفترق ما هو مضاف إليه تعالى من صفات تليق بكماله وجلاله، وما يضاف إليه العباد، فيما يليق بضعفهم، وعجزهم، فإن التشارك بالمسميات والصفات في العموم، لا يعني التساوي في الاختصاص والتقييد، لكل واحد منهما.

ج ـ **«ووردت به نصوص الكتاب والسنة»:** أي يجب الوقوف في هذا الباب العظيم على ما جاء عن الشارع الحكيم، في نصوص (الكتاب)

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/١٤٤- ١٤٦)، (٩/٢٩٠)، (١٧/٣٨٣)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/١٥٥ - ١٦٣)، والصواعق المرسلة (٢/٣٩١ - ٤٢٢)، وزاد المعاد (١/٥٢).

(٢) بدائع الفوائد (٢/٧).

(٣) الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها (١٤).

وفي نصوص (السنة) فلا نتجاوزهما، لأن صفات الله توقيفية كأسمائه الحسنى، فلا مدخل فيها إلى القياس.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث».[1]

وقال الإمام الحافظ الآجري رحمه الله: «إن أهل الحق يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه عز وجل، وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم، وهذا مذهب العلماء ممن اتبع، ولم يبتدع».[2]

قال الشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، وبما وصفه به السابقون الأولون، لا يتجاوز القرآن، والحديث».[3] لأنهم أعلم بنصوص الوحي من غيرهم.

وأختم بتعريف جامع مانع لصفات ربنا العظيم:

إن الصفة: «هي المعنى القائم بالله تبارك وتعالى مما وصف ونعت به نفسه، أو رسوله ﷺ، مما يدل على الكمال المطلق، سواء كان من صفات الذات، أو صفات الفعل، وتنزيهها عن كل ما يناقض كمالها، وجلالها، عن كل عيب، ونقص وسوء، ومثيل، وشبيه، وعديل، متوحد بذلك وحده، لا شريك له سبحانه في ذلك من أحد من خلقه».

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/٢٦).

(٢) الشريعة (٢/١٠٥١).

(٣) الفتوى الحموية (٢٧١).

ومعنى قولنا: «**تنزيهه عن كل عيب..**»: لأن ربنا عز شأنه كما تقدم بيانه، موصوف بصفات الإثبات، وموصوف بصفات النفي، فبهذا التعريف: يدخل كل أنواع الصفات التي يتصف بها ربنا عز وجل، وهي كما سيأتي: الثبوتية بنوعيها، والمنفية كذلك بنوعيها، والله أعلم.

تقسيم أهل السنة والجماعة صفات الله سبحانه:

ينبغي أن يعلم أن أهل السنة والجماعة لم يكونوا يخوضون في باب الأسماء الحسنى والصفات عموماً بذكر التقسيمات، وتفريع المسائل، وكثرة الكلام في هذا الباب الخطير، المتعلق بذات ربنا العظيم، بل كانوا يتكلمون فيه تقريراً ورداً بقدر الحاجة فقط، بل لا يكادون يتجاوزون الكتاب والسنة في مبحث الصفات، فلما كثرت المقالات المخالفة في الكتاب والسنة، وهو كما تقدم انتشار علم الكلام وظهرت البدع، وانتشرت، ابتلي سلف الأمة في الرد عليهم[1] بأسلوبهم المقعد والمتأصل من نور الوحي، فاضطروا بذلك إلى تقسيم الصفات، على وفق أسس التقوى والهدى كما قال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ (التوبة).

يقول الإمام السلفي، تقي الدين أحمد على المقريزي رحمه الله

(١) انظر: الصفات الإلهية للشيخ الجامي رحمه الله (١٩٩).

تعالى: «بل كلهم (أي الصحابة رضي الله عنهم) فهموا معنى ذلك (أي: معنى ما وصف به جل جلاله) وسكتوا عن الكلام في الصفات، ولا فرَّق أحد منهم بين كونها صفات ذات، أو صفات فعل، وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية، من العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والجلال، والإكرام، والجود، والإنعام، والعز، والعظمة، وساقوا الكلام سوقاً واحداً، وهكذا أثبتوا رضي الله عنهم ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة، من اليد، والوجه، ونحو ذلك، مع نفي مماثلة المخلوقين، فأثبتوا رضي الله عنهم بلا تشبيه، ونزهوا من غير تعطيل، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم إلى تأويل الصفات كما وردت...».(١)

فلما كان كما تقدم أن أشرف العلوم، وأسماها، وأعلاها، توحيد الأسماء والصفات، فكذلك فإن أجل القواعد، وأهمها، قواعد هذا العلم الجليل، فهي أجل من قواعد باقي العلوم على الإطلاق، لجلالة متعلقها، مما لا يخفى، فلهذا أصَّل أهل السنة والجماعة قواعد، وضوابط على وفق نور الوحي، يفهمه الجميع لسلامته من الأغلوطات، والتأويلات الفاسدة.

بخلاف الخلف الذين أولعوا بتقسيم الصفات وتنويعها إلى أنواع كثيرة مضطربة لأنها مخالفة لما جاء به منهج القرآن الكريم، والسنة المطهرة من سيد المرسلين.

---

(١) الخطط المقريزية (٢/٣٥٦).

واعلم رحمني الله تعالى وإياك أن هذه القواعد والأصول ينبغي فهمهما، ومدارستها، ومذاكرتها، لأنها تتعلق كما سبق بأجل معلوم في الوجود، على الوجوب، وهو: ربنا جل جلاله، فبذلك يسلم العبد من الزلل والخلل في أهم الأبواب على الإطلاق، وهو القول على الله تعالى فيما يستحقه من أوصاف الكمال الجلال، وفي ما لا يستحقه من أوصاف النقائص والعيوب المذام، فجاء هذا التقسيم منهم لصون كمال الله تعالى من كل وجه، والنفي عنه كل سوء ونقص، من كل وجه، وهذا غاية الكمال في القيام بالعبودية لله تعالى وإخلاص له الدين، الذي هو أوجب الواجبات، وأهم المهمات.

أقسام صفات رب العالمين:

تنقسم صفات ربنا عز شأنه عموماً إلى قسمين:

الأول: صفات كمال.

الثاني: صفات نقص.

قال شيخ الإسلام: «الصفات نوعان:

أحدهما: صفات نقص، فهذه يجب تنزيهه عنها مطلقاً، كالموت، والعجز والجهل.

الثاني: صفات كمال، فهذه يمتنع أن يماثله فيها شيء».[1]

(١) انظر: الصفدية (١٠٢/١)، ومنهاج السنة النبوية (٥٣٢/٢).

وتنقسم صفات ربنا العظيم باعتبار ما تشتمل عليه من المعاني الوجودية والعدمية إلى نوعين:

النوع الأول: الصفات الثبوتية.

النوع الثاني: الصفات المنفية (السلبية)[1]، وسنتكلم عنها بالتفصيل لاحقاً.

وتنقسم الصفات باعتبار ملازمتها للذات، أو باعتبار تعلقها بمشيئة الله تعالى وعدمه، إلى ثلاثة أنواع:

صفات ذاتية، وصفات فعلية، وصفات ذاتية وفعلية:

النوع الأول: الصفات الذاتية.

وهي الصفات التي لا تنفك عن الله عز وجل أزلاً وأبداً، فهو متصف سبحانه بها في كل حال، ولا تدخل في مشيئته، وإرادته، وفعله، كحياته، وجبروته، وعلوه، ويديه، ووجهه، وأصابعه، وعينيه، وقدمه، وساقه، وغيرها من أوصاف الذات العلا.

النوع الثاني: صفات فعلية:

وهي الصفات التي تتعلق بمشيئته، وقدرته، المقترنة بحكمته، وهذه

---

(١) يرى صاحب الكتاب النفيس «النفي في باب صفات الله» أرزوقي سعيداني: أن الأسلم عدم إطلاق على الصفات المنفية بـ «السلبية» لأن بين السلب والنفي في اللغة فرقاً من جهة المعنى، وذلك أن السلب يطلق على أخذ الشيء ونزعه بقهر أو خلسة، عكس النفي فإنه مطلق التنحية والرد والإبعاد، فإنه قد يفهم من التعبير بالسلبية: أن هناك من سلب هذه الصفات ، وهو ملحظ مهم جداً من جهة المعنى (١٠٠).

الصفات قد تنفك عن الله تعالى، بمعنى: أنه يكون متصفاً بها في حال دون حال، بمعنى أنه إذا شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، فهي مقترنة بحكمته، فمتى اقتضت حكمته فعلها سبحانه، وإن لم تقتض لم يفعلها، مثل استوائه على العرش، ونزوله إلى السماء الدنيا، ومجيئه يوم القيامة، وغضبه، ورضاه، وفرحه، وستره، ومحبته، وغيرها، وصفات الأفعال أزلية النوع، أي: أنها تحذو حذو الذات في قدمها وأزليتها، ومن جهة إفرادها فهي متجددة شيئاً فشيئاً.

النوع الثالث: الصفات الذاتية الفعلية:

وهي الصفات التي تكون ذاتية باعتبار، وفعلية باعتبار آخر: كصفة الكلام سبحانه، فإنه باعتبار أصله، ونوعه: صفة ذاتية أزلية، لا تنفك عن الله تعالى بأي حال، لأنه تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاد الكلام، وإفراده صفة: فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته وإرادته، فهو يتكلم عز شأنه متى شاء، وكيف شاء، وبما شاء.

وتسمى الصفات الفعلية: بالصفات الاختيارية، والأفعال الاختيارية أيضاً، لأن صفاته تعالى كما تقدم تقع بمشيئته وباختياره وإرادته، فلا يكون شيء دون اختياره، وأمره سبحانه وتعالى،

وتنقسم صفات ربنا الجليلة الفعلية من جهة تعلقها بمتعلقها، إلى قسمين:

النوع الأول: صفات فعلية متعدية، أي: متعلقة بخلقه، وهي ما

تعدت لمفعولها بلا حرف جر، مثل: الخلق، والرزق، والإعطاء، والمنع، والهداية، والإضلال، والنصر، والتنزيل، وأنواع التدابير الكونية، والشرعية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ (إبراهيم).

النوع الثاني: صفات فعلية لازمة: وهذا النوع متعلق بذاته المقدسة العلية، وهي: ما تتعدى لمفعولها بحرف جر، كالاستواء على العرش، والنزول كل ليلة إلى السماء الدنيا، والإتيان والمجيء لفصل القضاء يوم القيامة، وغيرها: كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ (طه)، وقال عز شأنه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ (الفجر)، فالاستواء والنزول كلها أفعال، ولم يعدها إلى المخلوق، فدل على أن الله تعالى متصفٌ بالأفعال اللازمة، التي لا تتعدى للمخلوق، ومتصف سبحانه بالأفعال المتعدية، التي تتعدى إلى المخلوقين، فقسمت هذه الصفات كذلك نظراً للاستعمال القرآني من جهة، ولكونها في اللغة كذلك.[1]

وقد جمع سبحانه بين هذين النوعين في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ﴾ (الحديد: ٤)، وكلاهما حاصل بمشيئته، وقدرته، وهو متصف به.[2]

---

(١) انظر ما تقدم: مجموع الفتاوى (٣/٣٥ - ٨٣)، (٦/٦٨ - ٢٣٣)، (٨/١٦-١٨)، (١٧/٣٢٥)، والتسعينية (١/١٥٧)، ودرء تعارض العقل والنقل (٣/٣٢١)، والحجة في بيان المحجة (١/٣٢٨)، ومختصر الصواعق المرسلة (٢/٢٩٦)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢٧) والقواعد المثلى (٢١ - ٢٥)، والقواعد والضوابط السلفية في أسماء وصفات رب البرية (١٩٠ - ١٩٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٢٣٣).

قال ابن القيم: «فأفعاله نوعان: لازمة، ومتعدية، كما دلت النصوص التي هي أكثر من أن تحصر على النوعين».[1]

الفرق بين الصفات الذاتية والفعلية:

الأول: أن الصفات الذاتية تعتبر من لوازم الذات لا تنفك عنها بأي وجه من الوجوه.

الثاني: أن الصفات الفعلية ليست من لوازم الذات، ويمكن أن تنفك عنه على معنى: إن الله تعالى إذا شاء فعلها، وإن لم يشأ لم يفعلها.

الثالث: أن الصفات الذاتية لا تتعلق بالمشيئة والإرادة.

الرابع: أن الصفات الفعلية تتعلق بمشيئته وإرادته.

الخامس: أن الصفات الفعلية ترجع إلى الصفات الذاتية، فهي راجعة إلى مشيئة الله وإرادته.

السادس: أن النوعين يجتمعان في أنهما صفات له تعالى أزلاً وأبداً، لم يزل يتصف بهما ماضياً، ومستقبلاً كما يليق بجلال رب العالمين.

السابع: أن مرجع جميع الصفات الذاتية إلى اسمه سبحانه «الحي».

الثامن: أن مرجع جميع الصفات الفعلية إلى اسمه تعالى «القيوم».

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٢٢٩)، وانظر في مجموع الفتاوى (٦/٢٣٣)، و (٨/١٨-١٩).

التاسع: أن صفات الذات متعلقة بالذات، وصفات الأفعال متصفة بها الذات، ومتعلقة بما ينشأ عنها من الأقوال، والأفعال.[1]

العاشر: «أن صفات الذات ثابتة بالشرع والعقل، وأما صفات الأفعال فمنها ما هو ثابت بالعقل والشرع: كالخلق، والرزق، ونحوهما، ومنها: ما هو ثابت بالشرع، وإن كان العقل لا يدل على خلاف ما دل عليه الشرع، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا».[2] كما سيأتي لاحقاً.

وتنقسم الصفات الإلهية من حيث أدلة ثبوتها إلى قسمين:

القسم الأول: هي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي والنقلي، والدليل العقلي والفطري، وهي أكثر صفات الرب تعالى، بل أغلب الصفات الثبوتية يشترك فيها الدليلان السمعي، والعقلي. وإن كان الأصل في ثبوتها الدليل الشرعي، ومنها: السمع، والبصر، والعلم، والإرادة، والقدرة، والعلو، والحياة، والربوبية، والألوهية، وسميت «شرعية عقلية»، شرعية لأن الشرع دلّ عليها، أو أرشد إليها.

وعقلية: لأنها تعلم صحتها بالعقل، ولا يقال إنها لم تعلم إلا بمجرد الخبر، فإذا أخبر الله تعالى بالشيء، ودلَّ عليه بالدلالات العقلية صار

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١٢٧)، والحق الواضح (١٠٠ - ١٠١)، والكواشف الجلية (٧٤)، والقواعد الكلية للأسماء والصفات (٨٨).

(٢) القواعد الكلية (٩٢).

مدلولاً عليه بخبره، ومدلولاً عليه بدليل العقل الذي يعلم به، فيصير ثابتاً بالسمع والعقل، وكلاهما داخل في دلالة القرآن، التي تسمى الدلالة الشرعية.

القسم الثاني: الصفات الخبرية، وتسمى: النقلية والسمعية، وهي: التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع والخبر عن الله تعالى، أو عن رسوله الأمين ﷺ، أي: لا سبيل للعقل على انفراده إلى إثباتها لولا الأخبار المنقولة عن الله، وعن رسوله ﷺ، بيد أن العقل الصحيح الصريح لا يعارضها، بل يؤيدها، مثل الوجه، واليد، والعين، والقدم، والساق، والغضب، والقبض، والأصابع، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا كل ليلة.

وهي تنقسم إلى نوعين:

الأول: ذاتية، مثل: الوجه، اليد، العين، القدم، الساق، الأصابع.

الثاني: فعلية، مثل: النزول، الاستواء، الغضب، الفرح، الضحك، المحبة، والكراهية.[1]

ويدخل في هذا التقسيم كذلك: الصفات المنفية كما سيأتي، فمنها ما هي نفي سمعي وعقلي، مثل: نفي الموت، والنوم، والظلم، والعجز، والغفلة، والإعياء والتعب.

---

(١) انظر: الصفات الإلهية للجامي (٢٠٧)، ومجموع الفتاوى (٧١/٦)، والقواعد الكلية (٩٢)، والصفات الإلهية للتميمي (٧١).

ومنها: نفي سمعي محض: «كسلب كون الله سبحانه مرئياً بالأبصار يقظة في هذه الحياة الدنيا».[1]

وبعد هذا التقسيم الذي نقلناه من تقسيم الطائفة المنصورة المقعد من النصوص الشرعية، نأتي إلى أهم تقسيم في مادة بحثنا.

تقدم بيان أنواع صفات الرب جل ثناؤه، وأنها تنقسم إلى قسمين: صفات ثبوتية، وصفات منفية.

فالثبوتية هي: الصفات التي تدل على معنى ثبوتي ووجودي.

والصفات المنفية، أو (السلبية)[2]: هي نفي صفات النقائص والعيوب.

والمراد بالصفات الثبوتية: هي ما أثبته الله تعالى لنفسه العلية في كتابه الحكيم، أو أثبته له رسوله الأمين ﷺ من صفات الكمال، وهي صفات الثناء، والحمد، والمجد، كالحياة، والعلم، والاستواء على العرش، وغير ذلك، وهذا النوع هو المقصود الأعظم، والأتم، والأجل، والأهم، لأنه كلما كثر الإخبار عنها، وتنوعت دلالتها، ظهر من كمال الموصوف بها، ما لم يكن معلوماً من قبل، ما هو أكثر، لأن وصف الله تعالى بصفات الإثبات، أدل على الكمال من وصفه بصفات النفي، لأن الإثبات أمر وجودي، يقتضي تنوع الكمالات في حقه سبحانه، بخلاف النفي، فهو أمر عدمي، لا يقتضي كمالاً إلا إذا تضمن إثباتاً، ولهذا

---

(١) انظر: عداء الماتريدية للعقيدة السلفية د. شمس الدين الأفغاني (٢/٤٢٣).

(٢) وقد علمت أن من سمى الصفات المنفية (بالسلبية) غير مصيب لأن في معنى السلب: أخذ الشيء ونزعه بقهر، وخلسة، وهذا خلاف الكمال في المفهوم الصحيح السليم، الذي يستحقه ربنا.

كانت الصفات الثبوتية هي الأغلب، والأكثر، في الكتاب والسنة من الصفات المنفية.

والمراد بالصفات المنفية: ما نفاه الله تعالى عن نفسه الجليلة في كتابه، ورسوله ﷺ في سنته، من النقائص والمذام، التي تنافي كمال الله تعالى على الدوام، كنفي: الموت، والعجز، والجهل، والنسيان، وغير ذلك.

وهذا النوع وسيلة ومقصود لغيره: أي: وسيلة وتتميم وحفظ للصفات الثبوتية، فإن المقصود الأعظم من التوحيد إثبات أوصاف الكمال والجلال التي لا تعد، ولا تُحصى، فإن جميع ما ينزه الله تعالى عنه من النقائص، فإنما ذلك لأجل ثبوت كمال ضده من الأوصاف الحميدة، والأفعال الرشيدة.[1]

ومعنى النقائص كما في تعريف الصفات المنفية.

أن النقائص هي: جمع، مفردها: نقيصة، وهي فعيلة من النقص، وتطلق في اللغة على عدة معان.

أحدها: الخصلة الدنيئة.

الثاني: العيب.

الثالث: الضعف.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/١١٢-٣٢٥)، والكافية الشافية (١١٦)، والحق الواضح (٧ - ٨)، وتقريب التدمرية (١٦، ٣٣)، وشرح القواعد المثلى (١٣٠) لابن عثيمين.

الرابع: الخسران في الحظ.

الخامس: الوقيعة، يقال فلان ينتقص فلاناً، أي: يقع فيه ويثلبه.[1]

والمعنى الجامع لما سبق، أن النقائص: هي الأوصاف والخصال، تدور على الذم، وعدم الكمال.[2]

ضوابط صفات النفي:

هناك عدة ضوابط تضبط في هذا الباب الجليل من الاستقراء في الكتاب والسنة، ويمكن إجمالها في ثلاثة أمور:

الأول: نفي كل صفة عيب، أو نقص: كالعمى، والصمم، والخرس، والنوم، والموت... ونحو ذلك، فهو جل جلاله مبرأ عن كل الأدناس، بريء عن كل الآفات والشوائب، منزه عما يجوز على المخلوقين من المذام.

الثاني: نفي كل نقص في كماله: كنقص حياته، أو علمه، أو قدرته، أو عزته، أو حكمته... أو نحو ذلك، فيعلم أن له سبحانه الكمال المطلق الذي لا يمكن التعبير عن عظمته، وكنهه، وأن له من ذلك الكمال غايته، ومنتهاه، وأكمله.

الثالث: نفي مماثلة المخلوقين، كأن يجعل: علمه كعلم المخلوق، أو وجهه كوجه المخلوق، أو استواءه على عرشه كاستواء المخلوق... ونحو

---

(١) انظر: لسان العرب (٧/١٠١)، والقاموس المحيط (٨١٧)، والصحاح (١٠٤٦)، وتاج العروس (١٨/١٨٨).

(٢) معارج القبول للحكمي (١/٧٤).

ذلك، فهو تعالى ليس له شبيه، ولا عديل، ولا مكافئ، ولا مقابل من أحد من خلقه، فهو تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى: ١١).[١]

فمن أدلة انتفاء الأول عنه، قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (النحل: ٦٠) فإن ثبوت المثل الأعلى له، وهو الوصف الأعلى - يستلزم انتفاء كل صفة عيب.

ومن أدلة انتفاء الثاني، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ (ق).

ومن أدلة انتفاء الثالث، قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى: ١١).[٢]

معاني التنزيه التي جاءت في الكتاب والسنة:

الصفات المنفية التي جاءت عن الشارع الحكيم في تنزيه رب العالمين، هي: ما يوجب النقص، والعيب، والسوء. والذم في حقه سبحانه وتعالى، من الأسماء، والصفات، والأفعال، والأقوال، وهو كل ما ينافي ويضاد، من أوصاف الكمال، الثابتة لله تعالى.

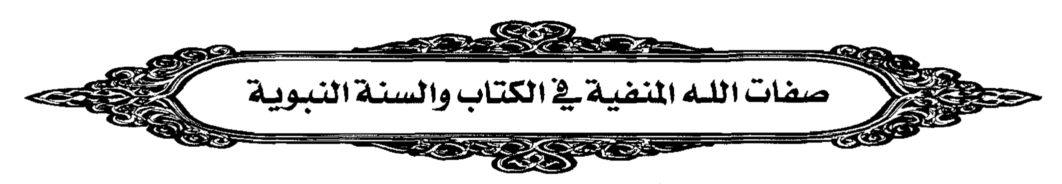
ويمكن حصرها في نوعين من التنزيه:

النوع الأول: تنزيه الله تعالى عن النقائص والعيوب المنافية لصفات كماله، وهو كما تقدم في أسمائه، وأفعاله، وأقواله، وصفاته.

---

(١) التدمرية (١١٦)، وانظر الحق الواضح (١٣ - ١٤)، والكافية الشافيه (١١٥) بتصرف.

(٢) انظر: تقريب التدمرية (٩٢).



النوع الثاني: تنزيه الله تعالى عن مماثلة، أو مشابهة شيء من الأشياء، فيما يستحقه من صفات الكمال.(1)

يقول العلامة ابن السعدي رحمه الله: «وهذا النوع (أي: توحيد الأنبياء والمرسلين) مبني على أصلين عظيمين: أحدهما: تنزيه الباري وتقديسه عما لا يليق بجلاله، وما ينافي كماله، وحاصل هذا النوع يعود إلى تنزيه الله عن مشاركة أحد من المخلوقين له في شيء من صفات كماله، أو في حق من حقوقه، وخصائصه، وإلى حفظ صفات كماله عن أمور ثلاثة:

الأول: عن تشبيهها بصفات المخلوقين.

الثاني: أو نفيها عن الله تعالى.

الثالث: أو نفي بعض معانيها ...».(2)

الأحوال التي تذكر فيها الصفات المنفية:

قبل الشروع في ذكر هذه الأحوال، فإنه لابد أن ننوه أنه بالاستقراء في أدلة الكتاب والسنة، «أن تنزيه الله تبارك وتعالى الغالب فيها جاء في سياق الإجمال، لأن ذلك أبلغ في تعظيم

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٣٢٩) (١٦/٤٢٥)، وبيان تلبيس الجهمية (١/٣٧٨)، ومنهاج السنة النبوية (٢/١٨٦)، وشرح العقيدة الأصبهانية (٤٣٢)، وشفاء العليل (٢/١٢٩ - ١٩١)، والحق الواضح (٩ - ٧)، وتوضيح الكافية الشافية (١١٥).

(2) توضيح الكافية (١١٥).



الموصوف، وأكمل في التنزيه»[1]، وإن التنزيه المفصل جاء بنفي أمور معينة مخصوصة عنه سبحانه، لمنافاتها الكمال والجلال الواجب لله تبارك وتعالى.[2]

فالتفصيل الذي جاء فيهما لأسباب اقتضته، هو من الهدى والرشد والبيان للناس في هذا الباب الجليل، الذي هو أشرف العلوم في التنزيل، الذي جاء فيه البيان من الشارع الحكيم.

لذا فإن الصفات المنفية الواردة في نصوص الكتاب والسنة تذكر غالباً في أربعة أحوال، وهي:

الأول: بيان عموم كمال الله عز وجل:

وهو سبب للنفي المجمل: ينفي جميع النقائص والعيوب عنه تعالى على سبيل العموم والشمول لكل فرد من أفراد ما يضاد الكمال من النقائص، غير مخصصة لصفة معينة، والمخصص بصفة معينة لا يكون إلا لسبب كما سيأتي، وهذا هو الغالب في الصفات المنفية، كما في قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى) فقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: فلم يقل عز وجل: ليس كمثله شيء في كذا وكذا من صفات العيوب، بل عمم النفي، فالنفي هنا مجمل، وهذا مدح مما لا شك فيه، أما النفي المفصل: فهو العيب حقاً.

(١) تقريب التدمرية (١٦).

(٢) كما سيأتي تفصيلاً في القاعدة الثانية.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ (مريم)، وقوله عز شأنه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ (الإخلاص).[1]

تضمنت هذه الآيات الكريمة جملة من الصفات (المنفية)، فنفت عن الله سبحانه السمي، والكفئ، والنظير، والنديد، والولد، والشريك.

فقوله تعالى كما في سورة مريم: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾:

(سمياً)، أي: نظيراً استحق مثل اسمه، ويقال: مسامياً يساميه، وهذا المعنى، ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾، يقول: «هل تعلم للرب مثلاً، وشبيهاً».[2]

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾، الكفئ هو: المساوي، فهذه الآية تنفي عنه سبحانه النظير، والشبيه من كل وجه، لأن (أحداً) وقعت نكرة في سياق النفي، فيعم[3]، أي: فيعم كل ما سوى الله تعالى، فليس سوى الله تعالى أحد يساوي ويماثل الله تبارك وتعالى في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في سلطانه، ولا في حق من حقوقه العليَّة.

الثاني: نفي ما ادعاه الكاذبون في حق الله تعالى من النقائص:

هذا المطلب من الأسباب المقتضية للتفصيل في النفي في الكتاب

---

(١) شرح القواعد المثلى (١٣٥)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١٤١/٢).

(٢) التفسير الصحيح (٣٤٥/٣).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (١٠٢/٢-١٠٣).

والسنة، فإن الكفار من أهل الكتاب من اليهود، والنصارى، ومن المشركين، قد افتروا على الله تعالى أموراً عظاماً، من شناعتها أن تهمَّ السموات على عظمتها بالتشقق والانفطار وتنشق من هولها، وتخر وتدك الجبال الراسخات على صلابتها، وهذا التنزيه مما ينافي وحدانيته، وألوهيته، وكمال صفاته سبحانه، فكذَّبهم الله جل جلاله في دعواهم، ونزَّه نفسه المعظَّمة المقدسة مما ادعوه، وافتروه، مما لا يليق بجلاله، وعظمته، وكبريائه، فمن ذلك:

١ - الولد:

كما قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا[1] ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ (مريم).

٢ - الصاحبة:

كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ (الجن)

وغيرها من الآيات الكثيرة، التي نفى الله سبحانه اتخاذ (الصاحبة) والولد، وهذا يشمل الذكر، والأنثى، ففيه رد على اليهود والنصارى والمشركين، اليهود قالوا: لله ولد، وهو عزير!

والنصارى قالوا: لله ولد، وهو المسيح، (والصاحبة: أمه).

---

(١) أي: عظيماً ووخيماً تفسير السعدي (٥٠١)، وأصل الهدّ: هدم له وقع، وسقوط شيء ثقيل، والهدَّه: صوت وقعه، المفردات (٨٣٤).

والمشركون قالوا: لله ولد، وهم الملائكة[1] وخصوه بأقل الجنسين وهم البنات.

٣ ـ نفي الفقر:

كما ادعاه اليهود قال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ (آل عمران).

٤ ـ البخل:

وهو كسابقه من دعوى اليهود المفترين قال الله العظيم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ (المائدة: ٦٤)

٥ ـ الأنداد:

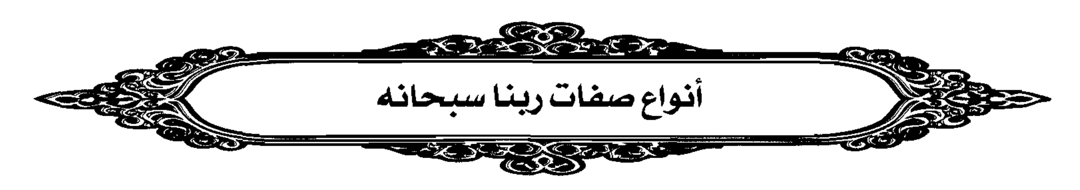
وهي من النقائص التي نفاها عن نفسه تعالى، ما ادعاه الكاذبون في حقه سبحانه: الأنداد، والأضداد، قال سبحانه: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (البقرة).

(أنداداً)، جمع: ند، وهو: النظير المناوئ، ويقال: ليس لله ند، ولا ضد، والمراد: نفي ما يكافئه، ويناوئه، ونفي ما يضاده، وينافيه.[2]

---

(١) انظر: شرح القواعد المثلى (١٣٥)، وأحكام من القرآن الحكيم (٢٩٨)، وتقريب التدمرية (٢١). و شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١٤٤/٢).

(٢) عمدة الحفاظ (١٥٥/٤ - ١٥٦)، وانظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (١٠٤/٢).



٦ـ الشريك:

من النقائص التي نزه الله تعالى عن نفسه اتخاذ الشريك، قال سبحانه: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (المؤمنون).

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ (الإسراء: ١١١).

أي: ليس له شريك في الملك، ولا في الخلق، ولا في التدبير من أي وجه من الوجوه، لأن (شريك) نكرة، سبقها نفي فيعم، والشريك هو: خلط الملكين، وهو أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً، عيناً كان ذلك الشيء، أو معنى.[1]

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي نفى الله عن نفسه.

ما ادعاه المكذبون بمختلف أصنافهم من أهل الكتاب، والمشركين، والمفترين، والأفاكين، تعالى الله ربنا جل جلاله عن قولهم علواً كبيراً.

الثالث: دفع توهم النقص في كمال الله تبارك وتعالى:

أو بعبارة أخرى: «دفع توهم نقص في كماله سبحانه فيما يتعلق بهذا الأمر المعين (وهو كسابقه: نفي مفصل لدفع توهم النقص في بعض صفات الله) كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (الدخان).

---

(١) المفردات (٤٥١).

وقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (ق).

ففي الآية الأولى: نفى النقص في الإرادة، وفي الثانية: نفى النقص في الفعل».[1]

١ ـ نفي العبث واللعب:

كما في الآية الأولى: نفى الله سبحانه عن نفسه العبث، واللعب، ومن ذلك: أنه خلق السموات والأرض بغير حكمة، ولا فائدة، كما يظن بعض الكفرة، فإنه مناف لكمال حكمته، وعظمته، وجلاله.

٢ ـ نفي الإعياء والتعب:

كما في الآية الثانية: نفى عن نفسه سبحانه الإعياء والتعب بعد خلق السموات والأرض، وهذا النفي يتضمن كمال قدرته، وقوته، ونفوذ إرادته ومشيئته.[2]

٣ ـ نفي النسيان:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ (مريم).

فنفى اللّه تعالى عن نفسه النسيان، وهو ضد الذكر، والغفلة، والوهم لكمال علمه، وحفظه، وإحاطته لكل شيء.

(١) انظر: شرح القواعد المثلى (١٣٥ - ١٣٦)، وتقريب التدمرية (١٧)، وشرح العقيدة الواسطية (١٤٦/١).

(٢) الإعياء: عجز يلحق البدن من المشي، والعي: عجز يلحق من تولى الأمر والكلام، يقال: عيي بالأمر وعن حجته، عجز عنها. المفردات (٦٠٠)، والمصباح المنير (٢٥٥).

ومن الصفات التي نفى الله تعالى عن نفسه ما توهم النقص في حقه:

٤ ـ نفي الموت:

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (الفرقان: ٥٨).

وهذا النفي يتضمن كمال حياته، وقيوميته.

٥ ـ نفي الصمم.

٦ ـ ونفي الغيْبة.

٧ ـ ونفي الظلم.

وغيرها كما سيأتي مفصلاً إن شاء الله تعالى.

«فهذا التفصيل في النفي لئلا يتوهم واهم أن الله عز وجل قد لحقه النقص في كمال صفة من صفاته، فنفى هذا الأمر المعين».[1]

الرابع: ذكرها في سياق تهديد الكافرين:

هذه الحالة الرابعة التي ترد فيها الصفات المنفية (مفصلةً) غالباً، ذكرها في سياق تهديد الكافرين، بنفي ما قد يتوهمونه من إفلاتهم من العقوبة التي يستحقونها، لأنهم قد يظنون كذباً وزوراً أن الله تعالى لا يطلع على أعمالهم، أو أنه لا يقدر على عقوبتهم.

---

(١) انظر: تقريب التدمرية (٩٨)، والنفي في صفات الله عز وجل (١١٨).



فمن ذلك: قوله تعالى في آيات كثيرة: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ (البقرة: ٧٤ ـ ٨٥ ـ ١٤٩) (وآل عمران: ٩٩).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ (إبراهيم: ٤٢).[١]

توعدهم الله تعالى في هذه الآيات البينات أشدَّ الوعيد، بأنه عالم ومحيط بأعمالهم، ونياتهم، حافظ لها، صغيرها وكبيرها، لا يغفل عن شيء منها، وسيجازيهم عليها أتم الجزاء وأوفاه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.[٢]

ومن الآيات الدالة على هذا المطلب: قوله سبحانه: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (الزخرف).

أي: يحسبون بجهلهم وظلمهم، أن الله سبحانه لا يسمع ما أخفوا عن الناس، الذي لم يتكلموا به، بل هو سر في قلوبهم، وكلامهم الخفي الذي يتناجون به، فلذلك أقدموا على المعاصي، وظنوا أنها لا تبعة لها، ولا مجازاة على ما خفي منهم، فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا، فردَّ الله تعالى عليهم بقوله:

﴿بَلَىٰ﴾، أي: إنا نعلم سرهم ونجواهم، ﴿وَرُسُلُنَا﴾ وهم الملائكة الموكلون بكتابة أعمال العباد ﴿لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾: يكتبون كل ما نطقوا به، وكل ما

---

(١) النفي في باب صفات الله عز وجل (١١٨- ١١٩).
(٢) تفسير السعدي (٥٥، ٧٣، ١٤١).

عملوا من صغيرة وكبيرة، وسيحفظ ذلك عليهم، حتى يردوا القيامة، فيجدوا ما عملوا حاضراً، ولا يظلم ربك أحداً.[١]

فالله تعالى إنما نفى عن نفسه هذه النقائص في هذه الأمثلة، تهديداً، ووعيداً لهؤلاء الكفار، الذين يتوهمون في حق الله تعالى بعض النقائص، فيأتي هذا التهديد والوعيد منه تعالى، في سياق نفي النقص عنه من الذين قال فيهم سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ (الزمر: ٦٧).

فتبين من خلال هذه المطالب، أن الصفات المنفية لها أربعة أسباب، واحد منها للنفي المجمل، وثلاثة أسباب للنفي المفصل.[٢]

وأن النفي لا يرد في صفات الله عز وجل إلا على سبيل العموم، غير مخصص بصفة معينة، أو على سبيل الخصوص لسبب (يقتضيه، أو لمناسبة تتطلبه)، والمخصص بصفة معينة لا يكون إلا لسبب، مثل: تكذيب المدعين بأن الله اتصف بهذه الصفة التي نفاها عن نفسه، أو دفع توهم هذه الصفة التي نفاها..[٣]

وهذا النفي في التفصيل لا يدل على النفي المحض، الذي لا يتضمن ثبوتاً، بل هو من إثبات الكمال ضد المنفي عن الله تعالى. كما سيأتي.

ولذا فإن هذا النوع من النفي، أي: نفي المفصل الذي جاء في نفي

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/٥٣٧)، وتفسير السعدي (٧٧٠).

(٢) النفي في باب صفات الله (١١٩).

(٣) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/١٤٥ - ١٤٦).

النقائص عن الله تعالى، من الأصول العظيمة في باب صفات ربنا جل جلاله الكمالية، والتي تزيد المعرفة، والتعظيم، في تحقيق العبودية الظاهرة والباطنة، لله رب العالمين.

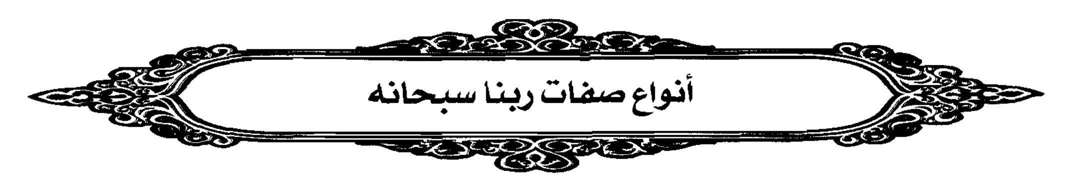
فإنه كما تقدم، أن «من أعظم أوصاف الله تعالى التي قررها الكتاب والسنة نزاهته سبحانه من النقائص والعيوب كلها، وبراءته من الأقوال السيئة، والأفعال الذميمة جميعها، وتعاليه عن أن يكون له مماثلٍ، أو مساوٍ، أو معاونٍ، فالتنزيه عند أهل السنة والجماعة أمر لازم للإثبات، ومتمم له، وليس مستقلاً عنه، إذ أن المقصود بالتنزيه صون كمال الله تعالى، من أن يظن فيه نقص، أو عيب، ومن أن يتوهم فيه مثال أو كيفية، والباعث على هذا التنزيه هو التعظيم والجلال لله سبحانه، والجزم بأن له المثل الأعلى في السموات والأرض».[1]

ولذا فإن الصفات السلبية: تأكيد لصفات الكمال، لأنها تتضمن ثبوت الصفات الكمالية الخالية من هذه الصفة التي بالنقص، ولهذا ما من نفي في صفات الله، إلا وهو متضمن لإثبات كمال ضده[2] كما في قوله تعالى ﴿والحمدلله رب العالمين﴾ بعد قوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ (الصافات) فأثبت لنفسه سبحانه صفات

---

(١) التسبيح في الكتاب والسنة (١/١٦٨ - ١٦٩) (٢/٤٧٩)، وانظر الكافية الشافية (١١٥ - ١١٦)، وطريق الهجرتين (٢٥١).

(٢) تفسير سورة (سبأ) لابن عثيمين (٧/٥٩٦ - ٥٩٧).



الكمال، بعد أن نفى عن نفسه صفات النقص، ليجمع فيما وصفه به بين النفي والإثبات.[1]

أنواع النقائص المنفية عن الله جل جلاله:

لقد تقدم بيان ذكر بعض صفات النقائص التي تنفي عن الله تعالى، فهو يصدق على أشياء متعددة، غير منحصرة بفرد واحد منها، فقد قسَّم بعض أهل العلم من المحققين أن جميع ما ينزه الله تعالى عنه من النقائص والعيوب على نوعين:

النوع الأول: نفي النقائص المتصلة.

النوع الثاني: نفي النقائص المنفصلة.

وقبل البدء في شرح هذين النوعين، ينبغي أن يعلم أن نفي النقائص والعيوب التي تتصور في الذوات يكون لشيئين:

الأول: نفي النقائص المتصلة، وسمي متصلاً، لأن المنفي معنى يتصور قيامه بالذات المنفي عنها هذا الأمر، تمييزاً له عن المنفصل، ومثاله: نفي الجهل عن ذات ما، فإن الجهل من المعاني التي يتصور قيامها بالذات (وكذلك: الخوف، والسِّنة، والنوم، والتعب، والعجز....).

ثانياً: نفي النقائص المنفصلة، وسمي منفصلاً، لأن المنفي شيء منفصل عن الذات، وهو أمر متعلق بها، لكنه خارج عنها، وذلك تمييزاً

(١) تفسير سورة (الصافات) لابن عثيمين (٣٧٠).

له عن المتصل، ومثاله: نفي الزوجة، أو الولد (وكذلك: الشريك، والولي من الذل،...).

فإنما هي أشياء منفصلة عن تلك الذات المنفي عنها هذا الأمر.[1]

ضابط نفي النقائص المتصلة:

هذا النوع كما تقدم هو:

نفي «صفات النقص التي من شأنها أن تكون متصلة بالموصوف بها، قائمة به، غير منفصلة عنه».[2]

وضابطه: نفي كل ما يناقض صفة من صفات الكمال، التي وصف الله تعالى بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ.

أمثلة هذا النوع:

(أ) نفي السنة والنوم، لكمال حياته وقيوميته، قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

(ب) نفي الظلم، لكمال عدله، قال سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ (فصلت).

(ج) نفي الخوف، لكمال قدرته، وعزته، قال جل جلاله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴿١٥﴾﴾ (الشمس).

---

(١) النفي في باب صفات الله (١٢٠)، وانظر: شرح القصيدة النونية للهراس (٢/٢١٠)، والقواعد الكلية للأسماء والصفات (١٥٨).

(٢) التسبيح في الكتاب والسنة (١/١٥١).

(د) الإكراه المنافي للاختيار.

(هـ) والذل المنافي للعزة.[1]

وغيرها الكثير كما سيأتي تفصيله.

ضابط نفي النقائص المنفصلة:

وهو نفي «ما افتراه الجاهلون ونسبوه إلى الله تعالى من الأشياء المنفصلة، التي توجب نسبتها إلى الله تعالى النقص في حقه سبحانه، وليست من قبيل الصفات القائمة بالموصوف».[2]

وضابطه «تنزيه رب العالمين عن أن يشاركه أحدٌ من خلقه في شيء من خصائصه، التي لا تنبغي إلا له من التوحد، والتفرد بالكمال».[3]

أمثلة هذا النوع:

(أ) **نفي الشريك له في ربوبيته:** فإنه تعالى متفرد بتمام الملك، والخلق، والتدبير، لا يشاركه في ذلك أحد من خلقه.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ (الرعد: ١٦).

(ب) **نفي الشريك عنه في ألوهيته:** فهو تعالى الإله الحق، المتفرد بكل أنواع التعظيم، والعبودية، قال عز شأنه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي

---

(١) انظر: الحق الواضح (٨)، وشرح القصيدة النونية (٢/٢١٠) والصفات الإلهية تعريفها وأقسامها د. محمد بن خليفة التميمي (٦٣).

(٢) التسبيح (١/١٥٢ - ١٥٣).

(٣) الحق الواضح (٨)، وشرح القصيدة النونية للهراس (٢/٥٧).

وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ (الأنعام).

(ج) **نفي الشريك في أسمائه الحسنى، وصفاته العلا:** فهو المتفرد بالكمال كله من كل وجه واعتبار، لا يشاركه أحد من خلقه في شيء منها. قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى).

(د) **نفي الظهير الذي يظاهره،** أو يعاونه على خلق شيء، أو تدبيره، لكمال قدرته، وسعة علمه، ونفوذ مشيئته، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾ (سبأ).

وغير ذلك من الأمثلة الدالة على نفي ما لا يليق بالله عز وجل، وتنزيهه أن يكون له من مخلوقاته شريك بوجه من الوجوه.[1]

تضمن نفي الصفات:

ينبغي أن يعلم أن كل صفة نفاها الله تعالى عن نفسه فإنها متضمنة لشيئين:

أحدهما: انتفاء تلك الصفة.

الثاني: ثبوت كمال ضدها.

(١) انظر: الحق الواضح (٨) والصفات الإلهية (٦٣ - ٦٤) والنفي في باب صفات الله (١٢٢ - ١٢٣)، وشرح النونية (٢١١ - ٢١٢)، والتسبيح (١٥٣/١).



قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (فاطر)، فإن الله تعالى لما نفى عن نفسه العجز، بين ذلك: لكمال علمه وقدرته، وعلى هذا فنفي الظلم عن نفسه متضمن: لكمال عدله، ونفي اللغوب والعي، متضمن: لكمال قوته، ونفي السِّنة والنوم. متضمن: لكمال حياته وقيوميته، ونفي الموت، متضمن: لكمال حياته، وعلى هذا تجري سائر الصفات المنفية.[1]

(١) تقريب التدمرية (٥٠).



القواعد الكلية للصفات المنفية

إن من محاسن الشريعة العظيمة، وكمالها، وجمالها، وجلالها: أن أحكامها الأصولية، والفروعية، والعبادات، والمعاملات، وأمورها كلها لها أصول، وقواعد تضبط أحكامها، وتجمع متفرقاتها، وتنشر فروعها، وتردها إلى أصولها.(١)

فإن ضبط الأمور المنتشرة المتعددة، هو أوعى لحفظها، وأدعى لضبطها، وهي إحدى حكم العدد التي وضع لأجلها، والحكيم إذا أراد التعليم لابد أن يجمع بين بيانين: إجمالي تتشوف إليه النفس، وتفصيلي تسكن إليه.(٢)

ولهذا كان لزاماً على كل من يعتني بأي شأن من شؤون العلم أن يعتني بها، خاصة في باب العقيدة، والتوحيد، والصفات، فإنه دحض مزلة، لتعلقه بأشرف معلوم على الإطلاق، وهو الله تبارك وتعالى، لهذا فإن معرفة القواعد والأصول الجامعة الكلية، من أجلِّ العلوم، وأعلاها قدراً وشأناً، لأن «الأصول والقواعد للعلوم، بمنزلة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار لا ثبات لها إلا بها، والأصول تُبنى عليها الفروع، والفروع تثبت وتتقوى بالأصول، وبالقواعد والأصول، يثبت العلم ويقوى، وينمى نماءً مطرداً، وبها

(١) الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة للعلامة السعدي (٥٢٢/١) ضمن المجموعة الكاملة له.

(٢) المنثور في القواعد للزركشي (٦٥/١-٦٦).

تُعرف مآخذ الأصول، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيراً، كما أنها تجمع النظائر والأشباه التي من جمال العلم جمعها».[1]

ولهذا فعدّ أهل العلم من سلف هذه الأمة بقواعد زكيّة، ترسخ الفهم السليم في صفات ربنا العلية، سواء في الصفات الثبوتية، أو المنفية، فاعتن بها رعاك الله، في أجل الأبواب، المتعلق برب الأرباب، لأنه كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «لابد أن يكون مع الإنسان أصول كليه، تُرد إليها الجزئيات، ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذبٍ وجهلٍ في الجزئيات، وجهل وظُلم في الكليات، فيتولد فسادٌ عظيم»[2] يضيع الدنيا، والدين.

---

(١) طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول (٤ - ٥) للعلامة السعدي.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠٣/١٩).

تعريف القواعد

المعنى في اللغة:

القواعد: جمع قاعدة، وهي: الأصل والأساس الذي يبني عليه غيره ويعتمد، وكل قاعدة هي أصل للتي فوقها، ويستوي في هذا، الأمور الحسية، والمعنوية.[1]

معنى القاعدة اصطلاحاً:

هي: قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها، والجامعة لفروعٍ عدة، من أبواب شتى.[2]

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (١٠٩/٥)، والمفردات (٦٧٩)، ولسان العرب (١٢٨/٣)، والكليات (٧٠٢، ٧٢٨) للكفوي.

(٢) التعريفات للجرجاني (٢١٩)، الكليات (٧٢٨).



القاعدة الأولى: (النفي في صفات الله توقيفي)

من الأصول المقررة عند أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى المنفية أنها توقيفية، كالصفات الثبوتية، فهما يخرجان من مشكاة واحدة من الشارع الحكيم، وهو ما ثبت في كتاب الله الكريم، وسنة نبي الرحمة الأمين ﷺ: «فلا يدخل فيها القياس».[1] والرأي، والاجتهاد، بل يقف حيث وقف الشارع، فلا ينفي عن الله سبحانه إلا ما نفاه هو عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ، وهذا الأصل العظيم يجري على كل أمور الغيب، والتي أجلها أسماؤه تعالى، وصفاته، وأفعاله.

قال الإمام الجليل ابن قدامة رحمه الله: «ومذهب السلف رحمة الله عليهم الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه، التي وصف بها نفسه في آيات تنزيله، وعلى لسان رسوله من غير زيادة عليها، ولا نقص منها».[2]

وقال رحمه الله: «فإن صفات الله تعالى لا تثبت، ولا تنفى إلا بالتوقيف».[3]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومعلوم أن الوصف بالنفي كالوصف بالإثبات، فلا يجوز النفي، إلا بدليل، كالإثبات».[4]

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (١١١).

(٢) ذم التأويل (١٠).

(٣) المصدر السابق (١٢١).

(٤) بيان تلبيس الجهمية (١/٩٧)، و (١/٤٤٤).

وقال رحمه الله: «وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه في كتبه، وبما وصفته به رسله، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، بل يثبتون ما أثبته تعالى لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، ويتبعون في ذلك أقوال رسله، ويجتنبون ما خالف أقوال رسله».(١)

قال الإمام ابن العز الحنفي رحمه الله: «فالواجب أن ينظر في هذا الباب أعني باب الصفات، فما أثبته الله ورسله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبته الله تعالى ورسوله من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني».(٢)

أدلة القاعدة:

١ ـ قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأعراف).

٢ ـ وقال سبحانه محذراً عباده من اتباع طرق الشيطان: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ (البقرة).

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٣٩/٣).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢٦١).



٣ ـ وقال عز شأنه: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء).

أقوال العلماء:

قال شيخ السنة الإمام الحافظ أبو نصرٍ عُبيد الله السجزي: «وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفاً».[1]

وقال الإمام ابن عبدالبر رحمه الله: «لا نسميه، ولا نصفه، ولا نطلق عليه إلا ما سمى به نفسه».[2]

وقال الإمام الجليل سحنون رحمه الله: «من العلم بالله تعالى السكوت عن غير ما وصف به نفسه».[3]

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «ولا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ بلا حد، ولا غاية...، ولا نتعدى القرآن والحديث...».[4]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالواجب أن ينظر في هذا الباب، فما أثبته الله ورسوله، أثبتناه، وما نفاه الله، ورسوله، نفيناه، لأنه لا يجوز النفي إلا بدليل كالإثبات، وهذا هو الصواب

---

(١) رسالته إلى أهل زبيد (١٧٨) نقلاً عن «عقيدة الراسخين في العلم من الصحابة والتابعين والأئمة المرضيين في صفات رب العالمين» سعود العثمان (١/٩٧).

(٢) التمهيد (٧/١٣٧).

(٣) انظر: التمهيد (٧/١٤٦)، وذم التأويل (١٢٦).

(٤) نقلاً من ذم التأويل (٢٣٤).

عند السلف، والأئمة، وجماهير المسلمين، وقد ذم سلف الأمة على من نفى بلا دليل، فكيف ينفي بلا دليل ما دلّ عليه دليل إما قطعي، وإما ظاهري، (إذ أن النفي) لا يؤمن معه إزالة ما وجب له سبحانه».[1]

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/٥٥٤) وبيان تلبيس الجهمية (١/٧٩)، (١/٤٤٤)، ودرء تعارض العقل والنقل (٥/٣٢).

القاعدة الثانية: (طريقة الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته الإثبات المفصل، والنفي المجمل).[1]

هذه القاعدة جاءت بـ «ضابط نافع في كيفية الإيمان بالله تعالى وبأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وأنه مبني على أصلين عظيمين: أحدهما النفي، وثانيهما الإثبات، أما النفي: فإنه ينفي عن الله تعالى ما يضاد الكمال من أنواع العيوب والنقائص، وينفي عنه أيضاً أن يكون له شريك أو نديد، أو شبيه في شيء من صفاته، أو في حق من حقوقه الخاصة، فكل ما ينافي صفات الكمال، فإن الله تعالى منزه عنه مقدس».[2]

وأما الإثبات: تقدم بيانه. وقدم في القاعدة، لأنه هو الأصل، والمقصود الأعظم، فهو كما تقدم المقصود لذاته، وما بعده، أي: النفي: فهو وسيلة، وتتميم لحفظ هذا النوع.[3]

أدلة القاعدة:

إنَّ طريقة الكتاب والسنة في أسمائه تعالى وصفاته: النفي المجمل، والإثبات المفصل. وهذا المسلك الذي يسلكه أهل السنة والجماعة الطائفة

---

(١) انظر هذه القاعدة: مجموع الفتاوى (٤٧٨/٢) (٣٥/٣)، (٥٦٥/٦) (٤٨٠/١١)، ومنهاج السنة النبوية (١٥٧/٢، ٥٦٢)، والصفدية (١١٦/١)، والنبوات (٢٢٥)، والصواعق المرسلة (١٠٠٩/٣)، والروح (٥٧٧)، وشرح الواسطية للسعدي (٢٥٧/١)، وشرح النونية (٦٠٦/٢) وشرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن باز (٢٥٨/١).

(٢) شرح الواسطية لابن السعدي (٢٥٧/١)، وتوضيح الكافي الشافية له (١١٦).

(٣) تقدم بيانه وإنما إعدته لأهميته لأنه الركيزة في تقعيد وتأصيل لهذا النوع في بحثنا.

المنصورة فيما ينفونه، ويثبتونه في هذا الباب، وهي طريقة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإنهم جاؤوا بإثبات مفصل، ونفي مجمل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «من أبلغ العلوم الضرورية: أن الطريقة التي بعث الله بها أنبياءه ورسله، وأنزل بها كتبه، مشتملة على الإثبات المفصل، والنفي المجمل، فهذه هي طريقة الرسل وأتباعهم، من سلف الأمّة، وأئمتها، وهي ما جاء بها القرآن، والله تعالى في القرآن يثبت الصفات على وجه التفصيل، وينفي عنه على طريق الإجمال، والتشبيه، والتمثيل، فهو يخبر أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه عزيز حكيم، وأنه غفور رحيم، وأنه على عظم ذاته يحب المؤمنين، ويرضى عنهم، ويغضب على الكفار، ويسخط عليهم، وأمثال ذلك، ويقول في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى)، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ (مريم: ٦٥)، فيثبت الصفات، وينفي مماثلة المخلوقات».[1]

الإجمال في النفي أبلغ في التعظيم وأكمل في التنزيه:

قد تقدم بيانه أنه كلما كثرت صفات الكمال الثبوتية (بنوعيها: الذاتية، والفعلية)، مع تنوع دلالتها، كلما ظهر من كمال الموصوف بها، وهو الله عز وجل، ما هو أكثر، وأعظم، بخلاف صفات النفي، فكلما أجمل فيها، كان أدل على التنزيه من كل وجه، وأبلغ في تعظيم الموصوف، فإن تفصيلها لغير سبب يقتضيه فيه سخرية، وتنقص

(١) مجموع الفتاوى (٦/٣٧)، (١١/٤٨٠)، وانظر الصواعق المرسلة (٣/١٠٠٩).



للموصوف، ولهذا نجد أن صفات النفي تأتي كثيراً عامة غير مخصصة بصفة معينة.

مثال ذلك: أنك لو مدحت ملكاً فقلت له: أنت كريم، شجاع، محنك، قوي الحكم، قاهر لأعدائك، إلى غير ذلك من صفات المدح، لكان هذا من أعظم الثناء عليه، وكان فيه من زيادة مدحه، وإظهار محاسنه، ما يجعله محبوباً محترماً، لأنك فصلت في الإثبات.

ولو قلت: أنت ملك لا يساميك أحد من ملوك الدنيا في عصرك، لكان ذلك مدحاً بالغاً لأنك أجملت في النفي.

ولو قلت: أنت ملك غير بخيل، ولا جبان، ولا فقير، ولا بقال، ولا كناس، وما أشبه ذلك من التفصيل في نفي العيوب التي لا تليق به، لعُدَّ ذلك استهزاء به، وتنقصاً لحقه.(١)

النفي لا يكون مفصلاً إلا لسبب:(٢)

الصفات المنفية التي تنفى عن الله عز وجل كثيرة، ولكن الإثبات أكثر (بأضعاف مضاعفة)، ولهذا نجد أن صفات النفي تأتي كثيراً عامة، غير مخصصة بصفة معينة، والمخصص بصفة معينة لا يكون إلا لأسباب منها:

---

(١) تقريب التدمرية (١٦ - ١٧)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، (١/٢٦٤)، وانظر شرح العقيدة الطحاوية (١٠٩).

(٢) تقدم شرح وبيان هذا الضابط.

تكذيب المدعين، بأن الله اتصف بهذه الصفة التي نفاها عن نفسه، وبمعنى آخر: نفي ما ادّعاه في حقه الكاذبون المفترون كقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ (المؤمنون: ٩١)، ومنها دفع توهم نقص في كماله سبحانه، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ (ق).[1]

النفي قد يأتي مجملاً ومفصلاً في صفات الله تعالى:

«اعلم أن كلاً من النفي والإثبات في الأسماء والصفات مجمل، ومفصل: أما الإجمال في النفي: فهو أن ينفي عن الله عز وجل كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص، في سياق عام مستغرق لإفرادها، بلا تعيين، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى: ١١).

وكقوله سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ (مريم) وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ (الصافات).

فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ في علمه، وقدرته، وسمعه، وبصره، وعزته، وحكمته، ورحمته...، وغير ذلك من صفاته، فلم يُفصّل سبحانه بل قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وهذا النفي العام المجمل، يدل على كمال مطلق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ في كل كمال.

وأما التفصيل في النفي: فهو أن ينزه الله سبحانه عن كل واحد

---

(١) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١/٢٦٤-٢٦٥)، وتقريب التدمرية (١٧).



من هذه العيوب، والنقائص بخصوصه، فهو ينزه عن الوالد، والولد، والشريك، والصاحبة، والند، والضد، والجهل، والعجز، والضلال، والنسيان، والسِّنة، والنوم...، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ (الإخلاص)، وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٥).[1]

وهو كما تقدم لا يأتي النفي مفصلاً إلا لسبب.

أما الإثبات المفصل فإنه يأتي معيناً على وجه الخصوصية لكل صفة، فينص على السمع، والبصر، والعلم، والإرادة، والقدرة، كل صفة بذاتها في سياق يذكرها بلفظها الدال عليها. كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾ (آل عمران). وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ (النساء)، وقوله: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١١٩﴾ (المائدة) وغيرها الكثير.

وأما الإجمال في الإثبات: فمثل إثبات الكمال المطلق، والحمد المطلق، والمجد المطلق، ونحو ذلك، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ (الفاتحة).

وقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (النحل: ٦٠) أي: **الوصف الأعلى**.[2]

---

(١) شرح الواسطية للهراس (٢٥٨/١ - ٢٥٩)، والواسطية لابن عثيمين (٢٦٤/١ - ٢٦٥).

(٢) شرح الواسطية لابن السعدي (٢٥٧/١)، وللهراس (٢٥٨/١ - ٢٥٩) والقواعد الكلية للأسماء والصفات (١٥٤ - ١٥٥).



أقوال العلماء:

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «ليس كمثله شيء، فسبحان الله الواحد القهار».[1]

وقال رضي الله عنه: «هل تعلم للرب مثلاً، أو شبيهاً».[2]

«فقد نفى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما المثل والشبيه عن الله تعالى إجمالاً، ولم يُفصل في ذلك، وأثبت أسماء الله على وجه التفصيل».[3]

قال إمام أهل السنة والجماعة: أحمد بن حنبل: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ في ذاته، كما وصف به نفسه، فقد أجمل الله الصفة لنفسه، فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء، فنعبد الله بصفاته غير محدودة، ولا معلومة، إلا بما وصف به نفسه».[4]

فهذا نص من إمام أهل السنة والجماعة بأن الله تعالى أجمل في نفي صفات النقص عنه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وأما الإثبات فكثير، غير معلوم لنا بكامله، لكن لا يثبت منه إلا ما أثبته الله لنفسه.[5]

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/٤٤٥).

(٢) التفسير الصحيح (٣/٣٤٥).

(٣) القواعد والضوابط السلفية في أسماء وصفات رب البرية (١٣٦).

(٤) نقل هذا القول عنه: أبو يعلى في «إبطال التأويلات» (١/٤٣ - ٤٥)، وأخرجه ابن بطة في الإبانة بنحوه (٣/٣٢٦).

(٥) النفي في باب صفات الله (١٧٣).

قال الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد بن منده: «فوصف نفسه بالسمع، والبصر، واليمين، وانتفى من التمثيل، والتقدير».[1]

فأثبت - رحمه الله - الصفات الثبوتية على وجه التفصيل في ذكر بعض أفرادها، وهي (السمع، والبصر، واليمين) ولما ذكر النفي اكتفى بالإجمال فيه، ولم يذكر أفرادها، فنفى عن الله تعالى: (التمثيل، والتقدير) وهذا موافق لما قررناه، أن النفي في الكتاب والسنة يأتي مجملاً في الغالب.

---

(١) كتاب «التوحيد» (١٦/٢).

القاعدة الثالثة: (صفات النفي ليست أصلاً في معرفة الله تعالى):[1]

من الأصول والضوابط المقررة عند أهل السنة والجماعة في هذا الباب أن النفي وسيلة ومقصود لغيره، فمعرفة الله تبارك وتعالى ليست بمعرفة صفات النفي والسلب عنه، بل الأصل فيها صفات الإثبات، والنفي والسلب تابع له، فهو وسيلة وتتميم وحفظ لهذا النوع، فإن المقصود الأعظم من التوحيد إثبات صفات المدح، والحمد، والمجد، ولهذا كانت صفات الإثبات هي الأغلب والأكثر، إذ هي الأعظم، والأتم، والأجل، من كل وجه.

فإن جميع ما ينزه الله تعالى عنه فإنما ذلك لأجل ثبوت ضده، وكل ما نفاه الله تعالى عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، فإنه متضمن للمدح والثناء على الله بضد ذلك النقص من الأوصاف الحميدة، والأفعال الرشيدة. وقد تقدم بيانه عند تقسيم الصفات الإلهية.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فمعرفة الله تعالى ليست بمعرفة صفات السلب، بل الأصل فيها صفات الإثبات، والسلب تابع له، ومقصوده تكميل الإثبات، كما أشرنا إليه من أن كل تنزيه مدح به الرب ففيه إثبات، ولهذا كان قوله (سبحان الله) متضمناً

(١) انظر هذه القاعدة: مجموع الفتاوى (١١٢/١٧)، والصواعق المرسلة (١٣٦٧/٤)، والحق الواضح (٧ - ٨) وتوضيح الكافية الشافية (١١٥ - ١١٦).

تنزيه الرب وتعظيمه، ففيها تنزيهه من العيوب والنقائص، وفيها تعظيمه سبحانه».[1]

ومما تقدم تقريره يمكن إثباته بالوجوه التالية:

١ ـ أن جانب الإثبات للصفات في القرآن والسنة أكثر من جانب النفي.

٢ ـ أن تفاضل الموصوفات فيما بينها بقدر ما لها من الصفات الثبوتية الوجودية (لا بالصفات المنفية).

٣ ـ أن ما لا صفات وجودية له، لا حقيقة له في الوجود الخارج عن الذهن.

٤ ـ أن صفات الكمال في الأمور الموجودة، والصفات المنفية إنما تكون كمالاً إذا تضمنت أموراً وجودية.

٥ ـ أن الذي جاء به الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة أن كل نفي فهو متضمن لإثبات كمال ضد ذلك المنفي[2] وهذا ما سنذكره في القاعدة التالية:

(١) مجموع الفتاوى (١٧/١١٢).

(٢) النفي في باب صفات الله (٢٦٨).



القاعدة الرابعة: (النفي ليس فيه كمال ولا مدح إلا إذا تضمن إثباتاً)؛[1]

هذه القاعدة العظيمة توضح الطريقة الصحيحة في تنزيه الله عز وجل عن العيوب والنقائص، لأن «النقص منتف عن الله عز وجل عقلاً، كما هو منتف عنه سمعاً، والعقل والنقل يوجب اتصافه بصفات الكمال، والنقص هو ما يضاد صفات الكمال»[2] ومضمون هذه القاعدة: أن كل صفةٍ نفاها الله تعالى عن نفسه فإنها متضمنة لشيئين:

الأول: انتفاء تلك الصفة.

الثاني: ثبوت كمال ضدها على الوجه الأكمل.[3]

إذ أن النفي الوارد في الكتاب والسنة ليس نفياً محضاً، لأن النفي المحض ليس فيه مدح، ولا كمال، ولا تعظيم، إلا إذا تضمن كمالاً، لأن نفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء لا يكون مدحاً ولا كمالاً، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم، والممتنع، والعاجز[4]، والله تبارك وتعالى موصوف بالكمال، والجلال، في كل الأحوال على الدوام.

---

(١) انظر هذه القاعدة: مجموع الفتاوى (١٧/ ١١٢)، والتدمرية (٣٣)، والصواعق المرسلة (٣/ ١٠٢٣)، و (٤/ ١٣٦٧ - ١٤٤٣)، ومدارج السالكين (١/ ٣٥)، وشرح العقيدة الطحاوية (١٠٨ - ١١١)، وتقريب التدمرية (٣٣، ٥٠).

(٢) شفاء العليل (٢/ ٥٨٠).

(٣) تفسير سورة البقرة (٣/ ٢٥٨)، وتقريب التدمرية (٥٠)، وشرح القواعد المثلى (١٣٩) كلها لابن عثيمين رحمه الله.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥) والتدمرية (٣٣).

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن كل ما ينزه الرب عنه إن لم يكن متضمناً لإثبات كماله ومستلزماً لأمر ثبوتي يوصف به: لم يكن في تنزيهه عنه مدح، ولا حمد، ولا تمجيد، ولا تسبيح، إذ العدم المحض: كاسمه لا حمد فيه، ولا مدح»[1] ويقول رحمه الله: «مما ينبغي أن يعلم: أن كل سلب ونفي لا يتضمن إثباتاً فإن الله لا يوصف به، لأنه عدم محض، ونفي صرف، لا يقتضي مدحاً، ولا كمالاً، ولا تعظيماً».

ويقول: «إن الله سبحانه إنما نفى عن نفسه ما يناقض الإثبات، ويضاد ثبوت الصفات، والأفعال، فلم ينف إلا أمراً عدماً، أو ما يستلزم العدم، فنفى السِّنة والنوم، المستلزم لعدم كمال الحياة، والقيومية، ونفى العزوب والخفاء المستلزم لنفي كمال العلم، ونفى اللغوب المستلزم نفي كمال القدرة، ونفى الظلم المستلزم لنفي كمال الغنى والعدل،...».[2]

فلهذا كان عامة ما وصف الله تعالى به نفسه من النفي، متضمناً لإثبات مدح.[3]

أدلة القاعدة:

قال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

نفى سبحانه كل المعبودات من دونه، فدخل في النفي جنس كل

---

(١) الصواعق المرسلة (٣/١٣٦٩).

(٢) الصواعق المرسلة (١/١٠٢٣ - ١٠٢٤)، (٤/١٤٤٣).

(٣) التدمرية (٥٧).

الآلهة المزعومة: من الشجر، أو الحجر، أو البشر، أو الملائكة، ثم أفردها، وخصّها، وحصرها لنفسه وحده، بقوله ﴿إِلَّا هُوَ﴾.

وقال عز شأنه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (فاطر: ٤٤) نفى عن نفسه تعالى العجز، ثم «نبه سبحانه في آخر الآية على دليل انتفاء العجز، وهو كمال العلم، والقدرة»[1] فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ (فاطر).

وقال عز شأنه: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ (البقرة: ٢٥٥)، نفى ربنا عز شأنه عن نفسه الثقل والاكتراث في حمل العوالم العلوية والسفلية، وما فيهما، ثم أثبت لنفسه كمال ما يضاد هذا النفي وهو: كمال عظمته، وقدرته، وعليائه.

أقوال العلماء:

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ (البقرة: ٢٥٥) «السِّنة: النّعاس، والنوم: هو النوم».[2]

قال الإمام عبدالعزيز الكناني رحمه الله في معرض ردّه على بشر المريسي لما نفى الجهل عن الله تعالى ولم يقل إن لله علماً: قال: «إن نفي السوء لا تثبت به المدحة: قال بشر: وكيف ذلك؟ قلت: إن قولي هذه الإسطوانة لا تجهل: ليس هو إثبات العلم لها».[3]

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١١١).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/٤٤٤) وحسنه أ.د. حكمت البشير (١/٣٦٧).

(٣) الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن (٤٦).



ففي نفي الجهل عن الإسطوانة ليس هو إثباتاً للعلم، لأن النفي قد يكون لعدم القابلية كما في الإسطوانه، فلا يكون النفي مدحاً ولا كمالاً إلا إذا تضمن إثباتاً.[1]

(١) القواعد والضوابط السلفية (١٤٨).

القاعدة الخامسة: (كل كمال اتصف الله تعالى به فإن نفيه عنه يستلزم اتصافه بالنقص الذي هو منزه عنه)[1]

وبعبارة أخرى: (ثبوت الكمال لله تعالى يستلزم نفي نقيضه).[2]

دلت هذه القاعد الجليلة على تأصيل وتقعيد معاني الكمال في صفات الله تبارك وتعالى، وهذه من الطرق والبراهين السنية التي استخدمها أهل السنة والجماعة، في تقرير هذه الحقيقة العقلية، اليقينية الفطرية، والتي دلت عليها الأدلة السمعية الشرعية، إذ أن إثبات أسماء الله تعالى الحسنى، وصفاته، وأفعاله العلا، «تتضمن وصفه بكل كمال، وذلك يستلزم براءته من كل نقص».[3]

وهذا هو أصل التوحيد، الذي أرسل به الأنبياء، لتبليغه لكل العبيد، فـ«إثبات صفات الكمال: أصل التوحيد، ومن تمام هذا الإثبات: تنزيهه سبحانه عن سمات المحدثين، وخصائص المخلوقين».[4]

والتي هي من النقائص التي تنافي كماله المقدس، الذي انفرد به سبحانه وحده، لا شريك له في ذلك من أحد من خلقه.

---

(١) انظر هذه القاعدة: درء تعارض العقل والنقل (٢/٣٤٠) (٤/٦)، (٦/٨٨)، والتدمرية (١٥١)، والصواعق المرسلة (٤/١٣٠٧)، وتقريب التدمرية (٦٥).

(٢) القواعد والضوابط السلفية (١٤٨).

(٣) الصلاة وحكم تاركها ابن القيم (١٧٢).

(٤) مدارج السالكين (٣/٤٤٦).



القاعدة الخامسة

وهذه القاعدة العقلية والفطرية «أن ثبوت الكمال لله تعالى تستلزم نقيضه» أو «أن نفي الصفة إثبات لنقيضها».

هي متفق عليها بين جميع العقلاء، أن الذي لا يتصف بالعلم مثلاً: فهو جاهل، والذي لا يتصف بالعدل: فهو ظالم، ومن لم يتصف بالصدق: فهو كاذب، وهكذا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذه الطريقة هي من أعظم الطرق في إثبات الصفات».[1]

ولما كان الله جل جلاله متصفاً بكل أنواع الكمالات، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية التي لا غاية فوقها، والتي يتصور وجودها من غير استلزامها لأي نقص بوجه من الوجوه، فإن هذا الكمال عنه يستلزم وصفه بنقيضة من النقص، الذي هو منزه عنه أصالة، إذ لا يكون وجود كمال لا نقص فيه، إلا وهو ثابت للرب تعالى.

فإنه لو لم يكن الله تعالى موصوفاً بإحدى الصفتين المتقابلتين، للزم اتصافه بالأخرى، فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز، ولو لم يوصف بالسمع، والبصر، والكلام، لوصف بالصمم، والخرس، والبكم، والله تعالى منزه عن ذلك، فيجب اتصافه سبحانه بصفات

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/٣٤٠).

الكمال الثابتة له، بمقتضى الأدلة العقلية، والبراهين اليقينية، مع دلالة السمع على ذلك.(١)

أدلة القاعدة:

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، آية الكرسي **فهذه** الآية التي هي أعظم آية في القرآن، اشتملت على عدة صفات منفية مثل نفي «السِّنة» و«النوم» و«عدم الإثقال» و«عدم الإحاطة» بالله تعالى، وأثبت سبحانه لنفسه صفات الكمال التي تنافي وتضاد هذه النقائص، من كمال «الحياة» و«القيومية» و«العلم» و«العلو» و«العظمة».

وقال جل جلاله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الحشر).

«فسبح نفسه سبحانه عن شرك المشركين به، عقب تمدحه بأسمائه الحسنى، المقتضية لتوحيده، واستحالة إثبات شريك له».(٢)

وقال سبحانه: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الملك).

فإنه سبحانه يجعل أسماءه دليلاً على ما ينكره الجاحدون، من صفات كماله.(٣)

---

(١) انظر: الرسالة الأكملية، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (٢/١٩٥)، والتدمرية (١٥١)، وتقريب التدمرية (٦٥).

(٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيم (٢٨٣).

(٣) المصدر السابق.

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس: أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنه معكم، إنه سميع قريب، تبارك اسمه، وتعالى جده**».

وفي رواية: «**إنكم تدعون سميعاً، بصيراً، قريباً إنه معكم**».[1]

وجه الدلالة في هذا الحديث: إن النبي ﷺ نفى عن اللّه تعالى الصمم، والغياب، وأثبت له كمالاً ضد هذين الوصفين، وهو: كمال السمع، والبصر، والقرب، والمعية.

أقوال أهل العلم:

قال الإمام عبدالعزيز الكناني: «لم يمدح اللّه تعالى في كتابه مَلكاً، ولا نبياً، ولا مؤمناً بنفي الجهل، ليدل على إثبات العلم، وإنما مدحهم بالعلم فقال تعالى: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ (الإنفطار) وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ (فاطر) ولم يقل الذين لا يجهلون، فهذا قول اللّه تعالى ومدحه للملائكة، وللنبي ﷺ، وللمؤمنين، فمن أثبت العلم: نفى الجهل، ومن نفى الجهل: لم يثبت العلم».[2]

«فقد بيَّن الإمام عبدالعزيز رحمه اللّه: أن من أثبت صفات الكمال كالعلم، فإنه يستلزم نفي ما يضادها كالجهل، وهذا تقريرٌ منه، لكون

---

(١) البخاري (٢٩٩٢)، (٤٢٠٢)، (٧٣٨٦)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٢) الحيدة والاعتذار (٤٦).



ثبوت الكمال يستلزم نفي نقيضه...».[1]

قال الإمام الحافظ إسماعيل بن محمد الأصبهاني رحمه الله: «إذا بطل السمع حصل الصّمم، وإذا بطل البصر حصل العمى، فيكون الله تعالى في قول من يثبت السميع، ولا يثبت السمع، سميعاً أصمَّ، وبصيراً أعمى».[2]

فأثبت رحمه الله تعالى ما قررناه في هذه القاعدة، أن من أبطل سمع الله تعالى، وبصره، لزم قوله أن يثبت نقيضها من الصمم، والعمى، والله تعالى منزه عنهما وعن كل عيب ونقص.

---

(١) القواعد والضوابط السلفية (١٥١).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١٤٢/٢).



القاعدة السادسة: (كل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أحق به وأولى بالتنزه عنه):[1]

هذه القاعدة العظيمة مستفادة من قاعدة الكمال، في إثبات الصفات لله ذي الجلال، وهي أن: (كل ما اتصف به المخلوق من صفات الكمال التي لا نقص فيها فالخالق أولى بها) وبعبارة أخرى: (أن كل كمال في الوجود فمعطيه وخالقه أحق، وأولى به، وكل نقص وعيب فهو سبحانه وتعالى منزه متعال عنه).[2]

وهي تستعمل في جانب النفي كذلك، لتنزيه الله تعالى عن النقائص، ومبناها على جواز استعمال أحد الأقيسة العقلية في حق الله تعالى، والذي يسمى «قياس الأولى»، الذي عبر عنه في نصوص الكتاب الحكيم بـ (المثل الأعلى) كما في قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ (النحل)، وقال عز شأنه: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ (الروم: ٢٧)..

و«المثل الأعلى» «هو من أعظم الأدلة على ثبوت صفات كماله سبحانه، وهو: أفعل التفضيل، أي: أعلى من غيره»[3] نحو قوله هو

---

(١) انظر هذه القاعدة: الرد على المنطقيين (١٥٠- ١٥٤-٣٥٠) ونقض تأسيس الجهمية (٣٢٧/١)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢٢٢/٢) (٣٦٨/٣) (٣٦٢/٧) والصواعق المرسلة (١٠١٨/٣)، وشرح القواعد المثلى (١١٥).

(٢) شفاء العليل (٣٢٣/١).

(٣) الصواعق المرسلة (١٣٠/٣-١٣١)، وقد ذكر ابن القيم أن المثل الأعلى يتضمن أربعة أمور:



الأطيب، والأفضل، والأحسن، والأجمل[1] وهو: الكمال المطلق من كل وجه.[2]

قال شيخ الإسلام مبيناً دلالة قياس الأولى على التنزيه: «وأما هذا القياس «قياس الأولى» ووجوب تنزيه الرب عن كل نقص ينزه عنه غيره، ويذم به سواه، فهذا فطري، ضروري، متفق عليه».[3]

ويقول رحمه الله: «الواجب أن يكون أفضل الأنواع وأكملها لله، وما فيها نقص وعيب فالمخلوق أحق بها من الخالق، إذ كل كمال في المخلوق فهو من خالقه، فيمتنع أن يكون الأنقص خلق الأكمل...، ويمتنع اتصاف الأكمل بالنقائص، واتصاف الأنقص بالكمالات، ولهذا يوصف سبحانه بأنه: الأكرم، والأكبر، والأعلى...، فلا يوصف قط إلا بما يوجب اختصاصه بالكمالات، والممادح، والمحاسن، الذي لا يساويه فيها غيره، فضلاً عن أن يكون لغيره النوع الفاضل، وله النوع المفضول».[4]

فمضمون هذه القاعدة أن يقال: كل نقص وعيب في نفسه،

---

١ - ثبوت الصفات العليا لله تعالى في نفس الأمر.

٢ - وجودها في العلم والتصور.

٣ - ذكر صفاته والإخبار عنها، وتنزيهها عن النقص والتمثيل.

٤ - عبادة الموصوف حباً، وتوحيداً، وإخلاصاً....، وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان هذا الحب والإخلاص أقوى، فعبارات السلف تدور حول هذه المعاني الأربعة لا تتجاوزها.

(١) تفسير الطبري (١٤/١٢٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٧٧٤).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٢/٥٤٤).

(٤) النبوات (٢٤٢ - ٢٤٣) بتصرف.

وهو ما تضمن سلب الكمال، إذا وجب نفيه عن شيء ما، من أنواع المخلوقات، والمحدثات، فإنه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى.

وهذه القاعدة دلالتها شرعية عقلية: لأن الشرع دل عليها، وأرشد إليها، وهي من أبلغ الطرق البرهانية، وهي مستعملة في القرآن، بضرب الأمثال، وبيان الأدلة الفطرية العقلية، وهو كما تقدم «القياس الأولى».

ولهذا كان يستعملها السلف والأئمة في مثل هذه المطالب، والتي منها: في الرد على من عبد من دون الله تعالى آلهة، وكانوا يحتجون بها، ويثبتون أن من عبد إلهاً لا يسمع، ولا يبصر، ولا يتكلم: فقد عبد رباً ناقصاً معيباً مؤوفاً، ويثبتون أن هذه صفات كمال، فالخالي عنها ناقص[1]، والله تعالى له الكمال المطلق الذي لا يحد، ومن ذلك: أنه يسمع، ويبصر، ويتكلم.

احتراز مهم في هذه القاعدة:

«أنه لابد من مراعاة مفهوم النقص المنتفي عن الله عز شأنه الذي يجب أن ينزه عنه، لأن هناك أموراً هي نقص في حق المخلوق، ولكنها كمال في حق الخالق، ومن ذلك: الكبرياء، والعظمة، (والتعالي)، فإنها نقص في حق المخلوق، لكنه كمال مطلق في حق الخالق، فإن الله تعالى

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل (١/٣٠) (٢/٣٤٠)، النبوات (٢٤٣)، وشرح العقيدة الأصبهانية (٧٤)، ومفتاح دار السعادة (٢/٤٧٩).

يسمى بالمتكبر، ويوصف بالكبرياء»[١] وكذلك يسمى بالكبير، والعلي، والأعلى، والمتعالي، والعظيم، والمسِّعر[٢] والجبار، والقهار، وموصوف بالبطش الشديد، وشديد العقاب، والثناء على نفسه العلية، وتعظيمها، وغير ذلك. فكل هذه الأفراد هي من الكمالات في حق الله تعالى، وعيب ونقص في الوصف، في حق المخلوقات المحدثات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... فاحتراز عما هو لبعض المخلوقات كمال دون بعض، وهو نقص بالإضافة إلى الخالق لاستلزامه نقصاً، كالأكل، والشرب مثلاً، فإن الصحيح الذي يشتهي الأكل والشرب من الحيوان، أكمل من المريض الذي لا يشتهي الأكل والشرب، لأن قوامه بالأكل والشرب».[٣]

«فهذا القيد مهم جداً في تطبيق هذه القاعدة وفهمها، واحتراز بالغ الأهمية تجب مراعاته، والاعتناء بفهمه ودركه، لئلا يُنسب إلى الله تعالى شيء من النقص الذي تنزه عنه، أو ينفى عنه كمال واجب في حقه، يوضحه أن يقال مثلاً: الولد كمال في المخلوق، وعدمه نقص بالنسبة له، فلا يقال بناء على هذه القاعدة: أن عدم الولد نقص تنزه

---

(١) النفي في باب صفات الله (١٨٦).

(٢) لأن التسعير حق الله تعالى وحده لأنه يتعلق بنوعي التدبير والتقدير الكوني والشرعي، لأن الصحابة حينما قالوا لرسول الله ﷺ: «غلا السعر فسعر لنا» فقال ﷺ: «إنَّ الله هو المسعر القابض الباسط» صحيح الترمذي (١٣٦٤) انظر أسماء الله الحسنى د. الرضواني (٥٤٨ - ٥٤٩).

(٣) تفصيل الإجمال فيما يجب لله من صفات الكمال ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (٢٤/٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٣٧/٦).

المخلوق عنه، وكل نقص تنزه عنه المخلوق، فتنزيه الله تعالى عنه من باب أولى، فيجب إذاً إثبات الولد لله عز وجل، وذلك لأمرين:

الأول: أن تنزيه الله عن الولد ثابت في كثير من نصوص الكتاب والسنة.

الثاني: أن الولد بالنسبة للإنسان كمال، لكنه كمال مقترن بالنقص لحاجته إليه في بقاء النوع الإنساني، والمعاونة والخدمة حال الكبر، ونحو ذلك... ومثل هذا يقال في جميع الصفات التي يعد انتفاؤها نقصاً نسبياً في حق المخلوق، وأما هذه القاعدة فتختص بما هو نقص محض: كالظلم، والكذب، والجهل، ونحو ذلك. والله اعلم».[1]

الأدلة على تقرير القاعدة:

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ (النحل).

وجه الدلالة: أنه أخبر تعالى أن ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾: هو المتضمن للعيوب، والنقائص، وسلب الكمال للمشركين وأربابهم، وأخبر سبحانه أن له ﴿الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ وهو الوصف الأعلى، المتضمن لإثبات الكمالات كلها له وحده سبحانه، ولهذا كان ﴿الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾، وهو كما تقدم أفعل (التفضيل) أي: أعلى من غيره، وهو الأطيب، والأفضل، والأحسن، والأجمل (في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله) ولما كان الرب تعالى هو

(١) النفي في باب صفات الله (١٨٨ - ١٨٩).

الأعلى، ووجهه الأعلى، وكلامه الأعلى، وسمعه الأعلى، وبصره وسائر صفاته عليا: كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه.[1]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام النبي ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: «**إني أنذركموه، وما من نبي إلا قد أنذر قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور**».[2]

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ لما أنذر قومه الدجال ذكر فيه صفة نقص وعيب وهي: العور، وهذه الصفة لما كانت صفة نقيصة في حق المخلوق يتنزه عنها، كان الخالق أولى بالتنزه عنها، ولهذا نزه النبي ﷺ ربه سبحانه عنها، فقال: «**وأن الله ليس بأعور**».[3] [4]

أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما السموات السبع، والأرضون السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم».[5]

ووجه الدلالة: أنه رضي الله عنه بيّن أن السموات السبع، والأرضين السبع في يد الله تعالى (على عظمتها) كخردلة في يد الإنسان، وهذا منه

(١) الصواعق المرسلة: (٣/١٠٣٠ - ١٠٣١).

(٢) البخاري (٣٠٥٧)، ومسلم (٧٣٥٦).

(٣) أثبت أهل السنة والجماعة بهذا النفي أي: العور: أنّ الله تعالى موصوف بأن له عينين كاملتين تليقان به كما سيأتي.

(٤) القواعد والضوابط السلفية (٦٥).

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٢/٣٣)، وعبدالله بن أحمد في السنة (٢/٤٧٦).

بيان لعظمة اللّه عز وجل، وأنه يجب أن يكون أعظم بكل وجه من مخلوقاته، (فإذا كانت) هذه السموات وهذه الأرض مع عظمتها، فهي في عظمة اللّه، لا تساوي شيئاً، (فضرب مثلاً) كما أن الخردلة بالنسبة للإنسان لا تساوي شيئاً (لصغرها)، فهو سبحانه بيّن لنا من عظمته بقدر ما نعقله.[1]

قال الإمام أحمد: «اعلم أن الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما فكان أحدهما أعلى من الآخر. ثم جرى عليهما اسم مدح، فكان أعلاها أولى بالمدح وأغلب عليه، وإن جرى عليه اسم ذم، أو اسمٌ دنيء، فأدناهما أولى به».[2]

وجه الدلالة: قرر - رحمه اللّه - أنه ما من شيئين اجتمعا في اسم يجمعهما، إذا وصف أحدهما بصفة مدحٍ وكمال، كان أعلاهما أولى بالمدح والكمال من أدناهما، وهذا تقرير منه للقاعدة السابقة.[3]

---

(١) القواعد والضوابط السلفية (٦٦).

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية (٢٤٣).

(٣) القواعد والضوابط السلفية (٦٧).

القاعدة السابعة: (إذا كانت الصفة كمالاً في حال، ونقصاً في حال، فما يثبت لله تعالى منها هو حال الكمال المقيد):[1]

هذه القاعدة من القواعد الاحترازية المهمة في هذا الباب الجليل، حتى يصان حماه ويحفظ، من جميع وجوهه، فإنه داخل في تأصيل وتقعيد ما يستحقه ربنا تبارك وتعالى من الكمالات، التي لا تحصى، المنزه عن كل النقائص والمعايب، بكل أجناسها، وأنواعها، وأفرادها، ومضمون هذه القاعدة: أن الله عز وجل أطلق على نفسه بعض الأفعال المقيدة، في مقابلة أفعال أعدائه على سبيل المجازاة، والعقوبة، بنفس الفعل، جزاءً وفاقاً.

وهذا غاية الكمال أعلاه، وأحسنه، وأتمه، فمن هذه الصفات الفعلية المقيدة، مثل: (المكر)، و(الخداع)، و(الكيد)، و(الاستهزاء) و(النسيان: بمعنى الترك)، و(الفاتن) و(المخزي) و(المُضل) و(العداوة) و(الانتقام) وغيرها.

فهو سبحانه لم يسمِّ نفسه بهذه الأفعال: بالماكر، أو المكيد، أو المستهزئ، ولا بالفاتن، ولا بالمنتقم، ولم يوصف بها على الإطلاق، بل قيدها بالجزاء والمقابلة على وجه العدل، وهذا من كماله.

---

(١) انظر هذه القاعدة في: مجموع الفتاوى (١١١/٧)، والصفدية (١٠٢/١) وبدائع الفوائد (١٥٢/٤)، ومختصر الصواعق المرسلة (٢٩١/٢) والفوائد (١٨٢). وشرح القواعد المثلى (٣٠) وشرح الواسطية لابن عثيمين (٦٩ - ٧٥) والقواعد الكلية. للأسماء والصفات (١٦٦، ١٩٠، ١٩٣).



ووجه حسنه وكماله: أنه قابل كيد المخلوق، ومكره، وخداعه... الذي لا شيء أقبح منه، بكيده سبحانه، ومكره، وخداعه، الذي لا شيء أحسن منه من كل وجه.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «المكر الذي وصف به نفسه: فهو مجازاته للماكرين بأوليائه، ورسله، فيقابل مكرهم السيئ، بمكره الحسن، فيكون المكر منهم: أقبح شيء، ومنه: أحسن شيء، لأنه عدل، ومجازاة، وكذلك المخادعة منه: جزاء على مخادعة رسله وأوليائه، فلا أحسن من تلك المخادعة، والمكر»[1].

فهذا النوع لا يجوز أن يسمى به تعالى، ولا يوصف به تعالى مطلقاً: لأن هذه الصفات فيها نوعان: قبيح: وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه، وحسن: وهو إيصاله إلى من يستحقه، عقوبة له، فالأول مذموم، والثاني ممدوح، والرب سبحانه إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلاً منه، وحكمة.[2]

وهناك أفعال أخرى على سبيل المدح والثناء المجرّد: وهذه الأفعال في أصلها تدل على الكمال أو النقص، والسياق الذي تستعمل فيه هو الذي يحدد مدلولها، إما كمال، وإما نقص، فما يطلق منها في حق الله تعالى، هو حال دلالتها على الكمال المقيد.

---

(١) الفوائد (١٨٢).

(٢) شرح الواسطية للفوزان (٢/٧٥).

مثل: الإرادة، والكلام، والمشيئة والإرادة، والفعل، والصنع وغيرها، وهذا القسم من الصفات منقسم إلى محمود، ومذموم.

فهذان القسمان لا يجوز تسمية الله تعالى بهما، لأن أسماءه تعالى كلها أسماء حمد، وثناء، ومجد، وجلال، لا نقص فيها بأي وجه، ولهذا كانت حسنى.

ولا يجوز كذلك وصف الله تعالى بها على الإطلاق، لأن فيها ما يحمد، ويذم. ولهذا يوصف بها حيث وردت فيه بسياق الثناء، والحمد، فإن تعلقت بما يمدح به، كانت دلالتها المدح، وإن تعلقت بما يذم به كانت دلالتها الذم.[1]

قال شيخ الإسلام: «وأما الكلام، والإرادة فلما كان جنسه ينقسم إلى: محمود كالصدق، والعدل، وإلى مذموم كالظلم، والكذب، والله تعالى لا يوصف إلا بالمحمود، دون المذموم...».[2]

أدلة القاعدة:

إنَّ الأدلة الدالة على هذه القاعدة كثيرة ومتنوعة:

أدلة النوع الأول: وهو ما كان على سبيل المقابلة والجزاء: قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (آل عمران).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ (الطارق).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠/٤٧١)، والقواعد الكلية (٧١، ١٤٢، ١٦٦، ١٨٥).

(٢) شرح العقيدة الأصبهانية (١٩).



القاعدة السابعة

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) ﴾ (البقرة).

أدلة النوع الثاني: وهو ما كان للثناء والمدح المجرد المحض:

قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ (البروج) وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠)﴾ (الإنسان)، وقال سبحانه: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)﴾ (النمل)، قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨)﴾ (البقرة).



القاعدة الثامنة: (إثبات الصفات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل)[1]:

هذه القاعدة من أهمِّ وأجلِّ القواعد في توحيد الأسماء والصفات، إذ هي الفيصل بين معتقد أهل السنة والجماعة، وبين مخالفيهم من أهل الضلال في هذا الباب العظيم، إذ هما ركنا هذا التوحيد، لأنه يقوم على: إثبات الصفات، وهي تسمى كما تقدم: الصفات الثبوتية، وكذلك على: نفي النقائص والمعايب عن الله تعالى، وتسمى الصفات: المنفية.

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «والجمع بين النفي والإثبات في باب الصفات هو حقيقة التوحيد فيه، وذلك لأن التوحيد مصدر (وحَّد، يُوحِّد) ولا يمكن صدق حقيقته إلا بنفي وإثبات، لأن الاقتصار على النفي المحض تعطيل محض، والاقتصار على الإثبات المحض لا يمنع المشاركة، مثال ذلك: لو قلت: ما زيد بشجاع، فقد نفيت عنه صفة الشجاعة، وعطلته منها، ولو قلت: زيد شجاع، فقد أثبت له صفة الشجاعة، لكن ذلك لا يمنع أن يكون غيره شجاعاً أيضاً، ولو قلت لا شجاع إلا زيد، فقد أثبت له صفة الشجاعة، ونفيت أن يشاركه غيره فيها، فكنت موحداً له في صفة الشجاعة، إذن لا يمكن توحيد أحد بشيء، إلا بالجمع بين النفي والإثبات»[2].

---

(١) انظر هذه القاعدة في: مجموع الفتاوى (٣/٤) (٥/٢٦) (٥/١٩٥) (٦/٣٨)، (٨/٤٣٢)، ومنهاج السنة النبوية (٢/٥٢٣)، والجواب الصحيح (١/٧١)، والصفدية (١/١٠٣).

(٢) تقريب التدمرية (١٦). وانظر: شرح العقيدة الأصبهانية (٤٣٢ - ٤٣٣).



فهذه القاعدة أصل من أصول الحياطة والصيانة لهذا الباب، من أن يتطرق إليه تحريف المحرفين، وشُبه المبطلين، وبيانه يعتمد على أصلين:

الأول: أن الاستدلال على إثبات ما يجب لله تعالى من الكمال أسماء وصفات على كونه الصفة والاسم، لا تشبيه في إثباته طريق فاسد لا يعتمد عليه.

الثاني: أن لا يعتمد في نفس ما يضاد الكمال من النواقص والعيوب على أنها مستلزمة للتشبيه.[1]

والتشبيه هو: مصدر شبَّه يُشبِّه، وهو التمثيل، يقال: شبهت الشيء بالشيء أقمته مقامه، لصفةٍ جامعة بينهما، وتكون الصفة ذاتية، ومعنوية، فالذاتية نحو: هذا الدرهم كهذا الدرهم، وهذا السواد كهذا السواد، والمعنوية نحو: زيد كالأسد، أو كالحمار، أي: في شدته وبلادته.[2]

فالتشبيه الذي يراد نفيه في هذا الباب، هو: اعتقاد ثبوت شيء من خصائص المخلوق لله تعالى في ذاته، أو صفاته، أو أفعاله، أو إثبات شيء مما يختص به الخالق في ذاته، أو أسمائه، أو صفاته، أو أفعاله، أو حقوقه للمخلوق مما يجعل فيه حظاً من الألوهية.

---

(١) انظر: القواعد الكلية في الأسماء والصفات (٣٤٨ - ٣٤٩).

(٢) انظر: المصباح المنير (١٧٧).

والمراد بالتشبيه في الصفات: الغلو في إثباتها إلى حد اعتقاد مساواتها لصفات المخلوقين، وقد يعبر عنه بالتمثيل[1]، والتعطيل هو: الإهمال، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾﴾ (التكوير)، أي: أهملت، وشغل عنها أهلها: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ (الحج)، أي: مستغنٍ عنها لخراب مكانها[2]، والمقصود به هنا: نفي الصفات، ولهذا كان السلف يُسمون نفاة الصفات معطلة، لأن حقيقة قولهم تعطيل ذات الله تعالى.[3]

أدلة القاعدة:

إن من أعظم الأدلة وأبينها هنا، قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى) وقد أجاد العلامة الشنقيطي - رحمه الله - في ذكر النكتة في إثبات السميع والبصير بعد نفي المماثلة عن الله تعالى، يقول رحمه الله: «فهذه الآية فيها تعليم عظيم يحل جميع الإشكالات، ويجيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع، ذلك لأن الله تعالى قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر، يتصف بهما جميع الحيوانات،

---

(١) النفي في باب صفات الله (٢٠٥).

(٢) عمدة الحفاظ (٣/٩٣ - ٩٤).

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/١٢٧) (٨/٢٤٧)، وبيان تلبيس الجهمية (١/١٣٢)، ومجموع الفتاوى (٥/٣٢٦).

فكأن الله يشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه، وبصره، بإدعاء أن الحوادث تسمع وتبصر، وإن ذلك تشبيه، بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره على أساس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ فالله جل وعلا له صفات لائقة بكماله وجلاله، والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم، وكل هذا حق ثابت لا شك فيه».[1] ففي قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: رد على أهل التمثيل، وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾: رد على أهل التعطيل.[2]

أقوال العلماء:

قال الإمام إسحق بن راهوية رحمه الله: «إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع فهذا تشبيه، وأما كما قال الله تعالى: يد، وسمع وبصر، ولا يقول: كيف، ولا يقول: مثل سمع ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً».[3]

قال الإمام أبو عبدالله بن أبي زمنين رحمه الله: «فهذه صفات ربنا الذي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه ﷺ ليس في شيء منها

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٣٤٨/٦)، وانظر: الجواب الصحيح (١١١/٢)، (١٤٠/٣).

(٣) انظر: سنن الترمذي (٥٠/٣). عقب حديث رقم (٦٦٢).

تحديد، ولا تشبيه، ولا تقدير، فسبحان من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ لم تره العيون فتحده كيف هو كينونته، لكن رأته القلوب في حقائق الإيمان به».[1]

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «... ولكن يثبت هذه الصفات، وينفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه تعالى ذكره، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى).[2]

قال الإمام أبو منصور معمر الأصبهاني رحمه الله: «... وأن السنة هي: اتباع الأثر والحديث والسلامة والتسليم، والإيمان بصفات الله عز وجل من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تأويل، بجميع ما ورد من الأحاديث في الصفات....» (ثم ذكر أمثلة من أحاديث الصفات)، ثم قال رحمه الله: «كل ذلك بلا كيف ولا تأويل نؤمن بها إيمان أهل السلامة والتسليم، ولا نتفكر كيفيتها... فـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: ينفي كل تشبيه وتمثيل، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾: ينفي كل تعطيل وتأويل، فهذا مذهب أهل السنة والجماعة، والأثر، فمن فارق مذهبهم فارق السنة، ومن اقتدى بهم وافق السنة».[3]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «القول الشامل في جميع

---

(١) رياض الجنة بتخريج أصول السنة (٧٤).

(٢) نقلاً من كتاب عقيدة الراسخين (١١٥).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/٢٤٢ - ٢٤٣).



القاعدة الثامنة

هذا الباب: ما أجمع عليه سلف الأمة، وأئمتها، من أنهم يصفون اللّه تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل»[1] «إثباتاً لصفات الكمال، وتنزيهاً له عن أن يكون له فيها أنداد، وأمثال، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل...»[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/٢٦) (٥/١٩٥) (١١/٢٥٠).

(٢) الجواب الصحيح (١/٧١).



القاعدة التاسعة: (الصفات معلومة لنا باعتبار المعنى، مجهولة لنا باعتبار الكيفية):[1]

هذه القاعدة الجليلة من أعظم القواعد وأجلها في هذا الباب ففيها تأصيل وتقعيد في مفهوم الصحيح لمسائل الغيب، والتي من أجلها في باب: توحيد الأسماء الحسنى، والصفات العلا، سواء كانت صفات ثبوتية، أو منفية، فهذه القاعدة العظيمة، رد على كل من خالف أهل السنة والجماعة، ولذلك أصبحت مقالة ربيعة بن أبي عبدالرحمن شيخ البخاري - رحمه الله - والإمام مالك، أصلاً أصيلاً، ومعولاً في الصفات.

فعن سفيان بن عُيينة - رحمه الله - قال: «كنت عند ربيعة بن أبي عبدالرحمن فسأله رجل فقال: «الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق»[2] وتقدم قول الإمام مالك - رحمه الله - حينما سئل عن الاستواء فأجاب: «الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول...».[3]

فقولهما (الاستواء غير مجهول) أي: في اللغة، ولهذا قلنا في

---

(١) انظر هذه القاعدة في: بيان تلبيس الجهمية (١/١٣٢) (٣/١٣٩) ودرء تعارض العقل والنقل (٣/١٦٧).

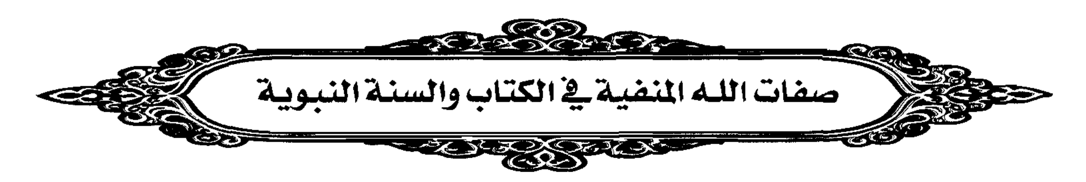
(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/٤٤٢)

(٣) المصدر السابق (٣/٤٤١).

القاعدة: (الصفات معلومة لنا باعتبار المعنى) لأن الله تبارك وتعالى خاطبنا بكتابه باللسان العربي المبين، وأمرنا بتدبره وتعقله، واتباعه، والعمل به، وكتاب ربنا من أوله إلى آخره، حافل في ذكر أسمائه، وصفاته، فمحال أن يأمرنا سبحانه بخلافه، ولهذا فإن صفات الله تعالى كلها الثبوتية والمنفية، معلومة المعنى غير مجهولة في أصل اللغة، الذي أمرنا الله تعالى في كتابه بتدبرها، وفهمها، والعمل بمضامينها، ومعنى: (مجهولة لنا باعتبار الكيفية): الكيفية، والتكيف من الكيف ومعناه: السؤال: «عن الهيئة، والصورة، وطلب حقيقة الشيء، وكنهه».

والمعنى: اعتقاد أن صفات الله تعالى على هيئة معلومة، أو السوال عنها بكيف، والمراد هنا: ذكر كيفية الصفة سواء ذكرها باللسان، أو بالجنان، فأهل السنة والجماعة لا يكيفون صفات ربهم أبداً، فلا يقولون: كيفية يد ربنا كذا وكذا، وكيفية وجه ربنا كذا وكذا، لأن القول في الصفات كالقول في الذات، يحتذى حذوه ويقاس عليه، فكما نثبت أن لله تعالى ذاتاً، ولا نعلم كيفيتها، فكذلك نثبت له صفاتاً، لا نعلم كيفيتها، إذ العلم بكيفية الصفة، فرع عن العلم بكيفية الموصوف.[1]

(١) انظر: معالم السنن للخطابي (٥/٢٥٠)، ومجموع الفتاوى (٣/٢٠٧)، (٦/٣٩٦)، بيان تلبيس الجهمية (١/٦٤)، وشرح العقيدة الواسطية: للعلامة ابن باز (١/١٧٤)، والهراس (١/١٧٦)، وابن عثيمين (١/٢٣٥)، وتقريب التدمرية (٧٣).



أدلة القاعدة:

من الأصول المقررة الذي تفرد بها أهل السنة والجماعة عن غيرهم، أنهم يرجعون في جميع أمورهم إلى المصدرين الكتاب والسنة، ومن ذلك: في توحيد الأسماء والصفات، لا يقدمون عليهما شيئاً. وهنا ينبغي أن يعلم أن تكييف صفات الله تعالى منفي بالنص، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٧)، فالتكييف هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.[١]

فمن الأدلة قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ (البقرة: ٢٥٥) وقال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ (طه) ففي هاتين الآيتين دلالة جلية: أن لا أحداً من الخلق سواء من الملائكة المقربين، ولا من الأنبياء المرسلين، فضلاً عن كل العالمين، الإحاطة بالله تعالى علماً في ذاته، ولا في صفاته، فإذا كانت الإحاطة منتفية عن كل أحد، فكيف يكون من الخلق أحد، أن يكيف الله تعالى بأي وجه من الوجوه.

فقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾ يحيطون فعل مضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار في الحال، والاستقبال، كما هو معلوم عند أهل الأصول والأحكام، وكذلك سبقته (لا) النافية، «فيصير المعنى: لا إحاطة للعلم البشري برب السموات والأرض، فينفي جنس أنواع الإحاطة (كلها) عن كيفيتها، فالإحاطة المسندة للعلم، منفية عن رب العالمين».[٢]

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩٥/٣)، (٣٧٤/١٧)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٢٣/٩).

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي (٢٤).

فالشيء لا تُدرك كيفيته إلا بمشاهدته، أو بمشاهدة مثيله، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله، فتكون الكيفية مجهولة بالنسبة لنا، لا نعلمها.[1]

أقوال العلماء:

روي عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله: أنه عندما سئل عن النزول فقال: «ينزل بلا كيف»[2]. قال إمام الدنيا إسحاق بن راهويه رحمه الله: «لا يُسأل كيف نزوله، لأنه الخالق يصنع ما شاء، كيف شاء»[3]، قال الإمام ابن بطه رحمه الله: «فمن علامات المؤمنين أن يصفوا الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ مما نقله العلماء، ورواه الثقات من أهل النقل الذين هم الحجة فيما رووه من الحلال والحرام، والسنن والآثار، ولا يقال فيهم صح عن رسول الله كيف؟ ولا لمَ؟ بل يتبعون ولا يبتدعون، ويُسلمون ولا يعارضون، ويتيقنون ولا يشكون، ولا يرتابون».[4]

قال الإمام أبو محمد الجويني رحمه الله: «صفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة من حيث التكييف والتحديد، فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه، أعمى من وجه، مبصراً من حيث الإثبات والوجود، أعمى من حيث التكييف والتحديد».[5]

---

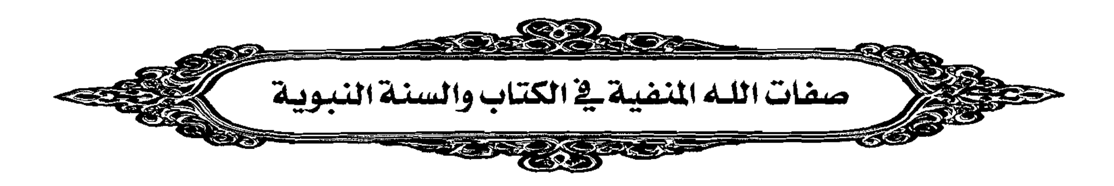
(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٣٩٩).

(٢) أورده الإمام الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٢٢)، وانظر كذلك: شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٦٩).

(٣) رواه عنه حرب الكرماني في كتابه: مسائل الإمام أحمد وإسحاق (٤١٦).

(٤) الإبانة في أصول الديانة (٣/٩١).

(٥) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (١/١٨٢).



الآيات والأحاديث الواردة في الصفات المنفية

سبق أن بيّنا الأحوال التي تذكر فيها الصفات المنفية غالباً. وقد تقدم بيانه كذلك أن الصفات المنفية عن الله تعالى تأتي مجملة، ومفصلة، وأن الأصل فيها الإجمال، وأن سبب النفي المجمل هو: بيان عموم كمال الله عز وجل، وأن التفصيل في النفي يأتي لأسباب تقتضيه.

القسم الأول: آيات وأحاديث الصفات الواردة على سبيل النفي المجمل:

أولاً: نفي اتخاذ الشريك في الألوهية:

وهذه هي أهم قضية ورد ذكرها في القرآن الكريم، بل هي أس الأساس الذي يقوم عليه الدين، وبُعث من أجله المرسلين.[1]

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ (البقرة).

٢ ـ وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

(١) النفي في باب صفات الله (ص٢٩٣).



٣ ـ وقال عز شأنه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ (الأنبياء).

السنة النبوية:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**».[1]

٢ ـ وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**من مات يجعل لله نداً أدخل النار**»[2] وفي رواية: «**من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**».[3]

٣ ـ وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**».[4]

---

(١) مسلم (٧٤٠٠).

(٢) البخاري (٦٦٨٣).

(٣) البخاري (١٢٣٨).

(٤) البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٢٥٣).

ثانياً: نفي اتخاذ الشريك في الربوبية:

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ - قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ (الإسراء).

٢ - وقال سبحانه: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ (الرعد).

٣-وقال عز شأنه: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سبأ).

٤ - وقال تبارك وتعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الزخرف) وقال: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (النمل).

السنة النبوية:

من حديث أبي زرعة البجلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يعني عن رب العزة» أنه قال: **«ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبَّة وليخلقوا ذرة»**.[1]

---

(١) البخاري (٥٦٠٩).

ثالثاً: نفي اتخاذ الشريك في الأسماء والصفات:

وهذا النوع هو أكثر أنواع النفي التي جاءت في نصوص الوحيين، بطرق مختلفة في النفي العام المجمل للنقائص والعيوب، في حق ربنا العظيم جل جلاله.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال جل جلاله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ (مريم).

٢ ـ وقال عز شأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى: ١١).

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ (الإخلاص).

٤ ـ وقال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ (الصافات).

٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ (طه).

٦ ـ وقال جل ثناؤه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (البقرة).

السنة النبوية:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان على الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».[1]

---

(١) البخاري (٦٤٠٦)، (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤).

٢ ـ عن حذيفة رضي الله عنه: «أنه صلى مع النبي ﷺ، فكان يقول في ركوعه (**سبحان ربي العظيم**)، وفي سجوده (**سبحان ربي الأعلى**)».[١]

٣ ـ وفي حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: «قمت مع رسول الله ﷺ ليلة.... ثم ركع (أي رسول الله) يقول في ركوعه»: (**سبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء، والعظمة**).[٢]

الشرح:

تقدم ذكر الآيات والأحاديث الصحيحة الصريحة التي عليها المدار في نفي النقائص والعيوب، وجميع ما لا يليق بالله تعالى من جميع الوجوه، على وجه الإجمال، ففيها تنزيه الله عز وجل عن: «النظير[٣]، باسم: الكفء، والمثيل، والند، والسمي».[٤]

جاء هذا التنزيه والبراءة لإثبات غاية الكمال والجلال له سبحانه: في ذاته، وأسمائه الحسنى، وصفاته الكمال العلا، وأفعاله الهدى.[٥]

فقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ (مريم).

السمي: أي: المثيل، والنظير، والشبيه.[٦]

---

(١) صحيح أبي داود (٨٧١)، وصحيح الترمذي (٢٦٢)، وأخرجه مسلم بنحوه مطولاً (٧٧٢).

(٢) صحيح النسائي (١١٣١)، وصحيح أبي داود (٨٧٣).

(٣) لسان العرب (١٤/٤٠٣)، ومختار الصحاح (١٣٣).

(٤) منهاج السنة النبوية (٢/١٨٥).

(٥) انظر: النفي في باب صفات الله عز وجل (١٢٣، ٢٩٥).

(٦) المفردات (٤٢٨)، وعمدة الحفاظ (٢/٢٢٥).



وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه فسر قوله ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ : يقول: «هل تعلم للرب مثيلاً، أو شبيهاً»[1] وصح عن قتادة رحمه الله أنه قال: «لا سمي لله، ولا عدل له، كل خلقه يقر له...».[2]

وقيل: من تسمى باسمه، وقيل: لم يتجاسر أحدٌ أن يسمى بالله تبارك وتعالى.[3]

وقد ذهب جمع من أهل العلم لهذا المعنى كما في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ (الواقعة) أي: تنزيه أسماء الله تعالى عن أن يسمى بها شيء سواه، وعن إطلاقها على غيره، بزعم أنهما فيها سواء.[4]

وقوله سبحانه: (هل): استفهام، لكنه بمعنى النفي، فالاستفهام هنا إنكاري، معناه: النفي، ويأتي النفي بصيغة الاستفهام لفائدة عظيمة وهي: التحدي، لأن هناك فرقاً بين قول: لا سمي له، أو: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾، لأنه هنا متضمن للنفي وللتحدي أيضاً، فهو مُشْرب معنى التحدي، والثبوت الذي تضمنه هذا النفي هو: الكمال المطلق، فيكون المعنى: هل تعلم له سمياً لثبوت كماله المطلق، الذي لا يساميه أحدٌ

(١) التفسير الصحيح (٣/٣٤٥).

(٢) إسناده حسن، انظر «أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان» عبدالعزيز المبدل رقم (٦٩، ١٣١٤).

(٣) عمدة الحفاظ (٢/٢٢٥)، وتفسير القرطبي (٦/١١٩).

(٤) انظر: هذه الأوجه في «التسبيح في الكتاب والسنة» (١/٢٢٠).

فيه[1] فمن كماله في ذلك، وتوحده بذلك: ألا يشاركه أحد في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله على وجه الكمال، ولا فيما يستحقه عز وجل[2] من حقوقه الخاصة به سبحانه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١).

هذه الآية الكريمة هي أصرح آية في نفي المماثلة عن الله عز وجل[3] فـ(شيء) نكرة في سياق النفي فتكون عامة.[4]

أي: ليس يشبهه تعالى، ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فلا يجوز أن يوصف بشيء من خصائص المخلوقين، لأنه تعالى متصف بغاية الكمال، منزه عن جميع النقائص والمذام، لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشاركة أحد من الخليقة[5].

وبالجملة «إن الرب تعالى منزه عن أن يوصف بشيء من خصائص المخلوق، أو أن يكون له مماثل في شيء من صفات كماله، وكذلك يمتنع أن يشاركه غيره في شيء من أموره، بوجه من الوجوه».[6]

---

(١) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١/١٢٨).

(٢) اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية لمعالي الشيخ/ صالح آل الشيخ (١/٤٧٥).

(٣) باب النفي في صفات الله (٢٩٨).

(٤) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين (٢٣٧).

(٥) مجموع الفتاوى (٦/٣٩٩)، (١٢/٥٧٥)، وتفسير السعدي (٧٥٤). بتصرف يسير.

(٦) الصفدية (١/١٠١).

وهذه الآية إضافة إلى دلالتها على الإجمال في النفي، فهي تدل أيضاً على أصل عظيم من أصول معتقد أهل السنة والجماعة كما تقدم: إن النفي يكون مجملاً، والإثبات يكون مفصلاً، وأن المراد بالكمال المثبت له هو، «الكمال الذي لا يماثله في شيء»[1]، فهو إثبات بلا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تكييف، كما أن النفي بلا تعطيل[2]، والله تعالى أعلم.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (الإخلاص).

الكفئ: المثيل، والنظير، والمساوئ، يُقال: هذا كفءٌ له، أي: مثله في الحسب، والمال، والحرب[3] والكفئ يطلق على: المنزلة، والقدر.[4]

ففي هذه الآية الشريفة في سورة اسمها على مسماها (الإخلاص) «لأنها أخلصت الخبر عن الله تعالى وعن أسمائه، وصفاته العلا، فهي نسب الرحمن وصفته، ولأنها خلصت قارئها المؤمن بها من الشرك العلمي الاعتقادي»[5] «ففيها نفي عن الله جل جلاله الكفئ: وهو النظير، والعديل، والشبيه، والمثيل عن الله تعالى من كل وجه، لأن (أحداً) وقع نكرة في سياق النفي فيعم».[6]

---

(١) الصواعق المرسلة: (١٠٢٢/٣، ١٠٢٩).

(٢) انظر: منهج ودراسات الأسماء والصفات للشنقيطي (٨٤)، وانظر درء تعارض العقل (٣٤٨/٦).

(٣) كتاب العين (٣٧/٤)، واللسان (٦٨١/٧).

(٤) المفردات (٧١٨).

(٥) انظر مجموع الفتاوى (١٠٧/١٧، ١٣٤، ٣٢٥) ، وزاد المعاد (٣١٦/١).

(٦) شرح الواسطية للهراس (١٠٤/١) بتصرف يسير.

فنفي الكفئ عن الله عز وجل لكماله تعالى على الإطلاق، «ومن ذلك لكمال صفاته: فلا أحد يكافئه، لا في علمه، ولا في سمعه، ولا بصره، ولا قدرته، ولا عزته، ولا حكمته، ولا غير ذلك من الصفات».[1]

ويدخل فيها كذلك: «نفي للشركاء، والأنداد، ويدخل فيه كل من جعل شيئاً كفؤاً لله تعالى في شيء من خواص الربوبية، مثل: خلق الخلق، والإلهية، كالعبادة له، ودعائه، ونحو ذلك، فإنه ليس شيء من الأشياء كفواً له في شيء من الأشياء، لأنه أحد».[2]

(٤) وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (البقرة) وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥) الأنداد: جمع ند، وهو: النظير المناوئ، وقيل الفرق بين الند، والمثل، أن الند هو: المشارك للشيء في جوهره، وذلك ضربٌ من المماثلة، والمثل: يقال في أي مشاركة كانت، وكل ند مثل، وليس كل مثل ند، وقيل: لا يقال (أي: الند)، إلا للمثل المخالف المناوئ.[3]

ويقال ليس لله ند ولا ضد، والمراد نفي ما يكافئه، ويناوئه، ونفي ما يضاده، وينافيه[4]، فالمناوئ هو: المخالف المعادي، والمعنى: «لا تجعلوا نظراء، وأشباهاً من المخلوقين، فتعبدونهم وتحبونهم، كما

---

(١) شرح الواسطية لابن عثيمين (١٤١/١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥٨/٢)، (٢٣٨/١٧، ٣٢٥، ٤٥٣)، وبيان تلبيس الجهمية (٤٥٨/٢).

(٣) عمدة الحفاظ (١٥٥/٤).

(٤) شرح الواسطية للهراس (٢٠٤/١).

تعبدون وتحبون الله، وهم مثلكم مخلوقون ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: أن الله ليس له شريك، ولا نظير، لا في الخلق، والرزق، والتدبير، ولا في العبادة، فكيف تعبدون معه آلهة أخرى، مع علمكم بذلك».[1]

(١) تفسير السعدي (٤٥).

الآيات والأحاديث التي تتضمن النفي المتصل

تقدم بيان أنواع نفي النقائص عن الله تبارك وتعالى، وذكرنا أنها نوعان: نفي متصل، ونفي منفصل، وأن النفي يأتي مجملاً عاماً، ويأتي مفصلاً في ذكر نفي كل صفة نقص مخصوصة بعينها، لمنافاتها الكمال الواجب لله عز وجل، وقد سبق بيانه: «أن التفصيل في التنزيه إذا كان لسبب يقتضيه، أو لمناسبة تتطلبه كان تنزيهاً حسناً، لأنه لمعالجة قضية معينة يحتاج فيها إلى التفصيل، وحينئذ لا يكون النفي محضاً لا يتضمن إثباتاً، بل يكون نفياً متضمناً إثبات كمال ضد المنفي لله تعالى، ولهذا يكون هذا التنزيه مفيداً للمعرفة بالله تعالى، والتعظيم له، وحسن الاعتقاد فيه، لمن وفقه الله تعالى»[1] وسار على طريق الأنبياء والمرسلين والمؤمنين، الذين أثنى الله عليهم في كتابه الكريم.

وضابط هذا النوع كما تقدم: «نفي كل ما يناقض صفة من صفات الكمال التي وصف الله عز وجل بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ».

(١) التسبيح في الكتاب والسنة (١٤٦/٢).

الصفة المنفية الأولى عن الله تبارك وتعالى: (نفي الموت)

وهي صفة شرعية، وعقلية فطرية، ثابتة بالكتاب والسنة.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ (الفرقان: ٥٨).

السنة النبوية:

١ ـ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت....، أنت الحيّ الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**».[١]

٢ ـ عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقول في دبر الصلاة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو حي لا يموت، بيده الملك، وهو على كل شيء قدير**».[٢]

المعنى في اللغة:

الحياة ضد الموت، ويسمى المطر حياً، لأنه به حياة الأرض.[٣]

---

(١) مسلم (٦٨٣٧) واللفظ له، والبخاري مختصراً (٧٣٨٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٩٢٦) وقال الحافظ ابن حجر «رواته موثوقون» الفتح (٣٧٢/١١).

(٣) انظر: لسان العرب (١٠٧/٢)، ومعجم مقاييس اللغة (١٢٢/٢).

المعنى في الشرع:

نفى ربنا تبارك وتعالى عن نفسه الكريمة الموت، وجاء هذا النفي بعد أن وصف الله نفسه بأنه (الحي) لبيان: أن له الحياة الكاملة، المطلقة، السرمدية، التي لا يعتريها، أي عيب، ولا نقصان، الذي هو أعظمه: الموت، والفناء، ولهذا حسن الاقتران بينهما: (**الحيّ الذي لا يموت**)، إذ فيهما: إثبات، ونفي، لما بينهما من تضمن، والتزام. وهذا ما انفرد به سبحانه دون الأنام، فـ(**الحي**) الكامل يستلزم استحالة عليه الموت أبداً، وكذلك الموت: ينافي ويستحيل في حق الحي الدائم.

ولهذا نفى سبحانه ما يقابل هذه الصفة من الموت، لبيان أن حياته تعالى مخالفة لحياة غيره من المخلوقات من كل وجه، وذلك: أن «له الحياة الدائمة، والبقاء، لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد، إذ كل ما سواه فإنه وإن كان حياً، فلحياته أول محدود، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها.[1]

وغير ذلك: أنه «ليس في الوجود موجود له حياة من ذاته لذاته، إلا الله وحده، فصفة الحياة له سبحانه ذاتية».[2]

وقولنا: من ذاته لذاته، أي: أنها غير مكتسبة من أحد، «لا من سبب آخر، ولا لعلة خارجة».[3] أما الخلق فإن حياتهم مكتسبة من الحيّ الدائم، الذي لا يموت سبحانه.

---

(1) تفسير الطبري (٢/١٢٦).

(2) الأسنى للقرطبي (٣٧٧).

(3) شرح مختصر الروضة لسليمان سعيد الطوفي (١/٥٦).

وقد جاء نفي هذه الصفة النقيصة في حق ربنا جل جلاله في القرآن الحكيم، في الأمر بالتوكل عليه وحده، فقال عز شأنه: **(وتوكل)** «ثم وصف تعالى نفسه الصفة التي تقتضي التوكل في قوله: **(الحي)** إذ هذا المعنى يختص بالله تعالى وحده».[1] كما تقدم بيانه، فناسب مجيء الصفة التي تستوجب حسن العبودية، وهي: التوكل.

ولهذا «عدل عن اسم الجلالة **(الله)** إلى هذين الوصفين: **(الحي الذي لا يموت)** لما يؤذن به من تعليل الأمر بالتوكل عليه، لأنه الدائم، فيفيد ذلك معنى حصر التوكل في الكون عليه، فالتعريف في «الحي» للكامل، أي: الكامل حياته، لأنها واجبة باقية مستمرة، وحياة غير معرضة للزوال بالموت»[2]. والفناء، فإنه الحقيق سبحانه بأن يتوكل عليه، **(لأنه)** هو الذي يوثق به في **(جلب)** المصالح، والمنافع، ودفع المضار[3]، والمساوئ.

ولهذا أكد سبحانه ذلك بقوله: **(الذي لا يموت)** أي: فلا ضياع لمن توكل عليه أصلاً، بل هو المتولي لمصالحه في حياته، وبعد مماته»[4].

ومن الأدلة الدالة على نفي صفة النقص عن ربنا تعالى (الموت) ما جاء عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: أنسب

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (٤/٢١٦).

(٢) تفسير التحرير والتنوير لسماحة الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور (٩/٥٩).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق بن حسن القنوجي البخاري (٥/٣٨).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن البقاعي (٥/٣٣١).

إلينا ربك»؟ فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ (الإخلاص) قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فالصمد الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عز وجل لا يموت، ولا يورث».[1] وهذا التفسير باللزوم.

وقد تقدم في أدلة السنة أن النبي ﷺ كان يدعو ربه ويثني عليه، ومن ذلك تنزيهه عن الموت، بعد أن أثبت له الحياة الكاملة، كما في دعائه ﷺ: «... **أنت الحي الذي لا يموت...**».

يقول العلامة عبدالله الغنيمان - حفظه الله - في شرحه لهذا الحديث العظيم بكلام جامع ماتع: «(**الذي لا يموت**)، أي: فأنت يا إلهي الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، لا مبدأ لوجودك، ولا منتهى لبقاءك، وأنت الغني بذاتك عن كل ما سواك، والخلق كلهم فقراء إليك، وكانوا عدماً (لا شيئاً) قبل إيجادك إياهم، وهم عرضة للأمراض، والآفات، والتغيرات، والفناء، وأنت يا ربي الباقي وحدك، والخلق كلهم يموتون، فلا رب سواك يتصرف بالخلق كيف يشاء، ويغير، ولا يتغير جل وعلا.

قوله: (**والجن والإنس يموتون**): المقصود بذكر الجن والإنس، جنس الخلق، والمعنى: أن الخلق كلهم يموتون، ولا يبقى إلا الحي القيوم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾

---

(١) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٣٦٤)، وفي ظلال الجنة في التحقيق الثاني برقم (٦٦٣).

(الرحمن) وذكر الجن والإنس لا ينفي عن الملائكة الموت، لأن هذا خاص قصد به الجن والإنس، أو على ما تقدم ذكر الجنس، والمقصود عموم الخلق، وقد جاء ما يدل على هلاك عموم الخلق، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (القصص)».[١]

دلالة نفي (الموت) على صفات الله تعالى:

جاء هذا النفي لإثبات ما يضاد كمال حياته تعالى، وقيوميته لئلا يتوهم متوهم أن الله قد يعتريه نقص في وصف الحي القيوم المشتقين من اسمين من أسمائه سبحانه وهما: (**الحي**)، و(**القيوم**). وقولنا: لإثبات ما يضاد كمال حياته تعالى، لأنه ربنا تبارك وتعالى هو (**الحيّ**): الذي له الحياة الكاملة على الإطلاق، من كل وجه واعتبار.

فحياته تعالى كاملةٌ في وجودها، وكاملةٌ في زمانها، وكاملةٌ في أوصافها، فهي كاملة في وجودها، وزمنها: أن ليس لها بداية فلم تسبق بعدم، وكذلك ليس لها نهاية، ولا يلحقها زوال، ولا يعقبها فناء، ولا انتهاء، وهي كاملة في أوصافها، أي: متضمنة لمعاني الحياة الكاملة، من كمال الصفات: كالسمع، والبصر، والقدرة، والإرادة، والعلم، والحكمة، والكلام... وغيرها، ومن كمال أوصافها: أنه تعالى لا تأخذه سنةٌ، ولا نوم، ولا نقص، ولا عجز، ولا سهو، ولا غفلة، بأي حال من الأحوال.

بخلاف حياة غيره، فهي حياة ناقصة، وذلك: لأنها سبقت بعدم،

---

(١) شرح كتاب التوحيد للبخاري (١/١١٥ - ١١٦).

وملحوقة بفناء، ثم نفس الحياة الوجودية ناقصة، فالإنسان يعتريه المرض في بصره، وفي سمعه، وفي عقله، وفي بدنه.[1]

ولكمال قيوميته، فهو تعالى (**القيوم**)، الذي قام بنفسه مطلقاً لا بغيره سبحانه، فلم يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، ومع ذلك: يقوم به كل موجود فلا يتصور وجود شيء، ولا داوم وجوده إلا به، فقامت به كل المخلوقات في العالم العلوي والسفلي، في كل اللحظات، فقد أوجدها، وأمدها، وأعدها لكل ما فيه بقاؤها، وصلاحها، وقيامها، قال سبحانه: ﴿**أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت**﴾ (الرعد: ٣٣). فهو سبحانه الدائم الباقي، الذي لا يزول ولا يحول، فلم يزال موصوفاً بصفات الكمال، ونعوت العلا والجلال.[2]

وهذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى، دلالة مطابقة، وتضمناً، ولزوماً.

فـ(**الحي**): من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، فهو يجمع كل صفات الذات، وهو أصلها، لا تفوته صفة كمال ألبتة: من السمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والإرادة، والمشيئة، والكلام، وسائر صفات الكمال.[3]

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٠٢/٩)، وابن كثير (٤٤٣/٣)، وبدائع الفوائد (٦٧٩/٢)، وتفسير سورة آل عمران (٧/١)، وشرح عقيدة أهل السنة لابن عثيمين (٦٩ - ٧٠).

(٢) انظر: التوحيد لابن منده (٨٤/٢)، وشأن الدعاء (٨٠-٨١)، والصواعق المرسلة (٩١١/٣)، والبيان في أقسام القرآن (٢٠٥)، والحق الواضح (٨٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣١١/١٨)، والتبيان (٢٠٥)، وتفسير السعدي (١١٠).

و(**القيوم**): هو الذي له القيومية الكاملة، فهذا الاسم الجليل يجمع كل صفات الأفعال، لا يتعذر عليه فعل ألبتة: كالخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، وسائر صفات الأفعال.(١)

ولهذا يقرن الله تبارك وتعالى بينهما في كتابه الحكيم، وكذلك في سنة المصطفى ﷺ الأمين.

يقول شارح الطحاوية - رحمه الله: «واعلم أن هذين الاسمين: أعني (**الحي، القيوم**) مذكوران في القرآن معاً في ثلاث سور، وهما من أعظم أسماء الله الحسنى، حتى قيل: إنهما الاسم الأعظم(٢)، فإنهما يتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل تضمن، وأصدقه، ويدل (**القيوم**) على معنى الأزلية، والأبدية، ما لا يدل عليه لفظ القديم، فهو سبحانه لا يزول، ولا يأفل، فإن الأفل قد زال قطعاً، أي: لا يغيب، ولا ينقص، ولا يفنى، ولا يعدم، بل هو الدائم الباقي. موصوفاً بصفات الكمال، واقترانه بـ(**الحي**) يستلزم سائر صفات الكمال، ويدل على دوامها، وبقائها، وانتفاء النقص والعدم عنها أزلاً، وأبداً، ولهذا كان قوله: ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾ (البقرة: ٢٥٥)، أعظم آية في القرآن، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ . فعلى هذين الاسمين مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليها ترجع معانيها، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال،

---

(١) ينظر: الصواعق المرسلة (٣/٩١١)، والتبيان (٢٠٥).

(٢) هذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، مجموع الفتاوى (١٨/٣١١)، ومدارج السالكين (١/٤٨٨).

فلا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة، وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة، وأما (**القيوم**) فهو متضمن كمال غناه، وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، والمقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال: أتم انتظام.[1]

وتضمن نفي الموت عن الله تعالى على كمال آخريته، فهو (الآخر): بلا نهاية في الوجود، والنعوت، فهو تعالى الباقي بعد فناء كل الخليقة، صامته، وناطقه، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ (الرحمن) كما قال ﷺ: «**وأنت الآخر فليس بعدك شيء**».[2]

ويتضمن هذا النفي كذلك من أوصاف الكمال التي تنافيه وتضاده، صفة: الصمدية، إذ إن هذه الصفة تدل على أوصاف عديدة، فلا تختص بصفة واحدة معينة[3]، والتي منها: أنه الباقي الدائم، الذي لا يفنى سبحانه[4].

وقد تقدم ذكر تفسير أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**الصمد**) هو الذي (**لم**

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١٢٤ - ١٢٥).

(٢) مسلم (٢٧١٣).

(٣) انظر: بدائع الفوائد: (١/١٧٦)

(٤) انظر هذه المعاني: تفسير الطبري (٧/٥٨٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٧/٣٢١)، وتفسير ابن كثير (٤/٧٩١).



يلد ولم يولد)، لأنه ليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عز وجل، لا يموت، ولا يورث.

وفي طيات هذا النفي يتضمن كذلك على إثبات: صفة الوراثة، المشتقة من اسمه (الوارث): فهو سبحانه الباقي الدائم بعد فناء كل الخلائق، الوارث لجميع الأشياء، بعد زوال كل من في الأرض، والسموات الطوابق، الوارث بلا توريث أحد، الباقي ليس لملكه أمد، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الحجر).[1]

(١) (الجامع) أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة (٤٤٤) للمؤلف.



٢ - نفي (السِّنة «النعاس») عن الله سبحانه

الأدلة الشرعية:

صفة ثابتة بالكتاب الحكيم، وهي صفة سمعية، وفطرية.

القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾ (البقرة).

المعنى في اللغة:

السِّنة: النُعاس، وهو أول النوم، أي: مقدماته، من قولهم رجل وسْنان، أي: نعسان.[1]

المعنى في الشرع:

نفى ربنا تبارك وتعالى عن نفسه السِّنة كما تقدم في كتابه، وهو الدليل الوحيد الذي ثبت في القرآن الكريم مع النوم، ولهذا جمعت كل واحدة منهما، لأنه تعالى: «إنما جمع بين نفيهما، لأنه لا يلزم من نفي أحدهما نفي الآخر، إذ يتصور مجيء النوم دفعة واحدة، من غير مبادئ الوسن (أي: النعاس)، ومجيء الوسن دون النوم، فلذلك نفى كل واحد منهما على حدته، بدليل تكرير (لا)، وبهذا يندفع سؤال من يقول: إنه تعالى لو نفى السِّنة وحدها، لاكتفى

(١) لسان العرب (١٣/٤٩٩)، وعمدة الحفاظ (٤/٣١٣).



بذلك، موجِّهاً له كأنه إذا نُفي ما هو مقدمة للشيء، كان انتفاء ذلك بطريق الأولى».[١]

والحكمة الأخرى كذلك في نفيهما معاً: «لأن السِّنة وهي النعاس مقدمة النوم، والنوم أقوى من السِّنة، وأثقل.[٢]

وقوله سبحانه: (لا تأخذه)، أي: لا يغلبه النعاس فينعس، كما يغلب البشر الأصحاء بالرغم منهم.[٣]

دلالة نفي (السِّنة) على صفات الله تعالى:

تضمن هذا النفي لبيان كمال الله تعالى، لأنه سبحانه لا تحله الآفات، ولا تناله العاهات، ولا يعتريه نقص ولا غفلة من جميع الوجوه والاعتبارات، ولا ذهول عن خلقه طرفة عين، ولا يُغيّره ما يغيّر غيره، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيدٌ على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، فلو نعس لكانت السموات والأرض وما فيهما دكاً، لأن قيام جميع ذلك بتدبيره، وقدرته، لأن النعاس مانع المُقدِّر عن التقدير بنعاسه.[٤]

وقولنا لكمال حياته: لأن النوم لا يحتاج إليه إلا من كان ناقص الحياة، والدليل على ذلك: أن (النعاس المؤدي إلى) النوم يكون راحة لما مضى، ونشاطاً لما يستقبل، كلما تعب الإنسان يحتاج إلى النوم.

---

(١) عمدة الحفاظ (٣١٣/٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٢٩/١).

(٣) شرح عقيدة أهل السنة لابن عثيمين (٢٣٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢٧/٢)، وابن كثير (٤٢٩/١).

وكمال قيوميته: لأنه إذا كان قائماً على كل شيء لزم من ذلك: (ألا يعتريه نعاس فيقوده إلى) النوم، فإذا نام فمن الذي يقوم على الخلق، فنفى عنه ذلك، لأنه تعالى هو القائم على كل شيء، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ (الرعد: ٣٣).[١]

و«السِّنة والنوم إنما يعرضان للمخلوق، الذي يعتريه الضعف، والعجز، والانحلال، ولا يعرضان لذي العظمة، والكبرياء، والجلال».[٢]

---

(١) شرح عقيدة أهل السنة (٧٠، ٢٣٨) لابن عثيمين.

(٢) تفسير السعدي (٩١).



٣ـ (أ) نفي النوم. (ب) (واستحالة النوم) عن الله سبحانه

هاتان الصفتان المنفيتان ثابتتان، إحداهما ثبتت بالكتاب والسنة، وهي (نفي الموت)، والثانية بالسنة النبوية، وهما من الصفات السمعية الشرعية، وكذلك الفطرية والعقلية.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال عز شأنه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

السنة النبوية:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات، فقال: «**إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام...**».[١]

المعنى في اللغة:

النوم: من نام ينام من باب تعب نوماً ومناماً، والنوم غشية ثقيلة تهجم على القلب فتقطعه عن المعرفة بالأشياء، ولهذا قيل هو: آفة، لأن النوم أخو الموت.[٢]

---

(١) مسلم (٤٤٤).

(٢) المصباح المنير (٣٦٥).

المعنى في الشرع:

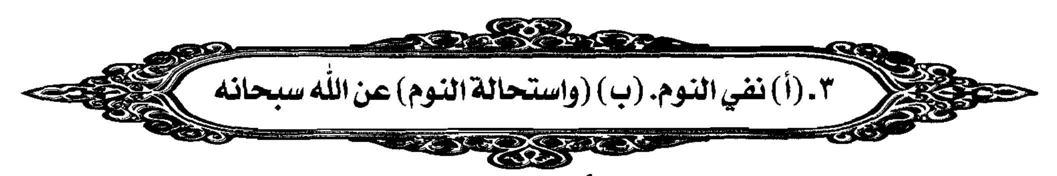
نفى الله تبارك وتعالى كما في الآية السابقة عن نفسه النوم، كما نفى كما تقدم في مقدماته وهو: النعاس لكماله تعالى، فهو المنزه عن كل عيب، ونقص، وسوء، ومن ذلك: «أنه لا يغيّره ما يغير غيره، ولا يزيله عما لم يزل عليه نقل الأحوال، وتصريف الليالي والأيام، بل هو الدائم على حال، والقيوم على جميع الأنام. لو نام كان مغلوباً مقهوراً، لأن النوم غالب النائم قاهره، لأنه شاغل المُدبِّر عن التدبير، والله متعال عن كل آفة، وعاهة، فهو تعالى القائم على خلقه بتدبيره، وتقديره».[1]

وجاء في السنة كما في حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نفي صفتين من جنس واحد، وهما: «الأول: نفي النوم، والثاني: استحالة النوم، ولهذا جاء بقوله (لا ينبغي)، يعني: مستحيل غاية الاستحالة، وليُعلم أن كلمة (لا ينبغي) في القرآن والسنة، بمعنى: الشيء الممتنع المستحيل، كما قال تعالى: ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ (مريم).

فعلى هذا صارت كلمات (خمس)، لكن بعض الرواة قال: إنها أربع، وعدّ قوله: (ولا ينبغي له أن ينام)، مع قوله: (أن الله لا ينام) تابعة لها، لأن الصفة الأولى انتفاء النوم، والصفة الثانية: استحالة النوم،

---

(١) انظر: الطبري (١/١٢٧)، وابن كثير (١/٤٢٩)، ومجموع الفتاوى (١٧/١٠٩)، والصفدية (٢/٦٤) لابن تيمية.



وكلها تتعلق بصفة واحدة، فعدُّوها واحدة، ولكن عدّها اثنتين أقرب إلى الصواب.

لأنه ليس كل من انتفى عنه النوم، ينتفي عنه استحالة النوم. فمثلاً نحن في الجنة - إن شاء الله تعالى لنا وإياكم - لا ننام، لكن هل يستحيل علينا النوم؟ لا، لو شاء الله لنمنا، لكن الرب عز وجل لا يمكن أبداً أن يكون ممكناً في حقه النوم، ولهذا عدّها صفتين أولى من ضمِّ بعضها إلى بعض».[1]

ففي «الأول: نفي الوقوع، والثاني نفي الصحة، فالعطف تأسيس (لأنه هو الأصل)، إذ لا يلزم من نفي الوقوع نفي الصحة.[2]

دلالة نفي واستحالة (النوم) على صفات الله تعالى:

تضمن هذا النفي على كمال حياته تعالى، وعلى كمال قيوميته، فهو سبحانه (**الحي**) (**القيوم**) له فيهما الكمال المطلق، من كل وجه وبكل اعتبار.

«فهو (**الحي**) حياة لا تشبه حياة الأحياء، ولا يستدرك بالعقول ولا تأخذه سنة، ولا نوم، ولا موت، فحيت به القلوب من الكفر والجهل».[3]

(١) شرح صحيح مسلم لابن عثيمين (١/٣٨١ - ٣٨٣).

(٢) انظر: إفراد أحاديث أسماء الله وصفاته غير صفات الأفعال في الكتب الستة: د. حصة الصغير (٢/٧٧٧).

(٣) التوحيد لابن منده (٢/٨٤).

فهو سبحانه (**الحي**): الذي له الحياة الجليلة الكاملة، والتي لا يعتريها أي نقص، ولا عيب، كما أن (أل) في الآية السابقة، والذي يفيد الاستغراق، أي: الشمول، والعموم، لأن حياته تعالى كاملة في الوجود، وكاملة في النعوت.

كاملة في الوجود: أي: أن حياته أزلية، أبدية، فهي كاملة من جهة الابتداء، ومن جهة الانتهاء.

في الابتداء: فهو الأول الذي ليس له بداية، فلم يسبقه شيء سبحانه.

وفي الانتهاء: أنه الآخر الذي ليس له نهاية، فلا شيء بعده جل جلاله، وكاملة في النعوت: أنه كامل في صفاته: في سمعه، وبصره، وعلمه، وقدرته[1]. وفي استوائه على العرش، ونزوله إلى السماء الدنيا، إلى ما لانهاية في كمالها، وغايتها على الوجه الأقصى الأعلى، فضلاً عن عددها، وكثرتها.

ولكمال قيوميته: لأنه سبحانه هو القائم بنفسه فلا يحتاج إلى أحد، القائم على غيره، فلا يستغني عنه فرد، فهو الغني عنها من كل وجه، وهي التي افتقرت إليه من كل وجه.

ومن تمام قيوميته سبحانه: أن قامت السموات والأرض واستقرتا

---

(١) انظر أحكام من القرآن الكريم (٣٤١/٢، ٣٤٥، ٣٤٧)، وتفسير سورة البقرة (٣٥٨/٣)، وآل عمران (٧/١) لابن عثيمين.

وثبتتا بأمره، وقدرته، بلا عمد يعمدهما ولا مستقر يستقران عليه، ومن كمال قيوميته وتمامها: أنه لا تأخذه سنة، ولا نوم.[1]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله: «فإن النوم أخو الموت، ومن تأخذه سنة ونوم، لا يكون قيوماً، قائماً بنفسه، مقيماً لغيره، فإنَّ السنة والنوم، يناقض ذلك».[2]

---

(١) انظر: «الجامع» أسماء الله الحسنى وجلالها (٨٧).

(٢) شرح العقيدة الأصبهانية (٤٣٥).



٤ ـ نفي (الجهل، وخفاء الأمور) عن الله سبحانه

صفة سمعية شرعية، فطرية عقلية، ثابتة بالكتاب الحكيم.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ (آل عمران).

٢ ـ وقال جل جلاله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦١﴾ (يونس).

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾ (سبأ).

المعنى في اللغة:

خفي الشيء خفية: استتر، والخفاء ما يُستره به كالغطاء، وخفيته أزلت خفاه، وذلك إذا أظهرته.[١]

العزوب: من الفعل عزب، بمعنى: غاب، وخفي، وفات، من قولهم: وروضٌ عازب، أي: بعيد، ورجل عزب، أي: بعيد عن النساء.[٢]

---

(١) المفردات: (٢٨٩).

(٢) عمدة الحفاظ (٣/٦٥)، واللسان (٣/٥٩٦)، والقاموس المحيط (١٤٧).



المعنى في الشرع:

في الآيات المتقدمة يخبر سبحانه وتعالى أنه لا يخفى عن علمه، وسمعه، وبصره، ومشاهدته شيء، مهما صغر كالذرة[1]، أو أصغر منها، وأكد بقوله: (شيء) نكرة في سياق النفي فتعم كل شيء في الأرض والسماء، أي: لا يغيب عنه جميع الأشياء بذواتها، وأجزائها، حتى أصغر ما يكون من الأجزاء، وهو المثاقيل منها، وقوله (**إلا في كتاب مبين**) أي: قد أحاط به علمه، وجرى به قلمه، والمراد بالأرض والسماء: الجنس، فيشمل الأرضين السبع، والسموات السبع، وإنما خص بذكرهما، لأنهما مشهودان لنا، وما عدا ذلك لا نعلمه إلا عن الطريق الغيب.

وفي هذا النفي تنزيهه سبحانه عن الجهل مطلقاً، لأن الغفلة، وهي ترك الشيء على وجه السهو عنه، والنسيان له، وهذا إخبار للعباد، أنه سبحانه ليس غافلاً عن أعمالهم، ولاساه عنها، بل هو لها محص، ولها حافظ في كل ساعة، ولحظة، وسيجازى كلاً بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.[2]

دلالة نفي (الجهل وخفاء الأمور) على صفات الله تعالى:

نفى ربنا العظيم، عن نفسه العليَّة، ما ينافي كماله، ومقامه الجليل، من صفات النقص والعيب الذميم، والجهل، وخفاء الأمور، لبيان تنزيهه

---

(١) أي: النملة.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١/٤٠٩)، (٧/٤٦٦)، وابن كثير (١/١٩٤)، (٢/٥٦١)، وتفسير السعدي (٣٦٨، ٦٧٥)، وتفسير آل عمران لابن عثيمين (١/٢٣).

عن الجهل مطلقاً في كل وقت وحين، وذلك: «لكمال علمه، ورقابته، وإحاطته».[1]

وخبرته، وسعة سمعه، وبصره، وعظيم شهادته، وكمال بطونه سبحانه.

فهو سبحانه (**العليم**): الذي وسع علمه وأحاط كل ذرات أرضه وسمواته، فهو سبحانه «العالم بما كان، وما يكون قبل أن يكون، وبما يكون ولما يكن بعد، قبل أن يكون».[2]

ولكمال خبرته، لأنه تعالى هو (**الخبير**): الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء، وخفاياها، كما أحاط بظواهرها، لا تخفى عليه عواقب الأمور وبواديها.[3]

فكيف يخفى عليه، أي أمر من الأمور؟

وقولنا لسعة سمعه، لأنه سبحانه هو (**السميع**):

الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، فالسر عنده علانية، والنجوى إليه مفضية، والبعيد عنده قريب.[4]

وعلى سعة البصر، فهو تعالى (**البصير**): الذي أحاط بصره

---

(١) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (٢٤٠)، وتفسير سورة البقرة (٢٤٧/١) لابن عثيمين.

(٢) اللسان (٣٠٨٤/٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٨٨/١١)، والصواعق المرسلة (٤٩٢/٢).

(٤) انظر: إغاثة اللهفان (٣/١).



بجميع المبصرات، في أقطار الأرض والسموات، دقيقها وجليلها، في كل اللحظات.[١]

وتضمن هذا النفي على كمال مراقبته جلّ وعلا، فهو تعالى (الرقيب): المراعي أحوال المرقوب، المطلع على ما في القلوب، وما حوته العوالم من الأسرار والغيوب، المراقب لأعمال عباده على الدوام، الذي لا تخفى عليه عواقب الأمور وبواديها، في أي لحظة وآن.

فالغيب عنده شهادة، والخفي والمستور لديه مكشوف، وكل أحد إليه ملهوف، يعلم ويرى، السر والنجوى[٢] في كل ساعة ولحظة، فكيف يغفل ويخفى عليه شيء في الأرض والسموات العلا؟

فهو سبحانه (المحيط): الذي أحاط بالأشياء كلها، لأنه تحت قدرته، لا يمكن لشيء منها الخروج عن إرادته فيه، ولا يمتنع عليه منها شيء، وقد قال الله تعالى: ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ (الطلاق) أي: علم كل شيء على حقيقته، بجميع صفاته، فلم يخرج شيء منها عن علمه[٣].

فهو سبحانه بكل شيء من خلقه محيطٌ علماً بجميعه، حافظ له، لا يعزب عن علمه شيء منه أراده فيفوته، ولكنه المقتدر عليه

---

(١) «الوسيط» أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها (١٢٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٨٨/١١)، والصواعق المرسلة (٤٩٢/٢) والوابل الصيب (٦٢) وفتح الرحيم الملك (٤٤).

(٣) اشتقاق أسماء الله (٤٦ - ٤٧).

العالم بمكانه[1] والغرض من نفي هذه (الصفة) تربية الإنسان لنفسه على امتثال أمر الله تعالى، واجتناب نهيه، وأنك لا تظن أن عملك لا يخفى على الله تعالى، بل هو معلوم له، فعليك أن تقوم بطاعته، وتجتنب معصيته.[2]

ومما يقابل وينافي الجهل، وخفاء الأمور: كمال الشهادة، فربنا سبحانه هو (**الشهيد**): المطلع على كل العبيد، فهو تعالى لا يغيب عنه قريب، ولا بعيد، ولا خافية من زنة ذرة فما فوقها، وما دونها حيثما كانت، في الأرض أو في السموات العلا.

«والله عز وجل لما كانت الأشياء لا تخفى عليه كان شاهداً لها، وشهيداً عليها، أي: عالماً بها، وبحقائقها علم المشاهد لها، لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية».[3]

ظاهرة، ولا باطنة، فأنى يخفى عليه شيء من الأمور، أو يجهل شيء على مر السنين والدهور؟

وقولنا: (**لكمال بطونه**)، لأنه جل جلاله هو (**الباطن**): أي: الباطن لجميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، العليم ببواطن الأمور، وظواهرها، المطلع على السرائر والخبايا، والخفايا، ودقائق الأشياء وأسرارها.[4]

---

(١) تفسير الطبري (٢٥/٥) بتصرف.

(٢) تفسير آل عمران (٢٤/١) لابن عثيمين.

(٣) اشتقاق أسماء الله (١٣٢).

(٤) انظر: التوحيد لابن منده (٨٢/٢)، وطريق الهجرتين (٢٤)، والحق الواضح (٢٥).



٥ ـ نفي (الضلال) عن الله سبحانه

فانظر يا رعاك الله، وتأمل، وتدبر في معاني هذه المجاميع من الكمالات العلا، والتي لا تحد، ولا تعد، فهل يظن به أحد، أنه يخفى عليه، أو يجهل شيئاً في السموات والأرض؟

لا والله، وبالله، وتالله، ربنا ما عبدناك حق عبادتك، وما قدرناك حق قدرك. فتجاوز عن تقصيرنا في حقك.



٥ ـ نفي (الضلال) عن الله سبحانه

صفة منفية ثبتت في الكتاب، وهي صفة سمعية خبرية فطرية.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ (طه).

المعنى في اللغة:

الضلال: يضل في اللغة: مضارع ضلَّ، وله عدة إطلاقات:

١ . الخطأ، وبه فسر ابن عباس رضي الله عنهما، يقول: «لا يخطئ ربي، ولا ينسى»[١] أي: لا يخطئ ربي في تدبيره، وأفعاله، ﴿وَلَا يَنسَى﴾: فيترك فعل ما فعله حكمة وصواب، فمن أنظره فلحكمة أنظره، ومن عاجله فالحكمة عاجله.[٢]

٢ . الضياع، يقال: ضل الشيء: إذا ضاع، وضل عن الطريق: إذا حار، ويقال: ضللت الشيء وضللته: إذا جعلته في مكان، ولم تدر أين هو، قال ابن عرفة: الضلالة عند العرب سلوك سبيل غير القصد، يقال: ضل عن الطريق، وأضل الشيء: إذا أضاعه.

---

(١) التفسير الصحيح (٣/٣٦٠).

(٢) الطبري (٥/١٩٩)، والقرطبي (٦/١٨٩).

٣ - **الهلاك**، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾ (السجدة).

٤ - **الغياب**، قال ابن الأعرابي: أصل الضلالة: الغيبوبة، يقال: ضل الناس، إذا غاب عنهم حفظ الشيء، والمعنى: أنه لا يغيب عنه شيء، ولا يغيب عن شيء.[١]

المعنى في الشرع:

نفى ربنا تبارك وتعالى على لسان نبيه موسى عليه الصلاة والسلام عن نفسه العلية الضلال، وجاء هذا النفي مقترناً بالنسيان (**لا يضل ربي ولا ينسى**)، وفيه بيان أن هناك فرقاً بينهما كما دل العطف بـ (الواو) والتي تفيد المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، وجاء التأكيد كذلك بـ (لام) النفي، والفرق بينهما من عدة وجوه، منها: أن (الضلال): أن تخطئ الشيء في مكانه، فلم تهتد إليه، و(النسيان): أن تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك»[٢] فالخطأ في العلم، شُبه بخطأ الطريق، والنسيان: عدم تذكر الأمر المعلوم في ذهن العالم.[٣]

فربنا جل جلاله نزه نفسه عن الضلال وهو: الخطأ، والغفلة،

---

(١) النهاية (٥٤٨)، والفروق اللغوية لابن عساكر (٢٤١)، واللسان (٣٩٣/١١)، وتفسير القرطبي (١٨٩/٦ -١٩٠)، وفتح البيان في مقاصد القرآن (٣٤٥/٤).

(٢) تفسير البيضاوي (٣٩٣/٢).

(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢٣٥/٨).

والضياع، والغياب عن حفظ الأشياء، ومراعاتها بكل الأحوال، لأنه سبحانه لا يقع في خلقه، ولا في تدبيره، وأمره، ونهيه، وشرعه الخطأ، «فيعتقد في غير الصواب صواباً، وإذا عرفه لا ينساه»[1] سبحانه بأي حال، فأفعاله كلها في غاية الحق والصواب، والهدى، والسداد، قال ربنا العظيم: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ (هود).

فهو تعالى: «قد أحصى (أعمال العباد) من خير وشر، وكتبه في كتاب، وهو اللوح المحفوظ (الذي كتب فيه مقادير كل الخلائق قبل أن يخلق الأرض والسموات الطوابق بخمسين ألف سنة)[2]، وأحاط (بهذا الكتاب) علماً وخبراً، فلا يضل عن شيء منها، ولا ينسى ما علمه منها».[3]

فهو سبحانه (لا يضل) عن معرفة الأشياء فيخطئ عنها، لأنه تعالى علمه محيط بكل المعلومات في الأرض والسموات في كل اللحظات، والحركات والسكنات، (ولا ينسى): إشارة إلى بقاء ذلك العلم أبد الأباد، دون تغير ولا انقطاع.[4]

دلالة نفي (الضلال) على صفات الله تعالى:

دلَّ تنزيه الله تعالى عن الضلال على إثبات كمال الأوصاف التي تنافي هذا النقص في حقه سبحانه، وهو: كمال علمه، وحكمته، وحفظه.

---

(١) تفسير السعدي (٥٠٧).

(٢) مسلم (٢٠٤٤).

(٣) تفسير السعدي (١١٠).

(٤) البحر المحيط (٣٤٢/٧) بتصرف.

٥ ـ نفي (الضلال) عن الله سبحانه

فهو تعالى (العليم): الذي لا يشذ على علمه شيء، لأن «علمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور (كلها)، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة».[١] فلا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه.

و(**الحكيم**) المنزه عن الخطأ، والسفه، والعبث، فهو الذي يضع الأمور في أحسن مواضعها، ويتقنها في أكمل وأفضل وجوهها، الذي لا يدخل في تدبيره خلل، ولا زال[٢].

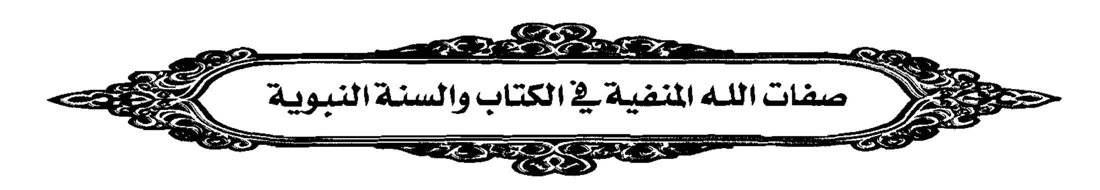
فكيف يضل فيخطئ، أو يغيب عنه شيء، وهو الذي أحكم في مصنوعاته، ومخلوقاته أحسن الإحكام، والإتقان، فكساها صنوف وألوان الجمال والبهاء، بحيث لا يحصيها أحد، ولا يحيط بها فرد من فنون الكمال.

فكيف يغيب أو يضل، أو يغفل عن شيء؟ سبحانه، وهو (الحفيظ): الذي لا يضيع ما حفظه، فلا يغفل عنه، فهو سبحانه يحفظ السموات والأرض أن تزول، أو تندثر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ (فاطر: ٤١)، فيحفظ ويصون ذواتهما، ومن فيهما سبحانه.

---

(١) السعدي (١١٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/٦٠٨)، وابن كثير (١/١٨٤).



٦ـ نفي (التعب والإعياء) عن الله سبحانه

صفتان سمعيتان، شرعيتان، عقليتان، ثابتتان، بالكتاب الحكيم.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ (ق).

٢ ـ وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ (الأحقاف).

٣ ـ وقال عز شأنه: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ (ق).

المعنى في اللغة:

التعب: شدة العناء ضد الراحة.[1]

اللغوب: التعب، والنصب، والإعياء.[2]

وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾، قال: «من ازحاف»[3]، أي: من إعياء.[4]

(١) اللسان (١/٦٠٩).
(٢) المفردات (٧٤٢)، ولسان العرب (١/٧٤٢)، والقاموس المحيط (١٧٢).
(٣) التفسير الصحيح (٤/٣٨٢).
(٤) اللسان (٤/٣٤٧)، والقاموس المحيط (٥٥٤).

وكذلك ثبت عن مجاهد - رحمه الله - أنه قال في قوله سبحانه: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾، قال: «نصب».[١]

عيي: الإعياء هو التعب، والكلال[٢]، وأصل الإعياء: عجز يلحق البدن من المشي، والعي: عجز يلحق من تولى الأمر والكلام.[٣]

المعنى في الشرع:

نفى الله جل جلاله عن نفسه النقائص والمعايب ومنها التعب، والإعياء، والضعف، وجاء هذا النفي في سياق الاستفهام، ومجيئه على هذه الصورة يكون مشرباً بالتحدي، قال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ (ق: ١٥)، أي: هل تعبنا وعجزنا، والمعنى: لم نتعب، ولم يعجزنا، ولم تضعف قوتنا (بالخلق الأول): عن ابتداء الخلائق، حتى نعجز عن إعادة الخلائق، من المعلوم أن الجواب: لا.

فإذا كان الله جل وعلا لم يتعب بذلك، فإن إعادة الخلق أهون من ابتدائه، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ (الروم)، وهذا استدلال عقلي، يراد به إقناع هؤلاء الجاحدين المنكرين لإعادة الخلق.[٤]

---

(١) التفسير الصحيح (٤/٣٨٢).

(٢) كتاب العين (٣/٢٦٤)، واللسان (١٥/١١٤).

(٣) المفردات (٦٠٠).

(٤) انظر: تفسير السعدي (٨٠٥)، وتفسير سورة الحجرات لابن عثيمين (٨٨).

وجاء النفي كذلك باستدلال آخر بقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ (الأحقاف) فهذا استدلال منه تعالى على الإعادة بعد الموت، بما هو أبلغ منها، وهو أنه الذي خلق السموات والأرض على عظمهما، وسعتهما، وإتقان خلقهما من دون أن يكترث بذلك، ولم يعي بخلقهن، فكيف تعجزه إعادتكم بعد موتكم، وهو على كل شيء قدير.[1]

وجاء نفي التعب، والإعياء، والضعف عن الله عز وجل في دفع توهم النقص الذي ادعه في حقه من أصحاب العقول المريضة، والأوهام الزائفة، الذين لم يقدروا الله تعالى حق قدره، وجلالة عظمته وشأنه، منهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

فعن قتادة - رحمه الله - أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ (ق)، قال: «أكذب الله اليهود والنصارى وأهل الفرى على الله تعالى، وذلك أنهم قالوا: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح يوم السابع، وذلك عندهم يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة»[2].

---

(١) تفسير السعدي (٧٨٣).

(٢) الطبري (١١/٤٣٤).

وخصَّ بهذه المقالة اليهود الذين زعموا أن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام، أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت[١]، فكذبهم سبحانه بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ أي: لم يمسنا من عجز، ولا نصب، ولا تعب في خلقهما، وما فيهما، أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة[٢]، ولو شاء الله عز وجل لخلقها في لحظة واحدة، لأن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون، لكنه جل وعلا يخلق الأشياء بأسباب ومقدمات تتكامل شيئاً فشيئا حتى تتم.

كما لو شاء لخلق الجنين في بطن أمه في لحظة، لكنه يخلقه أطواراً حتى يتكامل (وحتى يرى فيها عظمة خلقه) كذلك السموات، لو شاء لخلق السموات والأرض وما بينهما في لحظة، وقال بعض العلماء: فيه فائدة أخرى، وهي: أن يعلم عباده التأني في الأمور، وأن لا يأخذوا الأمور بسرعة.[٣]

دلالة نفي (التعب والإعياء) على صفات الله تعالى

نفي الله سبحانه وتعالى عن نفسه هذه النقائص إنما هو لإثبات كمال ضدها، وهو: كمال عظمته، وقوته، وقدرته وتمامها[٤]، وعلى

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٩٤)، والقرطبي (٩/٢٣)، وأسباب النزول للواحدي (٢٩٧).

(٢) تفسير السعدي (٨٠٧).

(٣) تفسير سورة الحجرات لابن عثيمين (١١٠).

(٤) الصفدية (٢/٦٥)، وشرح عقيدة أهل السنة (٢٤٠ - ٢٤١)، وتفسير سورة الحجرات لابن عثيمين (١١٠).

تمام متانته، ونفوذ إرادته، ومشيئته في كل مراداته في أي حال، وآن، فهو جل جلاله (القوي): التام القوة المطلقة، الذي لا يعتريه ضعف ولا قصور، ولا يتأثر بوهن وعجز، على مرّ الدهور.

«فمن كمال قوته، ونفوذ قدرته، أن كل أمر يريده فعله، لا يتعاصى عليه شيء، ولا يعارضه أحد، ولا مساعد، على أي أمر يكون»[1] وهذا بخلاف المخلوق، وإن وصف بالقوة، فإن قوته متناهية، وعن بعض الأمور قاصرة[2]، فهو سبحانه: «القادر، القدير، المقتدر»: المتناهي في القدرة والاقتدار، لا يمتنع عليه شيء في كل الأقطار[3]، له النفوذ المطلق والسلطان، والتصرف التام في كل الأكوان، لا يعارضه معارض، ولا ينازعه منازع، ولا يخرج عن قبضته مخالف أو طائع.[4]

وهذا أيضاً بخلاف المخلوق، فإنه وإن كان قادراً على بعض الأشياء، إلا أنه يلحقه من التعب، والكلال، ما يلحقه، وكذلك: إن قدر على فعل، عجز عن غيره.[5]

فهو يعجز عن أشياء لا يستطيع حصرها من كثرتها.

وكذلك: «إن القادر منّا، وإن استحق هذا الوصف، فإن قدرته

---

(١) فتح الرحيم (٢٧).

(٢) شأن الدعاء (٧٧)، والأسماء والصفات (١/١١٧).

(٣) (الوسيط) أسماء الله الحسنى (١١٥). للمؤلف.

(٤) موسوعة الأسماء الحسنى الشرباصي (١/٣٥٤).

(٥) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/١٩٨)، والتدمرية (٥٩).



مستعارة، وهي عنده وديعة من الله سبحانه (**وهي كما تقدم**)، يجوز عليه العجز في حال، والقدرة في أخرى»[١].

ومما ينافي التعب والإعياء في حق ربنا جل جلاله:

أنه تعالى هو (**المتين**): القوي الشديد[٢]، الذي لا تنقطع قوته، ولا تتناقص قوته، ولا يلحقه في أفعاله مشقة، ولا تعب، ولا كلفة.

فالله تبارك وتعالى بالغ القدرة تامها، قوي، لا تضعف قوته، ولا تفتر[٣] بأي حال سبحانه. فكيف يلحق ربنا عز شأنه إعياء، أو تعب في حال، وهو (**العظيم**) الذي لا أحد أعظم منه سبحانه، من جميع الوجوه والاعتبارات «الذي لا يمتنع عليه شيء بالإطلاق، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. فأنى يعتريه تعب أو إعياء؟

لأن عظيم القوم إنما يكون مالك أمورهم الذي لا يقدرون على مقاومته، ومخالفة أمره، إلا أنه وإن كان كذلك، فقد يلحقه العجز، بآفات تدخل عليه، فيما بيده فتوهنه، وتضعفه، حتى يستطاع مقاومته كرهاً، أو يخالف أمره قهراً، فالله تعالى هو العظيم إذاً حقاً وصدقاً»[٤].

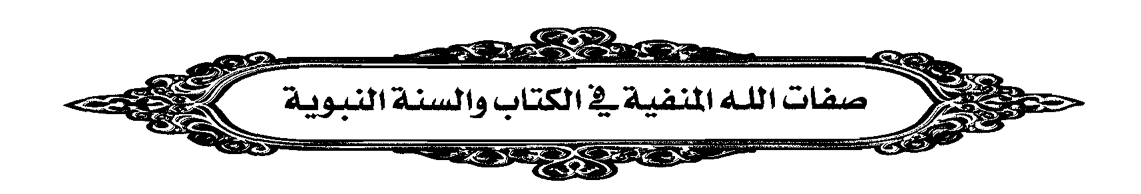
---

(١) تفسير الأسماء للزجاج (٥٩).

(٢) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة (٤٢)، وتفسير الطبري (١٢٥/٧).

(٣) لسان العرب (٣٩٩/١٣)، وشأن الدعاء (٧٧)، وتفسير الأسماء (٥٥)، والأسماء والصفات (١١٨/١)، والاعتقاد (٣٦).

(٤) المنهاج للحليمي (١٩٥/١).



٧ ـ نفي (الإثقال) عن الله سبحانه

من الصفات السمعية، العقلية، الثابتة بالقرآن الكريم.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال تبارك وتعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ (البقرة).

المعنى في اللغة:

يؤده: **الأود**: الثقل، يقال آدني كذا يؤودني أوداً يئيد، إذا أثقله الشيء، وبلغ منه المجهود والمشقة، والأود أيضاً: الإعوجاج، لأنه مما يثقل.[1]

وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره لهذه الآية بهذا المعنى، قال: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾، أي: «لا يثقل عليه».[2]

وكذلك قال أهل التفسير عند تفسيرهم لمعنى هذه الآية: إن الله عز وجل «لا يثقله، ولا يكترثه»، ويكترث: من الفعل كرث، يقال: كرثه الأمر، يُكرثه، ويكرثه، كرثاً، وأكرَثَه: ساءه، واشتد عليه، وبلغ منه المشقة.[3]

---

(١) عمدة الحفاظ (١٣٨/١)، ولسان العرب (٧٤/٣).

(٢) التفسير الصحيح (٣٦٧/١).

(٣) العين (١٨/٤)، واللسان (١٨٠/٢).



٧. نفي (الإثقال) عن الله سبحانه

المعنى في الشرع:

أخبر سبحانه وتعالى أنه لا يثقله، ولا يكرثه، ولا (يشق عليه في أي حال من الأحوال) حفظ السموات والأرض، ومن فيهما، ومن بينهما، من العوالم بالأسباب، والنظامات التي جعلها الله تعالى في المخلوقات، ومع ذلك: فلا يثقله حفظهما، بل ذلك سهلٌ عليه، يسير لديه، فلم يفتقر إلى شريك، ولا عوين، ولا ظهير ومع هذا: فهو «القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء، فلا يعزب عنه شيء، والأشياء كلها حقيرة بين يديه، متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه».[1]

دلالة نفي (الإثقال) على صفات الله تعالى

دل نفي الله عز وجل عن نفسه الإثقال، والمشقة في حفظ كل مخلوقاته، على إثبات كمال عظمته، وقوته، وقدرته، وسعة علمه، وسعة حكمته في أحكامه[2]، وكذلك على تمام الحفظ، وعلى «كمال القهر، وكمال الجبروت، والعزة».[3]

فهو تعالى (العظيم) الذي لا تتعاظم عليه الأشياء مهما كبرت، ومهما عظمت، ومهما كثرت، فإن «الأجسام وأن عظمت أقدارها، وتباعدت أقطارها، فخالقها محيط بها»[4].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤٣٢/١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١٠/١٧)، وتفسير السعدي (١١٠)، وشرح الواسطية له (٢٩٥/١)، وأحكام القرآن الكريم (٣٤١/١، ٣٤٤)، وتفسير سورة البقرة لابن عثيمين (٢٦١/٣).

(٣) اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ (٢٥٣/١).

(٤) الأسنى للقرطبي (٢٣٤).

فهو سبحانه تتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة العظيمة، والكبرياء الجسيمة، والقهر والغلبة لكل شيء.[1] من الخليقة، فكيف يثقل عليه شيء في الأرض والسموات العلية؟

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في بيان على أن نفي الإثقال عليه سبحانه أنه يدل على كمال القدرة، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ «أي: لا يكرثه، ولا يثقله، وهذا بيان لكمال قدرته، فإن الحافظ للشيء قد يحفظه بكلفة ومشقة، فإذا كان لا يكرثه حفظهما، كان ذلك بياناً لكمال قدرته، وأنها في الغاية التي لا يلحقها نقص أصلاً».[2]

وقال - رحمه الله - في موضع آخر: «هذا النفي تضمن كمال قدرته، فإنه مع حفظه للسموات والأرض لا يثقل ذلك عليه، كما يثقل على من في قوته ضعف وهذا بخلاف المخلوق، فإنه وإن كان قادراً على بعض الأشياء، إلا أنه يلحقه من التعب، والكلال ما يلحقه، ويعجز عن أشياء، لا يستطيع فعلها».[3]

وأما دلالته على القهر فإن من أسمائه سبحانه: (القاهر، القهار): «الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات، ودانت لقدرته ومشيئته، مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي».[4]

---

(١) تفسير السعدي (١١٠).

(٢) شرح العقيدة الأصبهانية (٤٣٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ١١٠)، والتدمرية (٥٩).

(٤) الحق الواضح (٧٦).



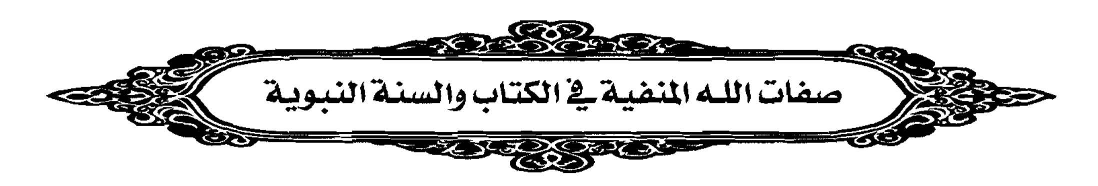
٧ـ نفي (الإثقال) عن الله سبحانه

وكذلك على الجبروت، فإن من أسمائه تعالى (الجبار): فهو العالي فوق خلقه، الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وعلى السلطان، وأنواع التصاريف استولى[١] ومما ينافي الإثقال والمشقة على ربنا سبحانه: العزة، فهو سبحانه (العزيز) الذي لا أعز منه تعالى في الوجود على الإطلاق، الذي له العزة كلها، عزة الغلبة، والقهر، وعزة الامتناع، وعزة القوة والقدر.[٢]

---

(١) فتح الرحيم (١٨).

(٢) شفاء العليل (٢/٥١١)، وابن كثير (٣/٤٥٧) والحق الواضح (٤٤).



٨ ـ نفي (العبث، واللعب، والباطل) عن الله سبحانه

من الصفات الشرعية، الخبرية، والعقلية، الثابتة بالكتاب الحكيم.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال عز شأنه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ (المؤمنون).

٢ ـ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الأنبياء).

٣ ـ وقال عز شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ (ص).

٤ ـ وقال جل جلاله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (آل عمران).



المعنى في اللغة:

العبث: بمعنى اللعب، وهو ضد الجد[١]، وكل قول، أو فعل لم يقصد به مصلحة، ولا منفعة، ولا فائدة بوجه من الوجوه، لا عاجلة، ولا آجلة، فهو عبث وباطل، وقائله أو فاعله عابث، وصاحب باطل.[٢]

اللعب: هو فعل ما لا فائدة فيه، وهو بمعنى الهزل، والعبث، واللهو، فهو ضد الجد[٣]، واللاعب: هو العابث الذي لا يقصد بفعله غاية محمودة، يريد سوق الوسائل إليها، فإن هذا فعل الجاد الذي يجيء بالحق، فالذي يأتي بالحق خلاف اللاعب.[٤]

الباطل: الشيء الزائل، وهو ما لا ثبات له عند التنقير عنه، لأنه نقيض الحق، والحق هو الثابت، ويقال ذلك بالاعتبار إلى المقال، والفعال، وهو اللهو والجهالة.[٥]

المعنى في الشرع:

يخبر ربنا تبارك وتعالى في كتابه أنه ما خلق السموات والأرض وما فيهما، وما بينهما عبثاً ولا لعباً، من غير فائدة، بل خلقها بالحق وللحق، ليستدل بها العباد على أنه الخالق العظيم، المدبر الحكيم، الرحمن الرحيم. له الكمال كله، والحمد كله، والعزة كلها.[٦]

(١) اللسان (٢/١٦٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٨٩)، وجامع الرسائل (١/٢٠).

(٣) عمدة الحفاظ (٤/٢٥).

(٤) جامع الرسائل لابن تيمية (١/١٩).

(٥) كتاب العين (١/١٤٥)، وعمدة الحفاظ (١/٢٠١).

(٦) السعدي (٥٢٠).

ونفي اللعب في حقه سبحانه، وهو: العبث واللهو وضد الجد، وكذلك العبث وهو بمعنى اللعب، لأنه كما تقدم كل قول أو فعل لم يقصد به مصلحة، ولا منفعة، ولا فائدة بوجه من الوجوه، لا عاجلة ولا آجلة، فهو عبث، وباطل، وقائله أو فاعله عابث، وصاحب باطل[1] والله سبحانه يتنزه عن ذلك علواً كبيراً، ولهذا أنكر سبحانه على من زعم أنه تعالى يقول، أو يفعل شيئاً عبثاً ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ (المؤمنون) وهذا استفهام إنكاري على من جوّز ذلك على الرب تعالى.[2]

ونفي كذلك سبحانه الباطل، بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ (ص: ٢٧)، والباطل: ضد الحق، «وهو بمعنى العبث، واللهو من غير فائدة، ولا مصلحة».[3]

وهذا الظن أي: أن الله تعالى خلق السموات والأرض باطلاً، هو ظن الكافرين، الذين يظنون أن خلق السموات والأرض لمجرد اللعب واللهو، ولا يترتب على ذلك شيء، ومن هذا قولهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ (الجاثية).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٨٩)، وجامع الرسائل (١/٢٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/٢٩٩).

(٣) تفسير السعدي (٧١٢).

فظنهم أن المقصود من خلق السموات والأرض وجود هذه الخليقة، ثم فناؤها إلى غير رجعة[١]، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، فالله جل جلاله، وتعالت صفاته، وتقدست أسماؤه، خلق هذه الأجرام العظيمة، وما أودع فيها من المخلوقات العجيبة، من الإنس والجنّ لحكمة جليلة، وغاية حميدة، يترتب عليها ظهور عدله، وفضله، وحكمته العلية.

ولقد أخبرنا ربنا عز شأنه أن العبث صفة مذمومة، وفعلة نقيصة، لا يحمد عليها من كل وجه عند الخليقة: كما حكى الله تعالى عن نبيه هود - عليه السلام - بقوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ (الشعراء)، أي: أتبنون بكل مرتفع من الأرض عند جواد الطريق بناء هائلاً باهراً تلعبون، أنكر عليهم عملهم هذا، لأنهم إنما يفعلون ذلك عبثاً لا للاحتياج إليه، بل لمجرد اللعب، واللهو، والعبث، وإظهار القوة، فهو تضييع للزمان، وإتعاب البدن في غير فائدة، واشتغال بما لا يجري النفع في الدنيا ولا في الآخرة.[٢]

وإذا كان العبث مذموماً ممقوتاً في حق المخلوق، ينبغي التنزه عنه، فإن الخالق العظيم الحكيم الذي ليس له عديل ولا مثيل، أولى بالتنزه عنه من كل وجه واعتبار على الإطلاق، لأنه سبحانه أحق بكل حمد، وتمجيد، وأبعد عن كل ذم، وتنقيص، وقد تقدم مضمون القاعدة

---

(١) تفسير سورة ص لابن عثيمين (١٣٢).

(٢) انظر: ابن كثير (٣/١٨٣ - ٣٥٤)، والجامع في أحكام القرآن (١٣/١٢٢)، والسعدي (٤٣٦، ٥٢٠، ٦٣٩).



السادسة: أن (كل نقص تنزه عنه المخلوق، فالخالق أحق به وأولى بالتنزه عنه).

وإذا كان الله تبارك وتعالى أنكر لمن ظن فيه من العبث والباطل من أهل الكفر والنكران، فقد أثنى في المقابل على أهل الإيمان. الذين نزهوه عن كل عيب، ونقصان، فقال عز شأنه عنهم: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (آل عمران).

ربنا: أي: يا مالكنا، وسيدنا، ومربينا، ومتولي أمورنا وشؤونا[1] لم تخلق هذا الخلق العظيم عبثاً، ولا لعباً، بل خلقته بالحق وللحق، مشتملاً على الحق، لأنه إذا انتفى الباطل نفياً مطلقاً، ثبت الحق مطلقاً أبداً.

وقولهم (سبحانك): أي: ننزهك التنزيه اللائق بك، ومن ذلك: عن كل ما لا يليق بجلالك، وكمالك، وحكمتك، فنزهوه أولاً تنزيهاً خاصاً، وهو: نفي الباطل المنافي للحق، والعدل، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ ونزهوه ثانياً تنزيهاً عاماً[2] من كل وجه: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾، وهذا غاية ما يكون من التنزيه، المقتضي للتمجيد والتعظيم.

---

(١) لأن الرب من معانيه: السيد، والمالك والمربي.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/٥٥١)، وابن كثير (١/٤٨٨)، والسعدي (١٦١).



دلالة نفي (العبث، واللعب، والباطل) على صفات الله تعالى

جاء التفصيل في النفي لتلك النقائص والعيوب في حق الله تعالى لإثبات كمال حكمته، وحمده، وأحقيته، وعلمه، وملكه، وإلهيته، فإن نقيض الباطل هو الحق، فالله تعالى هو (الحق) الذي «خلق المخلوقات خلقاً صادراً عن الحق، آيلاً إلى الحق، مشتملاً على الحق، فالحق سابق لحقها، مقارن له، غاية له، ولهذا أتى بالباء الدالة على هذا المعنى، دون اللام المفيدة لمعنى الغاية وحدها، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ (الحجر)[1].

ولا يتم تنزيه الله تعالى عن العبث في الخلق، والأمر، إلا باعتقاد: أن أقواله، وأفعاله صادرة منه، على وجه يستحق عليه الحمد، والتسبيح عن العبث، ولكمال الحكمة، وذلك: بأن يعلم العبد أن كل ما يقوله الله تعالى، ويفعله، فلحكمة، وكل ما يمتنع من قوله، وفعله، فلحكمة، فإن حكمة الله تعالى في أقواله، وأفعاله مما تعجز العقول عن الإحاطة بكنهها، وتعجز الألسن عن التعبير عنها، لما اشتملت عليه أقواله، وأفعاله من الغايات المحمودة، والمصالح المحبوبة.[2]

ولهذا فهو تعالى لم يخلق شيئاً باطلاً ولا عبثاً، ولا شرع شيئاً إلا

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/٤٦٣).

(٢) ينظر: منهاج السنة النبوية (٣/٣٩)، وطريق الهجرتين (١٦٨، ٢٦١)، ومدارج السالكين (١/٤٠٩) (٢/٥٤١) (٣/٤٢٨)، والحق الواضح (١٥ - ١٦).

لحكمة عظيمة، لأنه حكيم حميد، فمن تمام حكمته، وحمده، إتقان المصنوعات، وإحكامها، وإحكام الشرائع على أكمل وجه، وأتمّه، وهذا مشاهد في خلقه، وشرعه، ومن تمام حكمته أنه لم يخلق خلقه سدى لا يؤمرون، ولا ينهون، ولا يثابون، ولا يعاقبون على تلك الأوامر، والنواهي.

فالحكمة والحمد دالان على أنه خلق المكلفين لينفذ فيهم أحكامه الشرعية، ويبتليهم بالأوامر والنواهي، ثم بعد ذلك يبعثهم بعد موتهم إلى دار تجري فيها عليهم أحكام الجزاء، والثواب، والعقاب، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ (المؤمنون) وهذا استفهام إنكاري على من جوز ذلك على الرب تعالى، ولهذا نزه نفسه سبحانه وباعدها عن هذا الحسبان، وأنه يتعالى عنه، ولا يليق به لقبحه، ولمنافاته لحكمته، وملكه، وإلهيته.[1]

ومن الصفات الجلال المشتقة من أسمائه الحسان، التي تنافي ما وُصف به سبحانه من المذام، والنقصان. صفة (**الملك**)، فهو تعالى: (**الملك، المليك، المالك**). الذي له الملك كله. وله الحمد فيه كله، أزمّة الأمور كلها بيده، ومصدرها منه، ومردها إليه، فتصرفه في المملكة دائر بين العدل، والحكمة، والمصلحة، والرحمة.[2]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/٢٩٩)، ومفتاح دار السعادة (٢/١٢).

(٢) طريق الهجرتين (٢٢٨)، وشفاء العليل (٢/٦٥٢).

ولهذا نزه سبحانه ملكه عن كل ما ينافي كماله من النقائص، والمعايب، فقال عز شأنه: ﴿**فتعالى الله الملك**﴾ (طه: ١١٤).

ولما كان بعض ملوك الدنيا قد يفعل ما ينافي شيم الملوك، من العبث، بما فيه من الباطل، أتبع ذلك بصفة تنزهه عنه جل جلاله، فقال: (**الحق**)، أي: الذي لا يتطرق الباطل إليه في شيء، لا في ذاته، ولا في أوصافه، ولا في ملكه وسلطانه، فأنى يأتيه العبث، والعيب، والباطل في حقه سبحانه؟[1]

ولمنافاته إلهيته، فالله تبارك وتعالى هو (**الإله**): المعبود بحق، من عرشه، إلى قرار أرضه.[2]

فالألوهية تتضمن جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلا، مع نفي أضدادها، من النقائص، والشوائب، والعيوب.

ولكمال حمده، لأنه سبحانه هو (**الحميد**): الذي له الحمد كله في الدنيا والأخرى، فهو المحمود في ذاته، وأسمائه، وصفاته، والمحمود في أفعاله، لأنها كلها أفعال حمد وهدى، وحكمه، وسداد، ورشد ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ (هود).

فمن كمال حمده وجلاله: أن لا ينسب إليه شر، ولا سوء، ولا عبث،

---

(١) انظر نظم الدرر (٤٩/٥، ٢٢٧)، وتفسير البيضاوي (٤٠٦/٢)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠٢/١٣)، ومدارج السالكين (٢٧/٣).



ولا نقص، فهو المحمود من وجوه لا تحصى، وجوانب لا تستقصى، له أسماء، وثناء، وأوصاف، ومدائح، لا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، تقصر بلاغات الواصفين عن بلوغ كنهها، وتعجز الأوهام عن الإحاطة بواحد منها[1]، فإذا كانت هذه أوصافه العلا، والتي لا يحصيها أحد من الورى، فكيف يقع منه عبث، أو لعب؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١) شأن الدعاء (٧٨)، وبدائع الفوائد (١٧٨/٢)، وشفاء العليل (٥١٢/٢)، وطريق الهجرتين (٢٥٠).



٩ ـ نفي (النسيان) عن الله سبحانه

من الصفات الشرعية الخبرية العقلية، ثابتة بالقرآن والسنة.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ (مريم).

٢ ـ وقال عز شأنه: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ (طه).

٣ ـ وقال سبحانه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (التوبة: ٦٧).

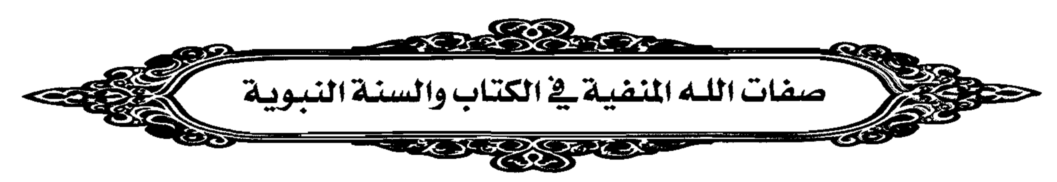
٤ ـ وقال جل جلاله: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ (الأعراف).

السنة النبوية:

١ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حديث مخاطبة الله عز وجل للكافر يوم القيامة، وفيه: (أَفَظننت أنك ملاقي؟ قال: لا، قال: فاليوم أنساك كما نسيتني).[1]

٢ ـ عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا**

(١) مسلم (٢٩٦٨).



من الله العافية، فإن الله لم يكن نسياً، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾ (مريم).[1]

المعنى في اللغة:

النسيان ضد الذكر، والحفظ، يقال: نسى فلان شيئاً يذكره، وإنه لنسيٌّ، أي: كثير النسيان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾ ويأتي بمعنى: الترك عن عمد، ومنه قوله: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، أي: تركوا أوامره، ونواهيه، فتركهم مخلدين في النار، وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾، أي: تركتها، فكذلك تترك في النار. وسُمِّي الإنسان من النسيان.[2]

المعنى في الشرع:

نفى الله تبارك وتعالى عن نفسه النسيان وهو ضد الذكر، لأن الله سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، (فأنى) يطرأ عليه، كما يطرئ على المخلوق من النسيان، والذهول، والغفلة، كما قال تعالى على لسان نبيه موسى - عليه السلام - في خطابه لفرعون حين قال له هذا اللعين: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ فرد عليه: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ (طه).[3]

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٤٠٦) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٥٦).

(٢) عمدة الحفاظ (١٧٣/٤)، واللسان (٥٤٤/٨)، وكتاب العين (٢١٩/٤) والمصباح المنير (٣٤٩).

(٣) شرح النونية للهراس (٦٢/٢).

٩ ـ نفي (النسيان) عن الله سبحانه

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في معنى هذه الآية: «أي: لا يشذ عنه شيء، ولا يفوته صغير ولا كبير، ولا ينسى شيئاً، يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط، وأنه لا ينسى شيئاً تبارك وتعالى، وتقدس، وتنزه، فإن علم المخلوق يعتريه نقصان: أحدهما: عدم الإحاطة بالشيء.

والآخر: نسيانه بعد علمه، فنزه نفسه عن ذلك.[1]

وقد تقدم في معنى النسيان في اللغة، وهو يأتي على معنيين: الأول: وهو الذهول ضد الذكر، والحفظ، والاستحضار، وهو الذي يُنزِّه الله تعالى ويُنفى عنه، وهو الذي تحمل عليه الآيات المتقدمة كما في سورة مريم آية (٦٤)، وطه (٥٢)، وحديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رقم (٢).

ويأتي النسيان في المعنى الآخر: وهو الترك، والإهمال على تعمّد، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾، أي: لا تقصدوا الترك والإهمال، كما في الآيات في سورة التوبة (٦٧)، والسجدة (١٤) والأعراف، وغيرها، وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رقم (١).

وهذا النوع الذي جاء ذكره في الأدلة القرآنية والنبوية، وهو النسيان بمعنى الترك، والإهمال وعدم المبالاة، فهو الذي يوصف به عز وجل مقيداً على وجه المقابلة، والجزاء، فيكون بهذا التقييد الكمال والجلال

(١) التفسير (٣/١٦٣).

في حقه سبحانه وتعالى، جزاءً وفاقاً وعدلاً من قبيل المعاملة بالمثل، فإن كمال الجزاء وحسنه أن يكون من جنس نوعه.

ولهذا جاء هذا النوع في سياق العقوبة للمغرضين، والغافلين، والجاحدين، وقد تقدم في قسم القواعد في صفات النفي في القاعدة التاسعة الذي مضمونها: (إذا كانت الصفة، كمالاً في حال، ونقصاً في حال، فما يثبت لله تعالى منها هو حال الكمال المقيد).

فمن نسي الله تعالى في الدنيا: في القيام بعبوديته نسيه الله تعالى في الدنيا: بترك هدايته، وفي الآخرة: بتركه في عذابه، قال تعالى ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (التوبة: ٦٧) «معناه: تركوا الله أن يطيعوه، ويتبعوا أمره، فتركهم الله من توفيقه، وهدايته ورحمته»[1] فيتركهم في العذاب، بل ويتركهم في الدرك الأسفل من النار، خالدين فيها مخلدين[2] ومن نسي آيات الله وأهملها في دنياه، عاقبه سبحانه بالنسيان بترك الالتفات إليه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴿١٢٦﴾﴾ (طه)، فمن كذّب، وغفل، وأهمل العدة ليوم الآخرة، عامله تعالى بعدله بأن يتركه في دركات جهنم جزاءً حقاً ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ

---

(١) تفسير الطبري (٥١٠/٥).

(٢) تفسير السعدي (٢٩١، ٣٤٣).

ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (السجدة). أي: فذوقوا العذاب الأليم بما نسيتم لقاء يومكم هذا، وهذا النسيان نسيان ترك، أي: بما أعرضتم عنه، وتركتم العمل له، (**إنا نسيناكم**)، أي: تركناكم بالعذاب، جزاء من حسن عملكم، فكما نَسيتم نُسيتم.(١)

قال الإمام أحمد رحمه الله في كتابه العظيم: «الرد على الزنادقة والجهمية»: « ... أما قوله ﴿**اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا**﴾ يقول: نترككم في النار ﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾، كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا».(٢)

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - لما سئلُ: هل يوصف الله تعالى بالنسيان؟ فأجاب رحمه الله: «للنسيان معنيان:

أحدهما: الذهول عن شيء معلوم كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وضرب مجموعة من الأمثلة على ذلك، ثم قال: «وهذا المعنى للنسيان منتف عن الله عز وجل بالدليلين السمعي، والعقلي» ثم ذكر الأدلة رحمه الله، ثم قال:

«والمعنى الثاني للنسيان: الترك عن علم وعمد، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (الأنعام)».(٣)

---

(١) المصدر السابق (٦٥٥).

(٢) ص: (٢١).

(٣) مجموع وفتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١/١٧١ - ١٧٤).



دلالة نفي (النسيان) على صفات الله تعالى

جاء النفي عن الله تعالى لهذه الصفة المعيبة لكمال علمه، الذي هو من أجلِّ صفات الكمال، ونعوت الجلال، فعلمه سبحانه وسع كل شيء، كما قال سبحانه عن الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ (غافر).

«حيث علل سبحانه إحاطة علمه، وعدم نسيانه، قال تعالى: ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ (مريم). فربوبيته للسموات والأرض، وكونهما على أحسن نظام، وأكمله، ليس فيه غفلة، ولا إهمال ولا سدى، ولا باطل، برهان قاطع على علمه الشامل».[١]

ودل كذلك على تمام الحكمة، إذ إن الحكمة هي: وضع الشيء في محله، وتمام الحكمة هنا تقتضي: مقابلة جزاء النسيان بالنسيان، جزاء وعدلاً من الديان.

وعلى سعة الحفظ، فهو تعالى (الحفيظ): الذي لا يعزب عن حفظه الأشياء كلها، من مثقال ذرة في الأرض السفلى، أو في السموات العلا، وقد حفظ على خلقه وعباده ما يعملون من خير أو شر، وأحصى أقوالهم، وعلم نياتهم، فلا تغيب عنه غائبة، فهو الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده[٢]، فكيف يغفل، أو ينسى سبحانه وتعالى؟

(١) تفسير السعدي (٤٩٨).

(٢) انظر: شأن الدعاء (٦٧)، والأسماء والصفات للبيهقي (١٧٥/١)، وتفسير السعدي (٤٨٨/٥).



١٠ - نفي (العجز) عن الله سبحانه

من الصفات الشرعية التي يشترك في إثباتها كما تقدم الدليل الشرعي، والسمعي، والدليل العقلي، والفطرة السليمة، وهي أكثر صفات الرب تعالى، وقد ثبتت بالكتاب، والسنة النبوية.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ - قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ (فاطر).

٢ - وقال سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾ (التوبة).

٣ - وقال جل ثناؤه: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ (الجن).

٤ - وقال جل جلاله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (الأنفال).

السنة النبوية:

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم**

يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي، فقوله لي ولدٌ، فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولداً».[1]

المعنى في اللغة:

العجز: نقيض الحزم، وحقيقته التأخر عن الشيء، وحصوله عن عجز الأمر، أي: مؤخره، كما ذكر في الدبُّر، ثم عبر في العرف عن القصور عن فعل الشيء، وهو: الضعف، ضد: القدرة، تقول: عجزت عن كذا أعجز.

قال تعالى حكاية: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ (المائدة)، أي: قصرت ولم أقدر.[2]

المعنى في الشرع:

جاءت الأدلة السنية في الكتاب والسنة النبوية في نفي وتنزيه رب البرية عن أن يعجزه شيء في الأرض أو في السموات العليَّة، «وهذا النفي منه لهذه الصفة غالباً ما يأتي في سياق التهديد، والوعيد للكافرين، الذين يظنون أنهم مع ما يفعلونه من تكذيب لآيات الله ، ورسله، فإنهم قد يفلتون من عقاب الله وعذابه، فيأتي هذا النفي من الله، ليبطل هذا الظن الكاذب، والوهم الفاسد،

---

(١) البخاري (٤٤٨٢)، (٤٩٧٤).

(٢) عمدة الحفاظ (٣/٣١)، واللسان (٦/٩٧).

بنفي أن يعجزه شيء من مخلوقاته على أن يتصرف الله تعالى في خلقه بما يشاء».[١]

فقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾﴾: نفى الله تبارك وتعالى أن يفوته، أو يسبقه شيء كان، عن مراداته، وقدرته، مهما قلَّ وجلَّ، سواء كان في أرضه، أو في سمواته، ولهذا جاء هذ النفي بعدة مؤكدات، منها: **(لام)** الجحود، مع **(كان)** المنفية، وكذلك **(من)** الموصولة، والتي تفيد الاستغراق، و**(شيء)** نكرة في سياق النفي.[٢]

والمعنى: أي ما كان الله تعالى ليحول بينه وبين ما يريد عجز في قدرته، بل هو قادر على كل شيء، من إيجاد معدوم، أو إعدام موجود، أو تغيير حال، أو غير ذلك، فالله تعالى لا يعجزه شيء لا في السموات ولا في الأرض، لأن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول: **(كن فيكون)** بدون أي عمل، كلمة واحدة تجعل الشيء على حسب مراده تبارك وتعالى، وإذا كان تعالى لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، فإنه لا يعجزه عن إهلاك المكذبين، الذين كذبوا رسول الله ﷺ.[٣]

وقد حكى الله تعالى من حسن كلام الجن، حينما صرفهم الله إلى رسوله، لسمع آياته، فآمنوا وصدقوا، ومن ذلك نفيهم العجز

---

(١) النفي في باب صفات الله (٣٢٥).

(٢) انظر: روح المعاني (٣٠٨/١٢)، ونظم الدرر (٢٣٧/٦)، والتحرير والتنوير (٣٣٨/١١).

(٣) تفسير سورة فاطر لابن عثيمين (١٧٣/٨).

عن خالقهم، فقال: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ١٢﴾ (الجن).

الظن هنا: بمعنى العلم واليقين، وهو خلاف الظن (بمعنى: الشك والريب)، أي: وأنا علمنا (علم اليقين) أننا لن نعجز الله في الأرض أينما كنا فيها، (أكدوا يقينهم بلن والتي تفيد تأكيد النفي)، ولن نفوته إن أراد بنا أمراً ﴿وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ١٢﴾ . أي: ولن نعجزه إن هربنا وسعينا بأسباب الفرار، والخروج عن قدرته، (لأنه) لا ملجأ منه إلا إليه، لأننا في قبضته، وسلطانه، وهذا كله إيمان منهم بكمال قدرته تعالى، وعجزهم.[1]

دلالة نفي (العجز) على صفات الله تعالى

نفى الله سبحانه عن نفسه الجليلة انتفاء العجز عنه، لكمال العلم، ولكمال القدرة، ولنفوذ الإرادة، والمشيئة،

كما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ .

حيث صدَّر الجملة بالآية بـ(إنَّ) المكسورة المشددة المثقلة، والتي تفيد العلية، والتوكيد، والحصر[2] فـ«الجملة تعليل لنفي الإعجاز».[3]

(١) تفسير القرطبي (١٠/١٦)، وتفسير الشوكاني (٦٥٥).

(٢) ذكر الأصوليون في مباحث الإيمان، والتنبيه، ومسلك التعليل أن (إن) المكسورة المشددة من حروف التعليل، انظر: شرح الكوكب المنير (٤/١١٧ - ١٢٥)، ومن الأمثلة على ذلك: قوله سبحانه في نهيه عن اتباع خطوات الشيطان بقوله: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ ثم ذكر علة النهي بقوله ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ (المائدة: ٩٠ - ٩١)، فعلل النهي بحرف (إن) بقوله ﴿إنه لكم عدو مبين﴾.

(٣) روح المعاني (١٢/٣٠٨).

وقد حصر سبحانه هذين الوصفين وهما ﴿عَلِيمًا قَدِيرًا﴾، أي: واسع العلم، لا يخفى عليه شيء، كامل القدرة، انتفاء أن يكون شيء يعجز الله تعالى، لأن عجز المريد عن تحقيق إرادته: إما أن يكون سببه خفاء موضع تحقيق الإرادة، وهذا ينافي إحاطة العلم، أو عدم استطاعة التمكن منه، وهذا ينافي عموم القدرة[1].

يقول شارح العقيدة الطحاوية رحمه الله: «فنبه سبحانه وتعالى في آخر الآية على دليل انتفاء العجز، وهو كمال العلم، وكمال القدرة، فإن العجز إنما ينشأ إما من الضعف عن القيام بما يريده الفاعل، وإما من عدم علمه به، والله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة، وهو على كل شيء قدير، وقد علم ببدائة العقول والفطر كمال قدرته، وعلمه، فانتفى العجز، لما بينه وبين القدرة من التضاد، ولأن العاجز لا يصلح أن يكون إلهاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»[2].

ويزيد بياناً وإيضاحاً العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - سبب «وجه كونه تعالى لعلمه وقدرته لا يعجزه شيء، لأن العاجز عن تحصيل الشيء إما لجهله، وعدم علمه بأسباب حصوله، وإما لعجز قدرته عن إيجاده، وتحصيله، فلو تأملت عجز أي عاجز لوجدت السبب في عجزه: إما أنه لا يعلم، وإما أنه لا يقدر.

فلو قال أحد لرجل ما: اصنع لي مسجلاً، وهو لا يعرف، فلا

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١١/٣٣٩).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١١١).

يقدر أن يصنع له مسجلاً، لأنه جاهل، مع أنه ليس بعاجز، هو قوي يستطيع أن يكسر الحديد مثلاً، لكنه جاهل ليس عنده علم، لا يقدر أن يصلحها، ويمكن أن يفسدها.

ورجل آخر عنده علم في تصليحها، لكن ما عنده قدرة بدنية مشلول، فلا يمكن أن يصلحها، إذن انتفاء عجز الله تعالى لكمال علمه، وكمال قدرته، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، لماذا؟ قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ (فاطر)».[1]

---

(١) شرح عقيدة أهل السنة (٢٤٠ - ٢٤١)، وتفسير سورة فاطر (١٧٤/٨).



١١ ـ نفي (الفقر) عن الله سبحانه

من الصفات المنفية الخبرية، والعقلية، الثابتة بالكتاب، والسنة النبوية.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال تبارك وتعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ (آل عمران: ١٨١).

السنة النبوية:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزل قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ (البقرة) قالت اليهود: يا محمد: أفقير ربك يسأل عباده القرض؟ فأنزل الله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾»[1].

٢ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت المدارس، فوجد من يهود ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال: فنحاص كان من علمائهم وأحبارهم.... فقال أبو بكر

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٨٢٨)، والطبري (٤/١٩٤ ـ ١٩٥)، وابن كثير (١/٤١٠).

لفنحاص: ويحك: اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، قال فنحاص: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم.....».[1]

فانظر رحمني الله وإياك على جرأة اليهود لعنهم الله، على هذه المقولة الشنيعة في وصفهم ربهم تبارك وتعالى، نسأل الله العافية.

المعنى في اللغة:

الفقير: الفقر، ضد: الغنى، وهو الخُلة والحاجة الضرورية، ويقال: أشد الحاجة، وهو مأخوذ من فقار الظهر كأنه لاحتياجه انكسر فقاره، فهو لا ينهض.[2]

المعنى في الشرع:

نفى الله تبارك وتعالى ونزه نفسه عن الفقر، وهو الحاجة والضرورة إلى الخلق، وقد تقدم بيانه: أن مصدر هذه الفرية من اليهود قاتلهم الله على عهد رسول الله ﷺ، وقد توعدهم الله شر الوعيد، بقوله: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾.

أي: سنكتب ما قالوا من الإفك، والفرية على ربهم العظيم الكريم،

---

(١) أخرجه الطبري (٤/١٩٤)، وحسنه أ. د حكمت بشير في التفسير الصحيح (١/٤٨٥)

(٢) عمدة الحفاظ (٣/٢٤٢).

في صحائف أعمالهم، ونأمر الحفظة بإثبات قولهم، حتى يقرؤوه في كتبهم أمام الخلائق يوم القيامة، فيكون أوكد للحجة عليهم، ثم يذيقهم عذاب الحريق، الذي ليس له منتهى ولا مديد، ﴿وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝١٨١﴾، أي: عذاب النار المحرقة، الملتهبة، يقال لهم ذلك تقريعاً، وتوبيخاً، وتحقيراً، وتصغيراً، والعياذ بالله.[1]

فهؤلاء أصحاب الفرية الشنيعة لم يقدروا الله حق قدره، ولم يعظموه حق تعظيمه، بما يستحق سبحانه من كل أوصاف الكمال، المنزه عن كل سوء، ومذام، والتي يتصف بها الأنام، من ذلك: أنهم وصفوه بأنه فقير وقالوا عن أنفسهم ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ «فجعلوا أنفسهم أكمل من الله تعالى، وهذا غاية ما يكون في الوقاحة»[2] وهذا ديدنهم في حق ربهم، فقد وصفوه بعدة أوصاف شنيعة بأنه: بخيل، وأنه يتعب، وأن يده تعالى الكريمة مغلولة، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

«ولم يعلم هؤلاء البلهاء، إن كانوا صادقين فيما ادعوا وهم كاذبون في هذا، لكن تنزلاً معهم، نقول: إن الله عز وجل جعل الإنفاق في سبيله له بمنزلة القرض، إشعاراً للمنفق بأنه سوف يجازى عليه، كما أن المقترض يجب عليه أن يوفي مقرضه، فهكذا جعل الله تعالى العمل له، بمنزلة القرض، تفضلاً منه عز وجل، وإحساناً».[3]

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/٥٣٧)، وابن كثير (١/٤٤٣)، وابن السعدي (١٢٦).

(٢) تفسير آل عمران (٢/٤٩١) لابن عثيمين.

(٣) المصدر السابق.

دلالة نفي (الفقر) على صفات الله تعالى

نفى ربنا عن نفسه الفقر: لكمال غناه، وتمام عزته، وسعة ملكه وسلطانه، فالله سبحانه لا يحتاج إلى كائن من كان، لأنه تعالى هو (العزيز) الذي لا أعز منه سبحانه في الوجود كله، الذي لم يزل ولا يزال عزيزاً، لا تنقص عزته، ولا تفنى، له العزة جميعاً: عزة القهر والغلبة، وعزة القوة والقدرة، وعزة الامتناع: فهو تعالى العزيز الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد من مخلوقاته فلا يبلغ العباد نفعه فينفعونه، ولا ضره فيضرونه، فلا ينال منه سبحانه، ولا يرام جنابه.

وليس في المخلوقين عزيز على التمام، لأن الدنيا كلها حاجة، والحاجة إلى الغير ذلة، والاستغناء عن الغير هو: الغنى، والعز، والغنى بالحقيقة لله تعالى وحده الذي انفرد بالعزة في الوجود فليس له نظير ولا مثيل.(١)

فكيف يكون فقيراً في حال، **وهو تعالى (المالك، المليك، الملك):** فهو تعالى مالك الملوك والمُلاَّك، يصرفهم تحت أمره ونهيه، فلا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فجميع الموجودات كلها ملكه وعبيده مفتقرون إليه، ولا لمخلوق غنى عن إيجاده، وإمداده، ونفعه، ودفعه.(٢)

ولهذا، حمد ملكه، لأنه سبحانه لم يفتقر إلى أحد من خلقه في إقامة ملكه، قال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ (التغابن: ١).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٨/٣٦)، والسمعاني (١/١٤١)، وابن كثير (٤/٣٤٣)، والحجة (١/١٣٠)، وعارضة الأحوذي (١٣/٣٧).

(٢) تفسير الأسماء (٦٢) وفتح الرحيم (١٩).

١١ـ نفي (الفقر) عن الله سبحانه

وقولنا لكمال غناه، لأنه تعالى هو (الغني) الذي لا أغنى منه على الإطلاق في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وسلطانه، والكل إليه فقير محتاج في جميع شؤونه وأحواله في حركاته وسكناته[١]، في كل لحظة، وخطرة، وخطوة، الذي أغنى جميع عباده عمن سواه، فأنى يكون سبحانه فقير، وخزائنه لا تنفد مما أعطى وأسبغ عز شأنه، كما في الحديث القدسي، يقول الله تبارك وتعالى: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**».[٢]

---

(١) توضيح الكافية الشافية (١١٩) بتصرف.

(٢) مسلم (٢٥٧٧).

١٢ ـ نفي (الخوف من عواقب الأمور) عن الله سبحانه

صفة سمعية، وفطرية، ثبتت في الكتاب الحكيم:

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال تبارك وتعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾﴾ (الشمس).

المعنى في اللغة:

الخوف: توقع مكروه عن أمارة مظنونة، أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة، أو معلومة، ويضاد الخوف الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية، والأخروية.(١)

المعنى في الشرع:

نفى ربنا جل جلاله الخوف من عاقبة أفعاله، فقال: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾، لا يخاف الله من أحد تبعة».(٢)

---

(١) المفردات (٣٠٣).

(٢) التفسير الصحيح (٦٣٩/٤).



ومعنى الآية: أن الله عز وجل فعل ما فعل بهم مما ذكره من قبل: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ (الشمس).

أي: أنه تعالى أطبق عليهم فأهلكهم بذنوبهم، كما تقول: دمدمت البئر: أي: أطبقت عليها التراب، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾: يعني: أن الله لا يخاف من عاقبة هؤلاء الذين عذبهم، ولا يخاف أن تلحقه تبعة من أحد على ما فعله بهم.(١)

وكيف يخاف ربنا وهو الملك القاهر الذي بيده كل شيء، بخلاف غيره من الملوك لو انتصروا على غيرهم، أو عاقبوا غيرهم تجدهم في خوف يخشون أن تكون الكرة عليهم. أما الله عز وجل لا يخاف عاقبة من عذبهم (مهما كان عددهم وعُدتهم) فسبحانه وتعالى ما أعظمه، وما أجل سلطانه.(٢)

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فنفى عن نفسه تعالى الخوف من عاقبة ما فعله من إهلاك أعدائه، بخلاف المخلوق فإنه إذا انتقم من عدوه: يخاف عاقبة ذلك، إما من الله، وإما من المنتصرين، وذلك على الله محال».(٣)

---

(١) انظر: الطبري (٧/٥٢٨)، وابن كثير (٤/٥١٨).

(٢) تفسير جزء (عم) ابن عثيمين (٢٢٨ - ٢٢٩).

(٣) الصواعق المرسلة (٤/١٤٤٥).



دلالة نفي (الخوف من عواقب الأمور) على صفات الله تعالى

نفى الله تعالى عن نفسه الخوف من عواقب ما يفعله، لأنه سبحانه هو: «الملك الأعلى، الذي كل شيء في قبضته (**وتحت قهره**)، لا كما يخاف كل معاقب من الملوك، فيبقى بعض الإبقاء»[1]. ولأن عزته تعالى تنافيه، فهو (**العزيز**) الغالب الذي لا يُغلب، ولا يقهر، المنيع الذي لا يدرك. فلا يلحقه سوء، ولا ضرر، «فلا يقدر مغلوبه على أخذ الثأر منه».[2]

وتضمن هذا النفي كذلك: على كمال علمه تعالى، وقدرته، وإرادته، وذلك أن «الخوف يتضمن نقصان العلم، والقدرة، والإرادة، فإن العالم بأن الشيء لا يكون، لا يخافه، والعالم بأنه يكون ولابد، قد يئس من النجاة منه فلا يخاف، وإن خاف فخوفه دون خوف الراجي. وأما نقص القدرة، فلأن الخائف من الشيء هو الذي لا يمكنه دفعه عن نفسه، فإذا تيقن أنه قادر على دفعه لم يخفه، وأما نقص الإرادة، فلأن الخائف يحصل له الخوف بدون مشيئته واختياره، وذلك محال في حق من هو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، ومن لا يكون شيء إلا بمشيئته، وإرادته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وهذا لا ينافي كراهته سبحانه، وبغضه، وغضبه، فإن هذه الصفات

---

(١) نظم الدرر (٨/٤٤٤).

(٢) تفسير الطاهر بن عاشور (١٥/٣٧٥).



لا تستلزم نقصاً، لا في علمه، ولا في قدرته، ولا في إرادته، بل هي كمال، لأن سببها العلم بقبح المكروه المبغوض المغضوب عليه، وكلما كان العلم بحاله أهم، كانت كراهته وبغضه أقوى».[١]

والله ربنا جل جلاله لا يخاف ولا يخشى تبعة وعاقبة أحد، كسائر المعاقبين من الملوك وغيرهم، لأنه «تعالى لا يفعل فعلاً إلا بحق، وكل من فعل بحق، لا يخاف عاقبة فعله، وإن كان من شأنه الخوف».[٢]

(١) الصواعق المرسلة (١٤٤٥/٤).

(٢) تفسير أبي السعود (٤٣٥/٦).

١٣ - نفي (إخلاف الوعد).

١٤ - و(العهد).

١٥ - ونفي (تبديل القول) عن الله سبحانه:

من الصفات الخبرية: والعقلية الفطرية، الثابتة بالكتاب، والسنة النبوية، وهي من الصفات التي تستلزم نقصاً في حق ربنا عز وجل، فجاء نفيها عنه سبحانه في كثيرٍ من المواضع في كتابه، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

فقد ورد في الكتاب الحكيم نفي هذه المذام، على أربعة أحوال:

الحالة الأولى: في نفي (العهد): فقد جاء في سياق تكذيب الله تعالى، دعوى أهل الكتاب.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (البقرة).

الحالة الثانية: إخباره سبحانه بعدم إخلاف (الوعد) في سياق دعاء أوليائه، وهو في حالتين:

الأولى: في دعاء العبادة. كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ (آل عمران).[1]

الثانية: في دعاء المسألة: قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ (آل عمران).

الحالة الثالثة: إخباره بعدم إخلاف (الوعد) في سياق البشارة، الدنيوية، والأخروية.

الدنيوية: إخباره في نصر الروم على الفرس قال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ (الروم).

والأخروية: إخباره في دخول أصفيائه جناته العلية، قال سبحانه: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ (الزمر).

الحالة الرابعة: إخباره بعدم إخلاف (الوعد) في معرض التهديد، والوعيد الشديد للكفار في هذه الدار، وفي دار القرار:

(١) قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ (الرعد).

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ (الحج).

---

(١) للعلماء في قوله تعالى: ﴿لا يخلف الميعاد﴾: قولان: الأول: من كلام الله تعالى، والثاني: من كلام الراسخين في العلم، ورجح الأخير: ابن جرير الطبري وابن كثير (١/٤٨٣)، ولابن عثيمين تفصيل مهم، انظر: تفسير آل عمران (١/٦٠).

(٣) وقال جل ثناؤه: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ (إبراهيم).

وجاء نفي (تبديل القول) في معرض الوعيد الشديد للكفار، في آخر الدار، عند دخولهم النار:

قال سبحانه: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ (ق).

السنة النبوية:

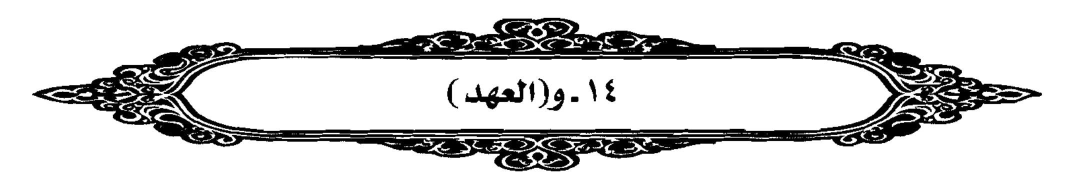
١ ـ حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: واعد رسول الله ﷺ جبريل في ساعة يأتيه فيها، فجاءت تلك الساعة، ولم يأته، وفي يده عصا فألقاها من يده، وقال: (ما يخلف الله وعده ولا رسله)، ثم التفت فإذا جرو كلب تحت سريره....».[1]

٢ ـ في حديث شداد بن أوس وعبادة بن صامت رضي الله عنهما: وفيه: «... اللهم بعثتني بهذه الكلمة (أي: لا إله إلا الله)، وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: ابشروا فإن الله تعالى قد غفر لكم».[2]

---

(١) مسلم (٢١٠٤).

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (١٧٠٥٧)، وحسن إسناده متمم تحقيق المسند لأحمد شاكر (١٣/ ٢٧١).



١٤ ـ و(العهد)

المعنى في اللغة:

الوعد: الوعد يكون في الخير، والشر، يقال: وعدته بنفع وضر وعداً وموعداً، وميعاداً، والوعد غلب في الخير، والإيعاد في الشر.[١]

العهد: العهد في الأصل: حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، فنسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً، وعهده تعالى تارة يكون بما ركزه في عقول المكلفين، وتارة يكون بما أمرهم به في كتابه، وعلى ألسنة رسله، وتارة بما يلزمه المكلف نفسه، وإن كان ليس بلازم له في أصل الشارع كالنذور، والكل مطلوب فيها الوفاء بها.[٢]

التبديل: الإبدال والتبديل والتبدل والاستبدال: جعل الشيء مكان آخر، وهو أعم من العوض، فإن العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول، والتبديل: قد يقال للتغيير مطلقاً، وإن لم يأت ببدله.[٣]

المعنى في الشرع:

الآيات والأحاديث المتقدمة جاءت في التنزيه، والنفي، عن الله تبارك وتعالى من أوصاف النقائص، والمعايب، وهي: إخلاف الوعد، والعهد، وتبديل القول، إذ هي: «من الصفات المستقبحة، المستهجنة من العباد، إذا كانت صادرة من بعضهم في معاملاتهم بينهم، فكيف إذا كانت صادرة

(١) المفردات (٨٧٥)، وعمدة الحفاظ (٣٢٣/٤).

(٢) عمدة الحفاظ (١٣٣/٣ - ١٣٤).

(٣) المفردات (١١١).

من رب السموات والأرض، لا شك أن ذلك أكثر قبحاً، ومنافاة لكماله عز وجل، لهذا نفاها الله عن نفسه» الجليلة.[1]

وقد تقدم بيانه في القاعدة السادسة: أن «كل نقص تنزه عن المخلوق، فالخالق أحق وأولى بالتنزه عنه».

ولهذا جاءت الأدلة السنية في الكتاب، والسنة النبوية في النفي عنه سبحانه، بصور متنوعة، تدل على تحقيق، وتأكيد هذا النفي في أفضل وأكمل الأدوات، والألفاظ الدالة في النفي على ذلك.

فمن ذلك: بـ«لا»، كقوله: ﴿**لا يخلف الله وعده**﴾.

وبـ(لن) كقوله ﴿**لن يخلف الله وعده**﴾.

وبـ«ما»، كقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾.

وكذلك بالاستفهام، كقوله سبحانه: ﴿**أتخذتم عند الله عهداً**﴾ أي: «أأخذتم بما تقولون من ذلك من الله ميثاقاً، فالله لا ينقض ميثاقه، ولا يبدل وعده، وعقده».[2]

وهذا استفهام إنكاري.[3]

ومما يدل على النفي عن الله تعالى إخلاف الوعد كذلك، أنه يأتي

---

(١) النفي في باب صفات الله (٣٣١).

(٢) تفسير الطبري (١/٢٢٦).

(٣) تفسير سورة البقرة لابن عثيمين (١/٢٦٠).

بـ«التعقيب بالمصدر، والذي يفيد التعظيم، كقوله سبحانه: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ ﴾ (الروم) .[١]

أي: فارتقبوا وعد الله تعالى العظيم، الذي لا يتخلف، ولا يتغير، ولا ينقض في أي حال، في غلبة الروم على الفرس، وفرح المؤمنين، وقد تحقق ما وعد به سبحانه، لأنه وعد مؤكد عظيم، ينافي خلافه من كل وجه.

وقوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ أي: لا تختصموا عندي ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ۝٢٨﴾: أي: في الدنيا، قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل، وأنزلت الكتب، وقامت عليكم الحجج والبينات، والبراهين الساطعات.[٢]

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ قال: «إنهم اعتذروا بغير عذر، فأبطل الله حجتهم، ورد عليهم قولهم».[٣]

وقال مجاهد رحمه الله في قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾: قال: «قد قضيت ما أنا قاض».[٤]

وقوله سبحانه: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾، أي: ما

---

(١) الإكسير في علم التفسير لأبي سليمان عبدالقوي البغدادي (٢١٤).

(٢) تفسير الطبري (١٠١/٧)، وابن كثير (٢٩٠/٤).

(٣) التفسير الصحيح (٣٨١/٤).

(٤) الطبري (١٠١/٧).

يغير القول الذي قلته لكم في الدنيا، وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ (هود: ١١٩) و(السجدة: ١٣).(١)

يقول السعدي رحمه الله: «أي: لا يمكن أن يخلف ما قال الله تعالى وأخبر به، لأنه لا أصدق من الله قيلاً، ولا أصدق منه حديثاً».(٢)

دلالة نفي (إخلاف الوعد، والعهد، وتبديل القول) على صفات الله تعالى:

تضمن نفي الأوصاف المتقدمة من النقائص، على كمال ما يضادها، من صفات ربنا العظيمة، وهي: منافاة كمال صدقه، وقدرته، وعدله، وحكمته، وأحقيته سبحانه.

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وإنما انتفى عنه تعالى إخلاف الوعد و(العهد) لكمال صدقه، وكمال قدرته.

لأن إخلاف الوعد إما أن يكون بكذب الواعد، كميعاد أهل النفاق، وإما أن يكون لعجز الواعد، أي: أنه يفي لكنه عجز، والله عز وجل قد انتفى في حقه الأمران، أعني: الكذب، والعجز، فهو لكمال صدقه في خبره، وكمال قدرته في تنفيذ وعده، لا يخلف الميعاد.(٣)

---

(١) المصدر السابق (١٠١/٧).

(٢) التفسير (٨٠٦).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة (٢٦٤/١)، وسورة آل عمران (٦١/١) (٥٦٥/٢)، وتفسير آيات الإحكام (٥٥٣/٢)، وتفسير سورة الروم (١٤/٧) وسورة لقمان (١٨٥/٧) لابن عثيمين.



١٥ ـ ونفي (تبديل القول) عن الله سبحانه

ويقول - رحمه الله - في قوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾: يعني: لا أحد يستطيع أن يبدل قولي، لأن الحكم لله عز وجل وحده، فإذا كان الله تعالى قد وعد فهو صادق الوعد سبحانه وتعالى».[1]

وقولنا: لكمال أحقيته: إذ أن الحق في الأصل هو: الثبوت، والشيء الثابت، يقال: حق الأمر يحق حقاً فهو حق: أي: ثبت، واستقر، وهو نقيض الباطل.[2]

والله سبحانه وتعالى هو (الحق): في أمره، ونهيه، ووعده، ووعيده، وجميع ما أنزله على رسله عليهم السلام[3] فهو حق ثابت، لا يزول ولا يحول، فهو الذي يحق الحق بكلماته، أي: سينفذ وعده، ويظهر صدقه في قوله، ووعده، وخبره، ومن ذلك: أنه ينصر أولياءه، فيهلك أعداءه، قال سبحانه: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (يونس).[4]

وقال عز شأنه: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ (النور).

أي: يوفيهم جزاءهم على أعمالهم، (الحق) أي: الواجب الثابت،

---

(١) تفسير سورة (ق) (١٠٣).

(٢) انظر: عمدة الحفاظ (١/٤٣٧).

(٣) اشتقاق أسماء الله (١٧٨).

(٤) «الوسيط» أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها (٢١٠).

وهو الجزاء بالعدل، والقسط[1]، كما وعدهم به في الدنيا، دون زيادة، ولا نقصان.

وقد توعد الله عز وجل العصاة بما يستحقون من الذنوب، مثل قوله: «**لا يدخل الجنة قتات**».[2]

أي نمام.

فائدة:

تقدم بيانه: إن الله تبارك وتعالى لا يخلف الميعاد أبداً، فإن قال قائل: قد يرد على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ (النساء).

فالجواب: أن نقول: إن النفي يراد به كمال الله في الصدق، والقدرة، فإن عفوه عمن استحق العقاب، لا يعد إخلافاً للوعد، لأنه قادر، ولكنه كمال فوق كمال، فإن العفو عن الانتقام، مع القدرة كمال، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾[3] (النساء: ١٤٩).

---

(١) انظر: تفسير القاسمي (٣٤١/٧)، وتفسير السعدي (٥٦٥).

(٢) البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

(٣) تفسير سورة ق، (١٠٣).



١٦ ـ نفي (الظُلم) عن الله سبحانه

صفة من الصفات الخبرية، الفطرية، التي ثبتت بالكتاب الكريم وسنة النبي الأمين ﷺ.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾ (النساء).

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ۝٤٩﴾ (الكهف).

٣ ـ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٤٤﴾ (يونس).

٤ ـ وقال عز شأنه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝١٨٢﴾ (آل عمران).

٥ ـ وقال جل جلاله: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٨﴾ (آل عمران).

السنة النبوية:

١ ـ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه

تبارك وتعالى أنه قال: «**يا عبادي: إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...**» الحديث.[1]

٢ ـ وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن الله تعالى عذب أهل سمواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم...**».[2]

٣ ـ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطي بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة..**».[3]

المعنى في اللغة:

الظلم: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان، أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته، أو مكانه.[4]

المعنى في الشرع:

نفى الله تبارك وتعالى ونزه نفسه عن الظلم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، بصور لفظية متنوعة: بصورة الاسم، وبصورة الفعل، وبصورة الوصف، وبلغت الآيات التي جاء فيها تنزيه الله تعالى عن الظلم بلفظه الصريح: اثنين وأربعين آية.[5]

---

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٢) صحيح ابن ماجه (٧٧)، وصحيح أبي داود (٤٦٩٩).

(٣) مسلم (٦٥١٧).

(٤) المفردات (٥٣٧)، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٤٦٧)، وجامع الرسائل لابن تيمية (١/١٢٣).

(٥) التسبيح في الكتاب والسنة (٢/٢٥٥ -٢٥٦).

١٦ ـ نفي (الظُلم) عن الله سبحانه

تنزه الله سبحانه عن هذه الصفة، لأنها من أنقص الصفات، وأشنعها، وشدة مقتها بمن يتصف بها من الخلائق، لأنه كما تقدم: وضع الشيء في غير محله المختص به...، وهذا من السفه، والحمق، والجهل، والظلم والعدوان، إذ أن هذه الأفراد من النقائص المتضمنة في الظلم مذمومة مطلقاً في أي حال، ومكان، وزمان. فإذا كان الحكماء والفضلاء يتعالون عنه، من الخلق، فكيف بالخالق، لأنه لما ثبت كما تقدم نقلاً وعقلاً، أن الله تبارك وتعالى هو أولى بكل كمال، وأحق بكل حمد، وأبعد عن كل نقص وعيب وذم، كان الظلم منتفياً عنه سبحانه بكل حال ومن كل وجهة، وعلى كل جهة سبحانه.

فهو سبحانه وتعالى الحكم، العدل، الذي لا أعدل، ولا أحكم منه على الإطلاق. في وصفه، وفي أفعاله، وأقواله، وأحكامه كلها: القدرية والكونية، والدينية والشرعية، وفي أحكامه الجزائية، فكلها مربوطة بالعدل، والحكمة، والصواب، من ذلك:

أنه لا يهضم أحداً من حسناته، ولا يزيد في سيئاته، أو يعذبه بغير جرم اجترحه، ولا يمنع أحداً حقه، فلا يضيع حقوق المظلومين، ولو كانوا كافرين، فعدله شامل للخليقة كلها، حتى الحيوانات غير المكلفة، تشهد بعدله، فإنه يقتص للشاة الجمَّاء من الشاة القرناء.

ومن كمال عدله: أنه لا يساوي بين المختلفين، ولا التفريق بين المتماثلين، فلا يساوي سبحانه بين مؤمن وكافر، ولا بين برٍّ وفاجر.

قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (القلم)، وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الجاثية)، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ (النجم).[1]

وقد ضرب سبحانه في كتابه في نفي الظلم عن نفسه بأقل الأشياء التي لا خطر لها، كالفتيل، والنقير، فكيف بماله خطر، قال عز شأنه: ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ (النساء)، والفتيل هو: ما في شق النواة، مما يشبه الخط الدقيق، وقيل: ما يخرج من بين الإصبعين والكفين من الوسخ إذا فتلت إحداهما على الأخرى، وكلا المعنين صحيح.

ثانياً: النقير، قال سبحانه: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ (النساء) والنقير هو: الوقبة في ظهر النواة، ومنها: تنبت النخلة، وفي ضرب هذين المثلين في القلة، والنزارة، لبيان أنه تعالى لا يظلم الذين يعملون الصالحات من ثواب أعمالهم مقدار النقرة التي تكون في ظهر النواة، فكيف بما هو أعظم من ذلك وأكثر؟

---

(١) فتح الرحيم (٣٢)، والحق الواضح (٧٨ – ٨٠)، وانظر: منهاج السنة النبوية (٥/١٠٧)، وجامع الرسائل (١/ ١٢٦، ١٣٢)، وشفاء العليل (٢/١١٠)، وتفسير السعدي (٥/٦٢١).

وإنما يخبر بذلك جل ثناؤه عباده أنه لا يبخسهم من جزاء أعمالهم قليلاً، ولا كثيراً، ولكن يوفيهم ذلك كما وعدهم ومن الآيات التي ضرب الله تعالى بها المثل في التحقير، قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾ (النساء)، أي: زنة ذرة، والذرة يضرب بها المثل في التحقير، وإلا فإن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة، ولا دونه.[١]

وفي الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا**».

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: معناه: تقدست عنه، وتعاليت».[٢]

وفي هذا دليل على أن الله عز وجل ترك الظلم باختياره ومشيئته، وتمدح بعدم ظلمه، وبذلك يحمد ويثنى عليه،

فإن الحمد والثناء يقع بالأمور الاختيارية، من فعل وترك، كعامة ما في القرآن من الحمد.[٣]

وهذا غاية الكمال من المدائح والوصائف لربنا جل جلاله، فهو قادر على ظلم من في الأرض والسموات الطوابق، لأنه قد يقع لكثير

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٠٨/٢، ٥٦٧)، وعمدة الحفاظ (١٩٦/٣)، (٢١٢/٤).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٣٢/١٦).

(٣) منهاج السنة النبوية (١٠٤/٥).

من الخلائق عدم الظلم لضعفهم وعجزهم، وهوانهم، ومتى تمكنوا ظلموا، وسفهوا، أو بطشوا ككثير من الولاة والحكام.

أما ربنا تبارك وتعالى خلاف ذلك، فهو سبحانه منع نفسه العلية من الظلم مع قدرته عليه.

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فقوله (إني حرمت الظلم على نفسي): أي: منعته مع قدرتي عليه، إنما قلنا: مع قدرتي عليه، لأنه لو كان ممتنعاً على الله سبحانه، لم يكن ذلك مدحاً، ولا ثناء، إذ لا يثنى على الفاعل، إلا إذا كان يمكنه أن يفعل، أو لا يفعل، فلو سألنا سائل وقال: هل يقدر الله أن يظلم الخلق؟

فالجواب: نعم، لكن نعلم أن ذلك مستحيل بخبره، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ (الكهف)».[١]

ويقول ابن رجب - رحمه الله - في شرحه للحديث المتقدم: «يعني: أنه منع نفسه من الظلم لعباده، كما قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ (ق).

وهو مما يدل على أن الله تعالى قادر على الظلم، ولكن لا يفعله تفضلاً منه وجوداً، وكرماً وإحساناً إلى عباده».[٢]

---

(١) شرح الأربعين النووي (٢٦١ - ٢٦٢).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٣٤).



دلالة نفي (الظلم) على صفات الله تعالى

دل نفي الظلم على كمال عدل الله تعالى، وغناه[١]، وتمام حكمته، «فإن الظلم لا يفعله إلا من هو محتاج إليه، أو من هو موصوف بالجور، وأما الله تعالى الغني عن خلقه من جميع الوجوه، الحكم، العدل، الحميد، فماله وظلم العباد»[٢]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن الظالم إنما يظلم لحاجته إلى الظلم، أو لجهله، والله غني عن كل شيء، عليم بكل شيء، وهو غني بنفسه، وكل ما سواه فقير إليه، وهذا كمال العظمة».[٣]

وقولنا على تمام الحكمة، لأن الحكمة هي: إصابة الحق بالعلم، والعقل، والحكيم: العالم بأحكام الأمور، وهو أيضاً الذي يمتنع عن فعل القبائح، ويمنع نفسه منها[٤]، ولا شك أن الظلم من أقبح القبائح، وأشنعها، وأنقصها، والحكيم أيضاً: الحكم، وهو: القضاء بالعدل، فقضاؤه سبحانه تعالى، وأحكامه كلها في غاية العدل، والحق، وبالجملة: فأحكامه في الأولى والآخرة، وهي الأحكام الثلاثة: الدينية الشرعية، والأحكام القدرية الكونية،

---

(١) الصواعق المرسلة (١٠٢٣/٣).

(٢) الحق الواضح (١٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٥٠/١٠).

(٤) انظر: المفردات (٢٤٨)، واللسان (٩٥١/٢)، ومعجم مقاييس اللغة (٢٩١/٢).

والأحكام الجزائية فكلها عدل، وفضل.[1] لا حيف فيها، ولا جور ولا سوء ولا ظلم.

فكيف يظلم وهو الموصوف بكمال العدل، وبعدله قامت السموات والأرض، فهو سبحانه أمر بالعدل في سمواته كوناً، وأمر به في أرضه كوناً، وشرعاً، كما قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾.[2]

فلو عذب الخلق أجمعين من نبي مرسل، وملك مقرب، وعبد صالح، كتعذيبه للكفار، والعصاة، لكان ذلك عدلاً منه سبحانه، كما لو نعم الجميع في جناته، لكان ذلك فضلاً منه تعالى.[3]

ولذا قال رسول الله ﷺ: «**لو أن الله عذب أهل سمواته، وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم، لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم**».[4]

وقولنا لكمال عدله، لأن انتفاء الظلم قد يكون لعجز الظالم، ولعجز من أراد أن يظلم: (لأنه) قد ينفي الظلم عن الشيء، لأنه غير قابل للظلم أصلاً، مثل أن تقول: الجدار لا يظلم، فليس في هذا مدح

---

(١) انظر: تفسير السعدي (٦٢١/٥)، والحق الواضح (٥٠)، وتوضيح الكافية (١٢٧)، وفتح الرحيم الملك (٣٢).

(٢) اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ (٤٧٤/١).

(٣) الأسنى (٤٤٣/١).

(٤) صحيح ابن ماجه (٧٧)، وصحيح أبي داود (٤٦٩٩).

للجدار، لأن الجدار لا يمكن أن يظلم، فلا يكون نفي الظلم عنه مدحاً، وربما يكون نفي الظلم عن شخص لا لكمال عدله، ولكن لعجزه عن الظلم، وحينئذ لا يكون ذلك مدحاً بل يكون ذماً، ولهذا نقول نفى الله تعالى عن نفسه الظلم، لكمال عدله.[(١)]

وعدل الله تبارك وتعالى أصل عظيم، ومقام جليل، قد قرره في كتابه الحكيم، غاية التقرير، فضلاً عن سنة البشير النذير ﷺ، ومن أوضح ذلك قوله سبحانه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ (آل عمران).

قال مجاهد: «(بالقسط): بالعدل»[(٢)]، أي: العدل بين العباد بالقول، والفعل، لا بالظلم، فعدل الله تعالى يتعلق بجميع أنواع العلم، والدين، فإنه يتعلق بجميع أفعال الرب تعالى، ومخلوقاته، وكذلك أقواله، وشرائعه، وكتبه المنزلة، وما يدخل في ذلك من مسائل المبدأ، والمعاد، والقضاء، والقدر، والهداية، والإضلال، والأمر والنهي، والوعد، والوعيد، والثواب والعقاب، فإن هذه كلها صادرة بالعدل التام، قائمة به، لا ظلم فيها، ولا حيف، ولا جور.[(٣)]

فعدله سبحانه شمل الخليقة كلها، في الدنيا والأخرى، إنسها،

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (٢٣٨ - ٢٣٩)، وتفسير سورة النساء (٣٣٢/١) ابن عثيمين.

(٢) التفسير الصحيح (٤٠٦/١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٧٦/١٤)، وجامع الرسائل (١٢٥/١)، ومدارج السالكين (٤٥٠/٢)، (٤٢٥/٣)، والفوائد (٣٢).

وجنها، مؤمنها، وكافرها، حتى البهائم، إلا أن عدله تعالى في الآخرة يظهر في هذا اليوم لكل أحد، لا يند عنه فرد، في السماء والأرض، قال سبحانه: ﴿**لا ظلم اليوم**﴾ (غافر: ١٧)، لأنه يوم مجموع له الناس، فيشاهد عدله تعالى كل البرية، رؤية حق ويقين.

لأن حكمه سبحانه وتعالى كله مربوط ومنوط بالقسط، فلا يكون إلا كذلك، فلا يجزي السيئة إلا مثلها، وأما الحسنات فإنه يضاعفها تعالى أضعافاً مضاعفة، ويعفو عن سيئات كثير من البرية، ولا يمنع أحداً حقه من الخليقة.

ولا يغفل عن الظالمين، ولا يضيع حقوق المظلومين، ولو كانوا كافرين.

فيحمده على حكمه كل الخلائق، حتى من قضى عليهم بالعذاب، ما دخلوا النار، إلا وقلوبهم ممتلئة من حمده، ويعترفون كلهم له بالعدل، بأن هذا من جراء أعمالهم، وأنه عادل في حكمه بعقابهم، وجزائهم، وأنه لم يظلمهم عز شأنه مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الزمر).[١]

بل إن عدله الجليل كما قد شمل كل بني آدم، كذلك قد وسع وشمل جميع البهائم، وهي التي لا ترجو جزاءً، ولا ثواباً، ولا عقاباً.

---

(١) تفسير السعدي (٦٧٤)، وفتح الرحيم الملك (٣٢ - ٣٣)، وتوضيح الكافية (١٢٧) بتصرف.



١٦ ـ نفي (الظُلم) عن الله سبحانه

قال رسول الله ﷺ: «**يحشر الخلائق كلهم يوم القيامة، والبهائم، والدواب، والطير، وكل شيء، فيبلغ من عدل الله تعالى، أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾**»، وفي لفظ: «**يقتص الخلق بعضهم من بعض، حتى الجماء من القرناء، وحتى الذرة من الذرة**»[1]، أي: النملة من النملة.

فأيُّ عدل أتم، وأجل، وأسمى من ذلك العدل؟ لا والله!

فلا عدل شبيه، بل ولا مثيل، ولا عديل، مثل عدل ربنا جل جلاله، وتعالى في كبريائه، وكماله.

وتضمن نفي الظلم عن الله تعالى كذلك: على كمال إحسانه، فهو نقيض الظلم، لأن الإحسان عدل وزيادة. أي: فيه عدل، وفضل، وهذا غاية الكمال والعلا.

فمن أسمائه جل جلاله: «المحسن»: فهو الذي عمّ إحسانه في الخليقة كلها، برها وفاجرها، فلا يخلو موجود في هذا الوجود، من إنعامه وإحسانه طرفة عين، ومن إحسانه العظيم: إنه تعالى المحسن في أفعاله، فليس فيها عبث، ولا في أوامره سفه، فليس فيها جور، أو ظلم، بل كل أفعاله لا تخرج عن الحكمة، والرحمة، والمصلحة، والعدل، والفضل، ومن إحسانه العميم الذي ليس له فيه عديل، ولا نظير:

إنه يحسن إلى أعدائه، ويسبغ عليهم من آلائه، فيمهلهم بإحسانه،

(١) انظر: الروايات في السلسلة الصحيحة (٤/٦٠٦ - ٦١١).



وإن لم يتوبوا، وماتوا وهم كذلك، حاسبهم بعدله، ولم يظلمهم مثقال ذرة، فأيّ إحسان أجل، وأكمل، وأرفع من إحسانه سبحانه؟.[1]

«فالعبد عليه أن يعترف بعدل الله تعالى وإحسانه، فإنه لا يظلم الناس شيئاً، فلا يعاقب أحداً إلا بذنبه، وهو يحسن إليهم، فكل نقمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل».[2]

(١) الجامع أسماء الله الحسنى وجلالها (٤٨٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٤٩).



١٧ ـ نفي (الغفلة) عن الله سبحانه

صفة سمعية خبرية، فطرية عقلية، ثابتة بالكتاب العزيز.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ (البقرة: ٧٤، ٨٥، ١٤٠، ١٤٩) (آل عمران: ٩٩).

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ﴾ (المؤمنون).

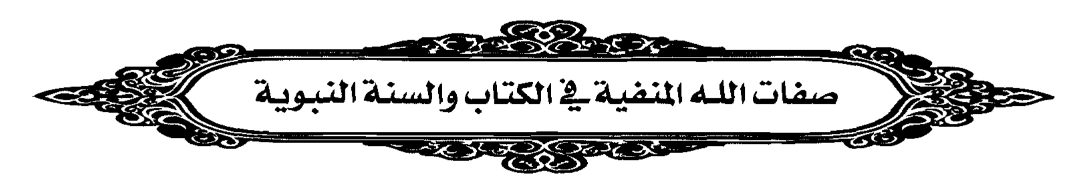
٣ ـ وقال عز شأنه: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ (المؤمنون).

المعنى في اللغة:

الغفلة: سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ، والتيقظ، يقال: غفل عنه غفولاً: تركه، وسهى عنه، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ (ق)، أي: كنت في الدنيا تاركاً للنظر والاعتبار لما غطى على عينيك من حب الشهوات، ومن الشبهات، قال سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ (الكهف).[1]

---

(١) عمدة الحفاظ (١٦٧ - ١٦٨)، والقاموس المحيط (٩٥٥).



المعنى في الشرع:

نفى الله تبارك وتعالى عن نفسه الغفلة، وهي: ترك الشيء على وجه السهو منه، والنسيان[1]، وجاء هذا النفي مفصلاً في كتاب ربنا الحكيم في سياق التهديد، والوعيد الشديد لعباده الكافرين، والغافلين عن آياته، وسننه القدرية، والشرعية، والكونية، «وأنه سبحانه ليس غافلاً عن أعمالهم، ولا ساهٍ عنها، بل هو لها محصٍ، حافظ لها كلها، صغيرها وكبيرها، وسيجازيهم عليها أتم الجزاء، وأوفاه، كلاً بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر»[2].

وهذه طريقة القرآن في ذكر العلم، والقدرة، عقب الآيات المتضمنة للأعمال التي يجازي عليها، فيفيد ذلك الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب...[3]

«كما في القراءة في قوله سبحانه: ﴿**وما الله بغافل عما تعملون**﴾ قرئ بالياء فهو: وعيد للكافرين، وبالتاء فهو: وعد للمؤمنين»[4].

وكما تقدم أن مجيء نفي الغفلة عن الله جل جلاله في القرآن، في سياق التهديد و«الوعيد الشديد للكافرين، والظالمين، وأنه جاء إضافة على ذلك: في تسلية المظلومين»[5].

(١) الطبري (٤٠٩/١).
(٢) ابن كثير (١٩٤/١، ٣٩٥)، والطبري (٤٠٩/١)، وابن السعدي (٤٧ ، ٣٨٥).
(٣) السعدي (٦٤).
(٤) تفسير القاسمي (٤٣٠/١).
(٥) السعدي (٤٢٧) بتصرف يسير.

١٧ـ نفي (الغفلة) عن الله سبحانه

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾، يعني: مشركي مكة: (وكل من كان على شاكلتهم). «أي: لا تحسبه إذا أنظرهم، وأمهلهم وأدر عليهم الأرزاق، وتركهم يتقلبون في البلاد، آمنين مطمئنين، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم، فإن الله يملي للظالم ويمهله، ليزداد إثماً، حتى إذا أخذه لم يفلته قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (هود)، والظلم هنا يشمل الظلم فيما بين العبد وربه، وظلمه لعباد الله...».[1]

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ (المؤمنون).

أي: فكما أن خلقنا عام لكل مخلوق، فعلمنا أيضاً محيط بما خلقنا، فلا نغفل مخلوقاً ولا ننساه، ولا نخلق خلقاً فنضيعه، ولا نغفل عن سماء فتقع على الأرض، ولا ننسى ذرة في لجج البحار، وجوانب الفلوات، وكثيراً ما يقرن تعالى بين خلقه، وعلمه، لأن خلق المخلوقات، من أقوى الأدلة العقلية، على علم خالقها، وحكمته.[2]

ومما تقدم من الأدلة يتبين: أن الله تعالى نفى عن نفسه هذه النقائص والعيوب، في هذه الأمثلة تهديد، ووعيد لهؤلاء الكفار،

---

(١) تفسير القاسمي (٦/٣٢٠)، وابن السعدي (٤٢٧).

(٢) السعدي (٥٤٩).

الذين يتوهمون في حق الله النقص، فيأتي هذا التهديد والوعيد منه - عز وجل - في سياق نفي النقص عنه الصادر من الذين قال فيهم: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ (الزمر: ٦٧)[١]، وكذلك في تسلية المؤمنين، والمظلومين، فجمع في نفي هذه الصفة: الترغيب، والترهيب. لتكميل عبودية أوليائه المؤمنين.

دلالة نفي (الغفلة) على صفات الله تعالى

نفى الله - عز وجل - هذه الصفة النقيصة في حقه، وهي: غفلته عن خلقه، لأنها تنافي كمال الله تعالى، من كل وجه، إذ هي كما تقدم: سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ، والتيقظ، وهذا يليق بالمخلوق الناقص، أما في حق الرب، الموصوف على الإطلاق، بكمال النعوت، والجلال، فإنه منزه عنه، «لكمال علمه، ومراقبته، وإحاطته بعباده»[٢]، وحفظه لعباده من كل وجه واعتبار، فكيف يغفل جل جلاله عنهم، وهو الذي كتب مقادير كل الخلائق قبل أن يخلق الأرض والسموات الطوابق، بخمسين ألف سنة كما في الصحيح.[٣]

يقول العلامة ابن السعدي رحمه الله: «كذلك ينزه عن الغفلة والنسيان بوجه من الوجوه، لأنه عالم الغيب والشهادة، وعلمه محيط

---

(١) النفي في باب صفات الله (٣٢١).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة (٢٧٩/١) (٢٤٧/١)، وشرح عقيدة أهل السنة (٢٤٠) لابن عثيمين.

(٣) صحيح مسلم (٢٠٤٤).



١٧ ـ نفي (الغفلة) عن الله سبحانه

لا يعرض له ما يعرض لعلم المخلوق من خفاء بعض المعلومات، أو نسيانها، والذهول عنها، قال تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ (طه).[١]

تضمن هذا النفي على عدة أسماء حسنى مشتقة من صفاته الكمال العلا، منها: (العليم) و(الحفيظ) و(الرقيب)، ومن الأسماء المضافة (عالم الغيب والشهادة)، ومن الأسماء المقيدة (المحيط): فهو تعالى أحاط بجميع خلقه، إحاطة كاملة، لا يهرب منهم أحد، ولا يندُّ عنهم أحد[٢]، الذي أحاط بكل شيء: خبرةً، وعلماً، ورحمةً، وقهراً، فهو سبحانه قد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات.[٣] فكيف يغفل عن شيء في الأرض أو السموات؟

---

(١) الحق الواضح (١٧ - ١٨).

(٢) اشتقاق أسماء الله (٦٧).

(٣) تفسير السعدي (١٧٩/٢).



١٨ ـ نفي (البخل، والغلول) عن الله سبحانه

صفة سمعية، عقلية، ثابتة بالكتاب الحكيم.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ (المائدة: ٦٤).

المعنى في اللغة:

البخل: إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه، ومنه: إمساك المال عن مستحقه، ويقابله الجود، والبخل ضربان: بخل بقنيات نفسه، وبخل بقنيات غيره، وهو أشد ذماً دل على ذلك.

قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ﴾ (النساء: ٣٧).[١]

والغل: أصل الغل: تدرع الشيء وتوسطه، والجمع: أغلال، والغل: كناية عن البخل، يقال: غلت يد فلان، وفلان مغلول اليد، كناية عن البخل، وقيل لليد مغلولة، أي: أنها ممسكة عن الإنفاق، فكأن فيها حديدة تمسكها.[٢]

---

(١) المفردات (١٠٩)، وعمدة الحفاظ (١/١٦٢).

(٢) عمدة الحفاظ (٣/١٧٠ - ١٧١)، ولسان العرب (١١/٥٠٤).



المعنى في الشرع:

نفى الله تبارك وتعالى كما في الآية المتقدمة تلك المقوله القبيحة من أكفر أهل الأرض (اليهود) في دعوتهم الجائرة بأن الله سبحانه بخيل لا ينفق على عباده، وضربوا بذلك المثل بأشنع وصف، فقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: كالمغلول يده، الذي لا يقدر أن يبسطها بعطاء، ولا بذل معروف، تعالى الله وتقدس عن قولهم علواً كبيراً.[1]

ولما كانت مقالة اليهود من أشنع وأسوأ المقالات، والتي لا يجوز بها وصف رب الأرض والسموات، لعنهم الله وجزاهم بجنس مقالتهم، أشد العقوبات، جزاءً وفاقاً، فقال سبحانه: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، أي: أمسكت أيديهم عن الخيرات، وقبضت عن الانبساط بالعطيات، ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾، أي: وأبعدوا عن رحمة الله وفضله، بسبب الذي قالوا من الكفر والكذب على الله تعالى.[2]

فعاقبهم الله جل جلاله بجنس ما ادعوه، فلا يُرى أبخل منهم في عالم الله سبحانه[3]، فصار هذا الوصف فيهم ملازماً لهم قديماً وحديثاً أنهم أبخل الناس، وأقلهم إحساناً، وأسوأهم ظناً بالله تعالى، وأبعدهم عن رحمة الله، التي وسعت كل شيء[4].

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/٦٣٩).

(٢) المصدر السابق بتصرف.

(٣) عمدة الحفاظ (٣/١٧١).

(٤) ابن كثير (٢/٧١)، والسعدي (٢٣٨)، وشرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (١/٢٩٥).

وقوله ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ ولم يقولوا: (يدا) بالألف، لأنهم يريدون أن ينقصوا صفة الله عز وجل في ذاتها، وفي تصرفاتها، وقوله: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وهذا خبر، وليس دعاء، لأنه صادر من عند الله تعالى، لأن الله يخبر ولا يدعو.

فأخبر أن أيديهم غلت أي: حبست عن الإنفاق[1]، ثم نزه الله تعالى نفسه العليّة عن ذلك الوصف الجائر، الذي لا يقبله فضلاء الخلائق، فكيف بالخالق سبحانه، فقال جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتعالت صفاته.

بقوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾: أي: بل يداه الكريمتان مبسوطتان بالبذل والعطاء، لا تنقص ولا تنفد من الخيرات في كل اللحظات، في الأرض والسموات.

«فلا حجر عليه تعالى، ولا مانع يمنعه مما أراد، فإنه تعالى قد بسط فضله، وإحسانه الديني، والدنيوي، وأمر العباد أن يتعرضوا لنفحات جوده، وأن لا يسدوا على أنفسهم أبواب إحسانه بمعاصيهم، فيداه سّحاء[2] الليل والنهار[3]، وخيره في جميع الأوقات مدرار، بل خيره يرتع فيه البر والفاجر[4]، والمؤمن

(١) تفسير سورة المائدة ابن عثيمين (٣١٠/٤).

(٢) أي: كثيرة العطاء تصب الخير صباً.

(٣) كما في الحديث: (يدا الله ملأى لا يغيضها نفقة أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده) وفي لفظ (ما في يمينه) البخاري (٤٦٨٤) (٧٤١١) ومسلم (٩٩٣).

(٤) تفسير السعدي (٢٣٨).

والكافر، كما قال تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (الإسراء).

وقوله سبحانه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: ﴿بَلْ﴾ هنا للإضراب الإبطالي، وقوله: ﴿يَدَاهُ﴾، ولم يقل (يده)، لأن له يدين اثنين[1] سبحانه، ويداه تعالى من صفات الذات، اللتان تليقان بكماله، وجلاله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (الشورى).

دلالة نفي (البخل، والغلول) على صفات الله تعالى

نفى الله جل جلاله عن نفسه هذا الوصف القبيح لكمال غناه عز وجل، وكمال كرمه، وجوده، وإحسانه، وفضله، وإنعامه على جميع عباده مؤمنهم، وكافرهم، بل على سائر مخلوقاته.[2]

وتضمن هذا النفي على إثبات صفة الكمال الذاتية: (اليدان) المبسوطتان بالنعم، والآلاء، والخيرات، في كل الأوقات، فتضمن هذا النفي على عدة أسماء حسان، تقابل ما ذكر بحقه تعالى من النكران، وهي: (الكريم، الأكرم) و(الغني)، و(الجواد)، و(المحسن)، وعلى صفات فعلية: (الفضل)، و(الإنعام).

فهو تعالى: (الكريم، الأكرم): «الذي لا أكرم منه على الإطلاق، فلا يوازيه كريم، ولا يعادله فيه نظير، العظيم النفع، الدائم الخير بلا

---

(١) تفسير سورة المائدة (٣١١/٤).
(٢) باب النفي في صفات الله (٣٢٦).

انقطاع، ولا انتهاء، يبدأ بالنعمة قبل الاستحقاق، ويعطي ما زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالي من أعطى، وكم أعطى».[1]

وهو عز شأنه: (الجواد): الذي عمَّ جوده جميع الكائنات، من أهل الأرض والسموات، فكل نعمة من جوده، فلا يخلو موجود في هذا الوجود من جوده سبحانه، فمن جلال جوده وكماله «أن محبته للجود والعطاء، والإحسان، فوق ما يخطر على البال، أو يدور في الخيال، أو في الأوهام، وأحب ما إليه أن يجود على عباده، ويوسعهم فضلاً، ويغمرهم إحساناً وجوداً».[2]

فكيف يبخل سبحانه عن خلقه، وكيف تغل يداه الكريمتان، وهو الذي أوجب على نفسه تفضلاً، وتكرماً، العطايا، والهبايا، دون إلزام من الخلق، أو استحقاق من أحد؟

قال سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾ (هود).

(١) اشتقاق أسماء الله للزجاجي (١٧٦)، ومفتاح دار السعادة (٢/٢٤١)، وتفسير السعدي (٤٦٣) والأسنى (١/١٢١).

(٢) مدارج السالكين (١/٢١١).



١٩ ـ نفي (الرزق) عن الله سبحانه

من الصفات الشرعية، السمعية، والفطرية الثابتة بالقرآن الكريم.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ (الذاريات).

المعنى في اللغة:

الرزق: العطاء، ويقال للعطاء الجاري تارة، ويكون دنيوياً، وآخروياً، وتارة على النصيب، كقوله تعالى: ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ (النحل: ٧٥).

ويطلق على كل خير وصل إلى صاحبه، فالرزق نوعان: ظاهر للأبدان: كالأقوات، وباطن: للقلوب والنفوس: كالمعارف والعلوم.[1]

المعنى في الشرع:

نفى الله تبارك وتعالى عن نفسه الاحتياج إلى أحد من الخلائق، بأي شيء من الأشياء، كما يحتاج بعضهم إلى بعض، وضمنه ذلك في آيات من كتابه، كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

(١) المفردات (٣٥٧)، وعمدة الحفاظ (٢/٨٧).

﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ (الذاريات).

فأخبر سبحانه في هذه الآيات أنه لم يخلق الجن والإنس لحاجة منه إليهم، ولا ليربح عليهم، ولكن خلقهم جوداً، (وتفضلاً)، وإحساناً، ليعبدوه وحده، فيربحوا هم عليه كل الأرباح[1]، والمنافع الدنيوية، والدينية، والتي تعود عليهم بالسعادة والفلاح في الدنيا، وفي الدار الأخروية، كما قال تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ (الإسراء: ٧) وقال سبحانه: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ (فصلت) وقال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (الروم).

ودلل سبحانه على ذلك بقوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾: فنفى عن نفسه الانتفاع بأي نوع من أنواعه، وذكر فرداً من أفراده وهو (الإطعام) لأنه لا غنى عن الانتفاع به أحدٌ من خلقه، فالله تعالى هو رزاق العالمين، فالكل إليه فقير محتاج، ملهوف إليه في كل حال وحين.

ثم أكد تعالى بأنه هو النافع لكل الخلائق بـ (إنّ) الثقيلة، وضمير الفصل (هو) اللذين يفيدان التأكيد، والاختصاص، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ

---

(١) طريق الهجرتين (٣٣٥).

ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾، أي: كثير الرزق، فـ (الرزّاق): من صيغ المبالغة على وزن (فعّال)، فما من دابة في الأرض ولا في السماء إلا على الله رزقها.

ثم قرن اسمه الكريم (الرزّاق) بـ ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾، «أي: أن من كمال قوته وقدرته أنه تكفل بإيصال رزقه إلى جميع العالمين»[1] في كل وقت وحين، فلا يستطيع أحد أن يرد رزقه سبحانه إلى من شاء من المخلوقين. لأنه قوي: تام القوة المطلقة التي لا تتخلف في أي حال، ولا لحظة، فهو المتين: الذي لا تنقطع قوته، ولا يلحقه في أفعاله مشقة، ولا تعب، ولا كلفة.[2]

دلالة نفي (الرزق) على صفات الله تعالى

نفى الله تبارك وتعالى عن نفس كل أنواع الانتفاع بكل أجناسه وأفراده كحاجته للطعام، أو الإطعام، لكمال غناه تعالى، وصمديته، فإن من معاني الصمد: الذي لا جوف له فلا يأكل ولا يشرب[3]، وتضمن هذا النفي كذلك:

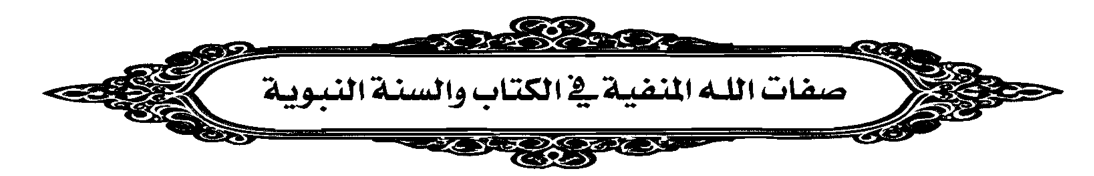
كمال العزة، فإن من معاني اسمه العزيز: المنيع أي: أنه: لن يبلغ العباد نفعه فينفعونه، أو ضره فيضرونه، كما في الحديث القدسي:

---

(١) انظر: السعدي (١١٠/٥)، ونظم الدرر للبقاعي (٦١٩/٦).

(٢) انظر: (الوسيط) أسماء الله الحسنى جلالها (١١٥، ١١٩).

(٣) تفسير الطبري (٢٢٢/٣٠)، والبغوي (٣٢١/٧)، وابن كثير (٥٧/٤)، ومجموع الفتاوى (٢٢٦/١٧)، والصواعق المرسلة (١٠٢٤/٣).



«يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني».[1]

وكذلك نفى الكبرياء، فإن من أسمائه تعالى (المتكبر):

وأصل كلمة (الكبر): الامتناع، وقلة الانقياد[2] فهو تعالى المنيع المتكبر عن كل صفات النقائص، والتي يتصف بها الحوادث، من الأكل، والشرب، وغيرها.

---

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (١٥٣/٥)، واللسان (٣٨٠٧/٥) وتفسير القرطبي (٣١/١٨) والأسنى (٤٦٦).



٢٠ ـ نفي (الاستحياء من الحق) عن الله سبحانه

صفة خبرية سمعية ثابتة بالكتاب والسنة.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة: ٢٦).

٢ ـ وقال عز شأنه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (الأحزاب: ٥٣).

السنة النبوية:

١ ـ حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أم سُليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم إذا رأت الماء**».[1]

المعنى في اللغة:

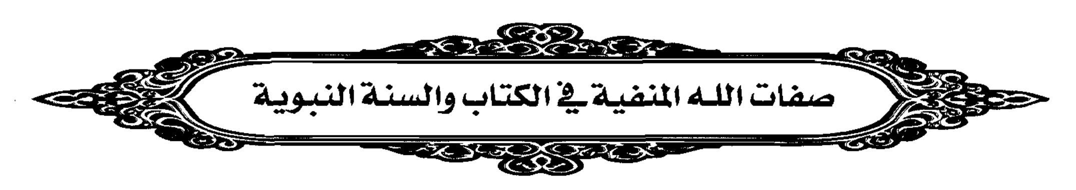
الحياء والاستحياء: ضد الوقاحة، والحياء عند المخلوق هو: انقباض النفس عن القبائح وتركه لذلك.[2] والحيي: اسم من أسماء الله الحسنى، «على وزن فعيل من الحياء، أي: كثير الحياء»[3]. سبحانه، على ما يليق بجلاله، وعلو شأنه وعظمته.

---

(١) مسلم (٣١٠).

(٢) المفردات (٢٦٨ - ٢٧١)، ومعجم مقاييس اللغة (١٢٢/٢).

(٣) تحفة الأحوذي (٥٤٤/٩).



المعنى في الشرع:

صفة الحياء من الصفات التي اجتمع فيها نوع من الصفات الثبوتية، وهي الفعلية، كما جاءت بالسنة المطهرة كما سيأتي، وجاءت كذلك من الصفات المنفية، أما في الكتاب الحكيم: فقد جاءت بالنفي فقط فهي «من الصفات المتضمنة نقصاً في حال، وكمالاً في حال، والتي جاء نفي حال النقص منها في القرآن الكريم، وذلك في موضعين»[1] وهو عدم الاستحياء من الحق، لأن الاستحياء من الحق نقص تنزه عنه سبحانه، والله موصوف بالكمال في كل الأحوال، كما في قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ (الأحزاب: ٥٣). وقال عز شأنه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ (البقرة: ٢٦).

والمعنى: أن الله تعالى لا يستنكف، ولا يمتنع من ذكر بيان الحق، من ذلك: أن يضرب أي مثل كان، وإن قل، لأن الأمثال التي يضربها للناس فيها من العبر، والمصالح، والمنافع العظيمة، التي ينتفع بها الخليقة، فقد ضرب الله تعالى مثلاً بالعنكبوت، ومثلاً بالذباب، وهنا ﴿بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾[2]، فالله تعالى لا يستحي من ذلك، لأنه حق، ولهذا فهو سبحانه لا يستحي من الحق.

فلما كان الاستحياء من الحق موجباً للامتناع من ذكره، وترك الحق

---

(١) النفي في باب صفات الله (٣٣٣).

(٢) انظر: تفسير السمعاني (١/٦١)، وابن كثير (١/١٠٨).

خشية الناس، نفاه الله عز وجل عن نفسه، لأن ترك الحق نقص يتنزه الله تعالى عنه[١]، مع أن الحياء صفة فعلية كمالية تليق بالله عز وجل، ثبتت في سنة النبي ﷺ، كما في قوله: «**إن ربكم تبارك وتعالى حييّ كريم يستحي من عبده إذ رفع يديه إليه أن يردهما صفراً خائبتين**».[٢]

وكما في الحديث: «... **وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه**».[٣]

ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (الأحزاب) لأن الحياء من الحق معناه: ترك الحق، أو يستلزم ترك الحق، والجور، وعدم الحزن، والله سبحانه لا يستحي أن يبين الحق، ويأمر بما فيه خير للمؤمنين، من الأحكام الشرعية.

ودل منطوق الآية ﴿لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أن مفهومها: يستحي من غير الحق، ففي القرآن ثبت الحياء مفهوماً، وفي السنة منطوقاً، فالاستحياء المنفي: هو منفي عن الحق، وضده الباطل، كما جاء مصرحاً به في السنة الثابتة منطوقاً.

وإن الله تعالى من كماله أن يستحي عن الأشياء التي لا تليق، ومن كماله تعالى كذلك أن لا يستحي من الحق[٤]، فيبينه غاية البيان والصواب للعباد، لما فيه من المنافع العظيمة في معاشهم، ومعادهم.

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) صحيح الترمذي (٣٥٥٦).

(٣) البخاري (٦٦)، ومسلم (٥٦٤٦).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة (١/ ٩٦ - ٩٨)، وسورة الأحزاب (٧/ ٥٢٦)، وأحكام من القرآن (١/ ١٤٠)، وشرح صحيح البخاري (١/ ٤٦١) لابن عثيمين.

دلالة نفي (الاستحياء من الحق) على صفات الله تعالى

تقدم بيانه أن الله تعالى موصوف بالصفة الفعلية الكمالية الحياء، وأنه نفى عن نفسه، وعلى لسان رسوله ﷺ حال النقص في هذه الصفة، إذ أن الاستحياء من الحق نقص تنزه الله تعالى عنه، والمعنى المنفي في ذلك: أن الله لا يستنكف ولا يمتتع من ذكر الحق، وضرب المثل، فهذا هو المعنى الذي يقتضي نقصاً فوجب نفيه عن الله تعالى، (ولما كان) الله تعالى منزهاً عن كل نقص وعيب، وجب تنزيهه سبحانه أن يلحقه نقص أو عيب، في كل صفة اتصف بها.[١]

فدل نفي الله تعالى الاستحياء من الحق على كمال حياء الله تعالى، وحكمته، وعدله، وأحقيته، وتمام بيانه، فهو تعالى (الحييّ) الموصوف بكمال الحياء، الذي ليس له شبيه ولا مثيل، ليس كحياء المخلوقين، الذي هو تغير وانكسار.

أما حياء الرب فذاك نوع آخر، لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم، وبر، وجود وجلال[٢]، فمن كماله: أنه لا يستحي أن يبين الحق ويأمر به المؤمنين، «بضرب أي مثل كان، بأي شيء كان صغيراً كان أو كبيراً»[٣].

هذا بخلاف حياء المخلوقين الذي يمنع حياؤهم بيان وإظهار الحق،

---

(١) النفي في باب صفات الله (٣٣٣، ٤٠٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/٢٥٩)، وشرح النونية للهراس (٢/٨٠).

(٣) تفسير ابن كثير (١/١٠٨).

وترك الباطل، والنهي عن اجتنابه. وبالجملة: قد يمنع حياؤهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يعتريهم من انقباض من خوف، ووجل، وانكسار، وهوان.

ودل هذا النفي على تمام بيانه، فهو تعالى (المبين): لعباده الحق، بإبانته لهم بالأدلة السمعية الشرعية، والعقلية الفطرية، إما قولاً، وإما فعلاً، فهو تعالى المبين للعباد سبل الهدى والرشاد من الأعمال، والتكاليف الشرعية، الموجبة لثوابه، والأعمال الموجبة لعقابه، فهو سبحانه يضرب الأمثال، وينوع الأدلة والبراهين[1] تبياناً، وهدى، وتذكرة للعالمين.

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١٤٣)، وشأن الدعاء (١٠٢)، واشتقاق اسماء الله (١٨١)، وطريق الهجرتين (٢٥٠).

٢١ ـ نفي (رؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا بالأبصار)

صفة سمعية نقلية ثابتة بالكتاب والسنة، وهذه أول صفة منفية انفردت الأدلة الشرعية بإثباتها «وإن كانت رؤية الله تعالى في الدنيا يقظة ممكنة عقلاً، وإن لم تتحقق وقوعاً».(١)

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال الله عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ (الأعراف: ١٤٣).

السنة النبوية:

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «... **واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت**».(٢)

المعنى في اللغة:

الرؤية: رأى: عينه همزة، ولامه ياء، لقولهم: رؤية والرؤية: إدراك المرئي، وذلك أضرب بحسب قوى النفس: **والأول**: بالحاسة وما يجري مجراها، نحو ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧﴾ (التكاثر).

---

(١) الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات الإلهية د. شمس الدين الأفغاني (٢/٤٢٣).

(٢) مسلم (١٦٩).

والثاني: بالوهم، والتخيل، والثالث: بالتفكر، والرابع: بالعقل[١] والمعنى الأول هو المقصود في مادة بحثنا.

المعنى في الشرع:

ثبت بالكتاب والسنة نفي رؤية الله تبارك وتعالى في الدنيا بالأبصار، وهي ما تسمى بالرؤية البصرية في حال اليقظة، وقد انعقد الإجماع على عدم وقوعها ألبتة، في هذه الدار، وقد نص على ذلك غير واحد من أهل العلم، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في معرض رده على من ادعى خلاف ذلك.

قال: «وكل حديث فيه، أن محمداً ﷺ رأى ربه بعينه في الأرض، فهو كذب باتفاق المسلمين وعلمائهم، هذا شيء لم يقله أحد من علماء المسلمين، ولا رواه أحد منهم» ثم ذكر - رحمه الله - الحديث الذي تقدم «**اعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت**».[٢] وقال في موضع آخر: أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة، وأجمعوا على أنه لا يرونه في الدنيا بأبصارهم».[٣]

وهذا لا يخالف رؤية النبي ﷺ ربه في المنام، كما جاء «**رأيت ربي في أحسن صورة...**»[٤] فهذه رؤية منامية لا بصرية في حال اليقظة، فلها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، مما لا يخفى على كل ذي لب.[٥]

(١) المفردات (٣٧٣ - ٧٣٤).

(٢) المجموع (٣/٣٨٦)، و(٢/٢٣٠).

(٣) المصدر السابق (٦/٥١٢).

(٤) صحيح الترمذي (٣٢٣٥).

(٥) الصحيح أن النبي ﷺ لم ير ربه ببصره، وإنما رآه بفؤاده، ولم يثبت عن أحد من الصحابة

بل ونقل الإجماع كذلك غير واحد من أهل العلم بجواز رؤية الله تعالى في المنام متنوعة، على قدر إيمانه، ويقينه، لكن لا يجب أن يكون مماثلاً، ولكن لابد أن تكون الصفة التي رآه فيها مناسبة مشابهة لاعتقاده في ربه، وممن حكى الإجماع في ذلك ابن تيمية[1]، والقاضي عياض[2] وأبو يعلى[3] وغيرهم.[4]

دلالة (نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في الدنيا) على صفات الله تعالى:

تضمن هذا النفي كمال عظمة الله تعالى، وكبرياءه، وجلاله، ويدل كذلك على كمال لطفه، ورأفته بعباده، وحكمته، لأنه لا يستطيع أحد أن يقوى على رؤيته في هذه الدار، ولهذا ساخ الجبل وهو على عظمته وصلابته وهو من أعظم الجمادات، حينما أخرج سبحانه (طرف أنملة أصبعه) كما يليق بجلاله، وعظمته، وكماله، كما صح في ذلك عن الصادق المصدوق ﷺ[5]، فكيف يقوى من دونه من الخلق؟

القول بالرؤية البصرية، بل قد نقل الدارمي - رحمه الله - إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج رد الدارمي على الجهمية (٣٠٥)، انظر تفصيل المسألة في: مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية (١/١١٢)، ومجموع الفتاوى (٣/٦٤٧) (٦/٥٠٧)، وشرح الطحاوية (٢٢٦).

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/٧٣)، ومجموع الفتاوى (٣/٣٩٠).

(٢) كما نقل عنه النووي في شرح صحيح مسلم (٣/٢٠).

(٣) إبطال التأويلات (١/١٢٨).

(٤) انظر بتوسع: «المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع» (٥١١ - ٥١٤).

(٥) رواه ابن العاصم في السنة (١/٢١٠)، وصححه الألباني (٤٨٠ - ٤٨١)، وفي صحيح الترمذي (٣٠٧٤).



٢٢ ـ نفي (أن يُظْلم) سبحانه

تقدم بيان نفي ظلم الله تعالى على العباد، وهنا بيان نفي وقوع الظلم عليه سبحانه، وهي صفة منفية سمعية، وعقلية، تفرد القرآن بها.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٥٧﴾ (البقرة).

المعنى في اللغة:

تقدم معنى الظلم[١]، وهو وضع الشيء في غير محله وموضعه.

المعنى في الشرع:

جاء هذا النفي في سياق إخباره تعالى عن بني اسرائيل في تذكيرهم بنعم الله تعالى وآلاءه عليهم الكثيرة، والتي منها: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ﴾ (البقرة).

«ثم أمرهم أمراً بإباحة وإرشاد، وامتنان»[٢]، يعني: أننا أبحنا لكم هذا الذي أنزلنا عليكم من الطيبات من المن والسلوى وغيرها، يأتيهم بدون تعب ولا مشقة.

---

(١) عند الصفة المنفية رقم (١٦) نفي الظلم.

(٢) تفسير ابن كثير (١/١٥١).

فلم يشكروا هذه النعم، واستمروا على قساوة القلوب، وكثرة الذنوب، فخالفوا ما أمرناهم به، وعصوا ربهم، ثم عصوا رسولنا إليهم.

وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾، «أي: وما بخسوا حقنا».[١]

فهي جملة منفية تدل على أن ما وقع منهم من تلك القبائح، لم يصل إلينا بذلك نقص، ولا ضرر، بل وبال ذلك راجع إلى أنفسهم، ومختص بهم، لا يصل إلينا منه شيء»[٢].

يقول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله: «ويعني بقوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾، أي: وما وضعوا فعلهم ذلك (أي: بتلك الأفعال القبيحة من) عصيانهم إيَّانا، موضع مضرة علينا، ومنقصة لنا، ولكنهم وضعوه من أنفسهم موضع مضرة عليها، ومنقصة لها».[٣]

«فنحن أعز من أن نُظلم».[٤]

وكذلك ربنا جل ذكره، لا تضره معصية عاص، ولا يتحيف خزائنه ظلم ظالم، ولا تنفعه طاعة مطيع، ولا يزيد في ملكه عدل عادل، بل نفسه يظلم الظالم، وحظَّها يبخس العاصي، وإيَّاها ينفع المطيع، وحظها يصيب العادل.[٥]

---

(١) تفسير حسن صديق خان (١٢٨/١).

(٢) تفسير البحر المحيط (٣٤٨/١).

(٣) التفسير (٢١٧/١).

(٤) تفسير الشوكاني (٧٢).

(٥) تفسير الطبري (٢١٧/١).

ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾، أي: يعود الضرر، والنقص عليهم وحدهم، جزاء وفاقاً من الله تعالى الحق، العدل الحكم، بما كسبت أيديهم: «ولهذا قدم (أنفسهم) مفعول مقدم لـ(يظلمون) لإفادة الحصر، أي: لا يظلمون بهذا إلا أنفسهم، أما الله تبارك فإنهم لا يظلمونه، لأنه سبحانه وبحمده لا يتضرر بمعصيتهم، كما لا ينتفع بطاعتهم».[1]

دلالة نفي (أن يُظْلم) على صفات الله تعالى

تضمن نفي وقوع الظُلم من أحد على الله تبارك وتعالى على كمال عزته، وغناه، وجبروته، وكبرياؤه، وقهره، فكيف يُظلم ربنا من أحد من الخلق، وهو تعالى (العزيز): «الذي ذل لعزته كل عزيز، وهو الذي له عزة الامتناع عن مغالبة أحد، وعن أن يقدر عليه أحد، أو يبلغ العباد ضره فيضروه، أو نفعه فينفعوه، وامتناعه وتكبره عن جميع ما لا يليق بعظمته وجلاله، من العيوب والنقائص، وعن كل ما ينافي كماله».[2]

وهو (الجبار): الذي لا تناله الأيدي، ولا يجري في ملكه غير ما أراد، فهو سبحانه الذي لا يوصل إلى حماه، ولا يمكن إدخال عليه شيء من الإكراه، لأنه تعالى العالي فوق خلقه، الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وعلى السلطان، وأنواع التصاريف استولى.[3]

(١) تفسير سورة البقرة (١/١٩٦) لابن عثيمين.

(٢) انظر: فتح الرحيم (١٧).

(٣) المصدر السابق (١٨) بتصرف.

فهو تعالى (القاهر القهار): الذي قهر خلقه بسلطانه، وقدرته، وصرفهم على ما أراد طوعاً أو كرهاً، فخضعت له الرقاب، وعنت له الوجوه، ودانت له كل الخلائق، وعلا عليهم بعلو الذات، وعلو القهر، وعلو المكانة، والقدر[1].

فكيف يقع عليه ظلم من عباده. وهذه أوصاف الجلال العلا، التي لا يقدر أحد من الخلائق على الإحاطة بواحدة منها، فكيف بها كلها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٤٠)، وتفسير الأسماء (٣٨).

٢٣ ـ نفي (تضييع شيء من الأشياء) عن الله سبحانه

صفة نقلية سمعية، وعقلية فطرية، ثبتت بالكتاب الحكيم، وسنة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ (البقرة).

٢ ـ وقال عز شأنه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾ (الأعراف).

٣ ـ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠﴾ (التوبة).

٤ ـ وقال عز شأنه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾ (آل عمران).

٥ ـ وقال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾ (الكهف).

السنة النبوية:

١ ـ حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – في قصة إبراهيم – عليه السلام – مع زوجه هاجر عندما تركها في مكة بأمر من

الله عز وجل، وفيه قال: «فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يُضيعنا ثم رجعت» إلى أن قال: «فشربت، أي: من زمزم، وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة، فإن هاهنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيّع أهله».(١)

٢ ـ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ودَّعني رسول الله ﷺ فقال: «**أستودعك الله الذي لا يُضيعُ ودائعه**».(٢)

وفي لفظ: «... **الذي لا تضيع ودائعه**».(٣)

المعنى في اللغة:

يضيع: يقال: ضاع الشيء يضيع ضياعاً: إذا فقد، وهلك، وتلف الشيء، ولم يُعلم موضعه، واستعمل في الإبطال كالإضلال، فيقال: أضاع عمله وضيَّعه.(٤)

---

(١) البخاري (٣٣٦٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٩٢٣٠)، وقال محققه: صحيح لغيره (١٥/١٢٦).

(٣) صحيح ابن ماجه (٢٨٢٥)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٥٤٧).

(٤) عمدة الحفاظ (٢/٣٩٠)، والقاموس المحيط (٧٨٧).



المعنى في الشرع:

نفى الله تبارك وتعالى عن نفسه الجليلة أن يضيع شيئاً كائناً ما كان، مهما دقَّ، وجلَّ، مما يجب حفظه، ومن ذلك أجور العباد على أعمالهم التي عملوها، كما في آية سورة البقرة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ (البقرة).

والمقصود من (الإيمان) هنا: الصلاة، التي صلاها المؤمنون إلى المسجد الأقصى، وقد مات من مات منهم قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة، والمقصود: أنه أشفق أناس على أعمال إخوانهم الذين ماتوا قبل أن تحول القبلة، فأنزل الله هذه الآية.[1]

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ﴾ «بالقبلة الأولى، وتصديقكم نبيكم واتباعه إلى القبلة الأخرى، أي: ليعطينكم أجرهما جميعاً».[2]

وللعلامة ابن السعدي - رحمه الله - كلاماً جامعاً في تفسير هذه الآية الكريمة: يقول: «أي: ما ينبغي له ولا يليق به تعالى، بل هو من الممتنعات عليه، فأخبر أنه ممتنع عليه ومستحيل، أن يضيع إيمانكم، وفي هذا بشارة عظيمة لمن منَّ الله عليهم بالإسلام والإيمان، بأن الله سيحفظ عليهم إيمانهم، فلا يضيعه، وحفظه نوعان:

---

(١) البخاري (٤٤٨٦)، ومسلم (٥٢٥).

(٢) التفسير الصحيح (١/٢٥٤).

حفظ عن الضياع والبطلان، بعصمته لهم، عن كل مفسد ومزيد له، ومنقص من المحن المعلقة، والأهواء الصادَّه، وحفظ تنميته لهم، وتوفيقهم لما يزداد به إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فكما ابتدأكم بأن هداكم للإيمان، فسيحفظه لكم، ويتم نعمته بتنميته أجره وثوابه، وحفظه من كل مكدر».[1]

وفي حديث هاجر في قصة ترك إبراهيم - عليه السلام - لها ولابنها يدل دلالة جلية على حسن ظنها بالله تبارك وتعالى، فعاملها الله سبحانه على حسب ظنها به، وكذلك في بشارة الملك في قوله: «لا تخافي الضيِّعة....».

دلالة نفي (تضييع شيء من الأشياء) على صفات الله تعالى

تضمنت صفة النقص التي يتنزه عنها ربنا جل جلاله وهي: تضييع شيء من الأشياء، سواء كان من أعمال العباد، أو حفظ ما استودعه سبحانه في مكنوناته في الأرض والسماء، على كمال: علم الله تعالى، وعلى كمال هيمنته، وعلى سعة رقابته، وحفظه، وعلى تمام عدله، وحكمته، وصدقه.

فدلالته على كمال العلم: وهو نقيض الجهل، والغفلة، فالناسي والغافل، والجاهل هو الذي يضيع ما يجب عليه من حفظه، وصونه، ورعايته، والله تعالى يتنزه عن كل ذلك، وهذا يتضمن كمال ما يقابل هذا النقص، وهو: كمال العلم، وسعته، وشموله، وتمامه.

(١) التفسير (٧١).

وعلى كمال الهيمنة: لأنه تعالى هو «الأمين، الذي لا يضيع أعمال العباد، فكأنه سبحانه أعمال العباد في أمانة».[(١)]

لأنه عز شأنه لا ينقص المطيعين يوم الدين شيئاً، ولا يزيد على العاصين مما اجترحوا من السيئات شيئاً، لأنه تعالى لا يجوز عليه الظلم، والكذب.[(٢)]

وكذلك على سعة الرقابة: لأنه تعالى هو: الحارس الحافظ، الموكل بحفظ الشيء، المتحرز عن الغفلة فيه، فلا يغيب عنه شيء.[(٣)]

والله تعالى أحق بهذا الوصف من كل أحد، فهو سبحانه الرقيب على ما دار في الخواطر، المطلع على ما في الضمائر، الشاهد على أكنة السرائر، ولحظته العيون، فهو سبحانه لا يغفل عما خلق، فلا يلحقه نقص، أو يدخل عليه خلل من قبل غفلته عنه.[(٤)]

فيضيعه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وعلى **الحفظ**: وهو نقيض النسيان، والتعاهد، والصون[(٥)] والحفظ منافٍ للتضييع، والإهمال، والله تبارك وتعالى هو: الحفيظ: الموثوق منه بترك التضييع.[(٦)] لأنه سبحانه لا يعزب عن حفظه الأشياء كلها، من

(١) تفسير السمعاني (٥/٤٠٩).

(٢) انظر: المنهاج للحليمي (١/٢٠٢)، والأسماء والصفات للبيهقي (١/٦٦).

(٣) انظر معجم مقاييس اللغة (٢/٤٢٧)، واللسان (٥/٢٩٧).

(٤) انظر: تفسير السعدي (٥/٦٢٥)، والكافية الشافية (١٢٢).

(٥) المفردات (٢٤٤)، واللسان (٢/٩٢٩).

(٦) اشتقاق أسماء الله (١٤٦).

مثقال ذرة في الأرض، ولا في السموات العلا، ومن ذلك: أعمال العباد كلها، ظاهرها وباطنها، سرها وعلانيتها، فأنى يضيِّع شيئاً وهو سبحانه موكول بحفظه، وعنايته، وتعاهده؟

وعلى تمام العدل: وهو القسط نقيض الجور، والظلم، فهو تعالى العدل الذي لا يجور أبداً، فمن كمال عدله أنه لا يضيع حقوق العباد، ومن ذلك: «أنه يجازي أعمالهم بالعدل، فلا يهضم أحداً من حسناته، ولا يزيد أحداً في سيئاته، أو يعذبهم بغير جرم اجترحوه».(١)

فعدله الذي وسع كل الخليقة برهم، وفاجرهم، مؤمنهم، وكافرهم، حتى الحيوانات، والبهائم، منزه عن خلافه سبحانه.

وعلى كمال الحكمة، لأن الحكمة وضع الشيء في أحسن وأكمل مواضعه اللائق به.

وربنا جل جلاله كذلك، ولذا فإن حكمته سبحانه تنافي أن يضيع شيئاً مما استودعه في الأرض والسموات، لأن التضييع ينافي وضع الشيء في محله المناسب له.

وعلى الصدق: الصدق نقيض الكذب، وهو مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً، ومتى انخرط شرطاً من ذلك، لم يكن صدقاً تاماً.(٢)

---

(١) فتح الرحيم الملك (٣٣).

(٢) المفردات: (٤٧٨).



والصدق: بفتح الصاد الكامل من كل شيء، وهو الجامع للأوصاف المحمودة.[١]

وربنا جل جلاله هو الصادق الذي لا أصدق منه: قولاً، وحديثاً، وإخباراً، وعداً، ووعيداً.

فهو الصادق في كل ذلك سبحانه، مطابق لما هو عليه، منزه عن خلافه، ومن ذلك: أنه سبحانه أخبر بوعد صادق لا يتخلف أنه: لا يضيع على عبده مثقال ذرة من عمل، بل سيجد ثواب ما أخبر به عنده بأعظم، وأحسن، مما أُعلم، أضعافاً مضاعفة من الأجر الكبير، والثواب الجزيل.

---

(١) اللسان (٣/٣٣٩).



٢٤ ـ نفي (الإطعام) عن الله سبحانه

صفة شرعية سمعية، خبرية، ثابتة بالكتاب المبين.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ (الأنعام: ١٤).

٢ ـ وقال جل جلاله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ (الذاريات).

المعنى في اللغة:

الطعم: تناول الغذاء، ويسمى ما يُتناول منه طُعْمٌ، وطعام، قال تعالى: ﴿وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ (المائدة: ٩٦).[1]

المعنى في الشرع:

نفى الله تبارك وتعالى أن يكون محتاجاً إلى الطعام، والإطعام، كما قال جل جلاله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ وقد تقدم في الصفة المنفية رقم (١٩) نفي عن الله عز وجل الرزق من أحد من العباد، فهناك يشمل

(١) المفردات (٥١٩).

النفي كل ما ينتفع به من احتياج من المأكل، أو المشرب، أو الملبس، أو المسكن وغير ذلك مما لا تعد أفراده، وهنا نفى الله تعالى عن نفسه فرداً ونوعاً واحداً، وهو: عدم الاحتياج إلى الطعام.

وورد هذا النفي في سياق الاحتجاج على المشركين وإفحامهم بالحجة الباهرة، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ (الأنعام)، أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾: من هؤلاء المخلوقات العاجزة، يتولاني وينصرني؟!».[1]

ثم ذكر سبحانه الدليل على نفي اتخاذ الولي من دونه أنه: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. أي: خالقهما ومدبرهما، ثم ذكر دليلاً آخر لاستحقاقه في الولاية الكاملة من كل وجه ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ﴾: «أي: وهو الرزاق لجميع الخلق، عن غير حاجة منه تعالى إليهم، فكيف يليق أن أتخذ ولياً غير الخالق، الرازق، الغني، الحميد؟!!».[2]

ففي هذه الآية: يتضمن إثباتاً وتنزيهاً، حيث أثبت سبحانه أنه هو الذي يُطعم، أي: يرزق خلقه ما يحتاجونه من الطعام، ونزه تعالى نفسه عن الحاجة إلى الطعام.[3]

(١) السعدي (٢٥٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) التسبيح في الكتاب والسنة (٢/١٤٤).

دلالة نفي (الإطعام) على صفات الله تعالى:

دلَّ نفي صفة النقص، وهي: احتياجه سبحانه إلى الطعام، من أحد من الأنام، على كمال: صمديته، ورزقه، وإقاتته، وغناه، وتمام عزته، ومنعته التي لا ترام، وولايته لكل شيء على الدوام.

فهو تعالى: (الصمد): الذي لا يأكل، ولا يشرب، فهو يُطعِم، ولا يُطْعَم، المصمود في الحوائج، والنوازل، والنوائب، فكيف يُطعم سبحانه في أي حال؟

فهو سبحانه: «المقيت»: المقتدر، الذي خلق الأقوات، وتكفل بإيصالها إلى كل الخلائق، في الأرض والسموات الطوابق، وهو حفيظ عليها، فيعطي كل مخلوق قوته، ورزقه على ما حدده سبحانه من زمان، أو مكان، أو كم، أو كيف، بمقتضى مشيئته المقترنة بحكمته.[1]

وهو تعالى: (الرَّازق، الرزَّاق): لكل الخلق أجمعين، المتكفل بالرزق لكل العالمين، القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، واحتياجها في معاشها، في كل وقت وحين.[2]

وهو تعالى: (الولي، المولى): الذي له الولاية العامة لكل الخلائق، المالك للأشياء، والمتولي عليها كلها، يصرفها كيف يشاء، وينفذ فيها أمره متى شاء، ويجري عليه حكمه[3]، في الأرض والسماء، وهذه هي الولاية

(١) انظر: «الجامع» أسماء الله الحسنى، جلالها ولطائف اقترانها (٣١٩).

(٢) انظر المصدر السابق (٤٣٢ - ٤٣٣).

(٣) شأن الدعاء للخطابي (٨٩).

العامة، الشاملة، وهي ولاية الخلق، والتدبير، للبر والفاجر، والمؤمن والكافر، وتضمن هذا النفي على كمال غناه، وتمامه، عن كل ما سواه سبحانه، فهو تعالى المستغني عن كل خلقه بذاته، وصفاته، وأفعاله، وسلطانه، وهذا هو الغنى المطلق، ولا يشارك الله تعالى فيه غيره.[1]

وكونه تعالى غنياً ذاتي له، لا لأمر أوجبه، لأن غناه من لوازم ذاته، فيستحيل أن يكون إلا غنياً، كما يستحيل أن يكون العبد إلا فقيراً.[2]

فكيف يحتاج سبحانه إلى من سواه، وكل إليه فقير ملهوف، محتاج إليه في كل شؤونه، وأحواله، في ليله ونهاره.

---

(١) انظر: اشتقاق أسماء الله (١١٧ - ١٢٥)، وشأن الدعاء (٩٢)، وتفسير الطبري (٥٨/٣).

(٢) انظر: طريق الهجرتين: (٢٣).

٢٥ - نفي (إدراك الله تعالى له شيء بالأبصار في الآخرة)

صفة سمعية، خبرية عقلية، ثبتت بالكتاب الكريم، قلنا خبرية: لأنه لا سبيل للعقل إلى معرفتها، وإثباتها، إلا من طريق الوحي، وقلنا عقلية: لأنها تعلم صحتها بالعقل، لأنه لا يدل على انتفائها، إذ إن العقل السليم موافق لما في التنزيل، وكلا الدلالتان، أي: السمعية، والعقلية: داخل في دلالة القرآن، والتي تسمى الدلالة الشرعية كما تقدم، إذ إن عدم الإدراك في الآخرة ليس من الأمور التي تعلم، وتثبت بالعقل، والفطرة، بخلاف غيرها من الصفات المنفية، التي تعلم عن الشارع الحكيم، والعقل السليم، والله تعالى أعلم.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال جل جلاله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ (الأنعام).

المعنى في اللغة:

الإدراك: الدرك: هو بلوغ أقصى الشيء، وأدرك الصبي: بلغ غاية الصبا، وذلك حين البلوغ، والإدراك، هو الإحاطة بالشيء من جميع جوانبه، وهو أخص بالرؤية، فيقال: رأيت الشيء ولم أدركه، ولا يقال:



أدركت الشيء ولم أره، فإدراك الشيء الإحاطة بحقيقته وكنهه، فهو قدر زائد على الرؤية.(١)

المعنى في الشرع:

نفي الله تبارك وتعالى أن يدركه أحد من الخلق في الآخرة، لأن الإدراك: الإحاطة بكنه الشيء وحقيقته، أي: الإحاطة به من جميع جوانبه، وقد جاء هذا النفي من الله سبحانه وتعالى في سياق التمدح والثناء على نفسه، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، فهي الأصل، وإنما يمدح الله تعالى بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً وثبوتياً كما هو الحال هنا، فرؤية الله والنظر إليه جل جلاله في الآخرة ثابتة بإجماع المسلمين، وهو أعلى نعيم في جنات النعيم المقيم.(٢)

فمعنى قوله سبحانه: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾: أي: أن الأبصار لا تحيط به رؤية، وإن كانت تراه في الآخرة، وتفرح أعظم الفرح، وأكمله، وأعلاه، ومنتهاه، بالنظر إلى وجهه الكريم، الذي لا أحسن، ولا أجمل منه، على الإطلاق.

فالنظر بالبصر إليه حقيقة، ولكن لا تحيط به علماً، فنحن نعلم ربنا عز وجل بقلوبنا، ولا ندرك كيفيته، وحقيقته، كما قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ (طه).

---

(١) المفردات (٣١٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٦٧/٢)، والكليات (٢٦٦)، ولسان العرب (٦٤/٤) وتهذيب اللغة (١٧٨/١٢)، ومعالم التنزيل (١٧٤/٧).

(٢) كما جاء في صحيح مسلم (١٨١).

فُعلم أن الإدراك: ليس هو الرؤية المطلقة، وإنما هو الرؤية على وجه الإحاطة بجوانب المرئي، فهو قدر زائد على الرؤية، لأن نفي الأخص، لا يستلزم نفي الأعم.[1]

كما صح عن قتادة - رحمه الله - أنه قال: «هو أعظم من أن تدركه الأبصار».[2]

دلالة نفي (الإدراك) على صفات الله تعالى

نفى ربنا جل جلاله أن تدركه الأبصار، وتحيط به الأنظار يدلُّ: على غاية عظمته، وكبريائه، وتمام سعته، وإحاطته بما سواه، وأنه سبحانه أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته، وجلاله: أكبر من أن تحيط به العلوم، والأفكار، والأنظار[3]، فهو سبحانه (العظيم): الذي لا أعظم منه على الإطلاق في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وسلطانه، وأسمائه، وآثارها في الكون، والخليقة.

فمن عظمته سبحانه أنه «هو الذي جاوز قدره وجل، عن حدود العقول، حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه، وحقيقته»[4] فكيف يحاط به

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/٣٩٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/١٧٤)، (٧/١٧٤)، ومجموع الفتاوى (١١/٤٨١)، (١٦/٨٧)، وبيان تلبيس الجهمية (١/٥٥٣)، وشرح العقيدة الأصبهانية (٤٣٨)، الصواعق المرسلة (٣/١٢٠) وشرح الواسطية للسلمان (٢/٣١٣).

(٢) التفسير الصحيح (٢/٢٦٣).

(٣) انظر: الصواعق المرسلة (٣/١٠٢٢، ١٠٢٤)، والتبيان في أقسام القرآن (٣٢٤)، وحادي الأرواح (٣٦٩)، والصفدية (٢/٦٥)، وشرح العقيدة الواسطية للهراس (٢/٣٠٤)، وشرح الواسطية لابن عثيمين (٢/٣١٦).

(٤) اللسان (٦/٣٢٢)، والنهاية (٦٢٥).



وهذه عظمته التي لا يقوم لها الخلق كلهم.

وتضمن نفي الإحاطة به سبحانه على: كمال سعته فهو سبحانه: (الواسع): المطلق، الذي لا بداية، ولا نهاية لسعة صفاته، ومتعلقاتها، بحيث لا يحصي أحد ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه أحد من عباده، فكل سعة وأن عظمت فتنتهي إلى طرف، والذي لا ينتهي إلى طرف هو أحق باسم السعة، والله تعالى هو الواسع المطلق[١].

فإذا كان كرسيه، وهو موضع قدميه[٢] الجليلة، وهو من خلقه، قد وسع السموات والأرض، فما ظنك بسعته، وكبريائه، وعظمته؟ فكيف يحاط به أو يدرك؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً لا نهاية له سبحانه.

---

(١) انظر: المقصد الأسنى للغزالي (١٠٦)، وتفسير السعدي (٦١٣/٥).

(٢) كما ثبت موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: رواه الحاكم في المستدرك (٢٨٢/٢)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، وصححه الألباني في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية (٣١٢)، وحكمه حكم الرفع، أي: من قول النبي ﷺ لأنه من الغيبيات والتي لا تعلم إلا من النبي ﷺ.

٢٦ ـ نفي (الضر) عن الله سبحانه

صفة سمعية، عقلية، ثابتة بالكتاب والسنة.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ (آل عمران).

٢ ـ وقال جل جلاله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ (آل عمران).

السنة النبوية:

١ـ عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال ـ الحديث بطوله ـ وفيه: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني....**».(١)

المعنى في اللغة:

الضرّ: الضَّرُّ والضُّرُّ والضَّررُ: ضد النفع، وهو: سوء الحال، سواء كان فقراً، أو شدة، سواء في البدن، أو في النفس.(٢)

---

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٢) عمدة الحفاظ (٢/٣٧٤)، واللسان (٥/٤٨٦).



٢٦ ـ نفي (الضر) عن الله سبحانه

المعنى في الشرع:

نفى ربنا جل جلاله أن يلحقه ضرر من عباده، وجاء بأكمل ما يكون من اللفظ الدال على النفي المطلق، من وقوع أي نوع من الضرر عليه سبحانه، بقوله: بـ (لن)، و(شيئاً) نكرة في سياق النفي، والتي تفيد العموم كما هو معلوم: أي: لن يضروا الله تعالى بأي شيء كان، في ذاته، ولا في ملكه، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في سلطانه، كما في الحديث القدسي الذي تقدم: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً...**[1]»[2].

وقد جاءت الآيتان في سورة آل عمران (١٧٦ ـ ١٧٧) في تسلية النبي ﷺ بقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾: «أي: لا يحزنك يا محمد كفر الذين يسارعون في الكفر، مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق، (كما صح عن مجاهد رحمه الله)، فإنهم لن يضروا الله شيئاً بمسارعتهم في الكفر، وارتدادهم عن إيمانهم بعد دخولهم فيه، بل إنما يضرون بذلك أنفسهم، بإيجابهم بذلك لها، من عقاب الله تعالى، ما لا قبل لها به»[3].

فإن الله تعالى إنما نفى عن نفسه وقوع الضرر عليه من أحد

---

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٢) تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين (٢/ ٢٤٠، ٤٦١) بتصرف يسير.

(٣) الطبري (٢/ ٣٦٥ - ٣٦٦)، والتفسير الصحيح (١/ ٤٨٣).

من عباده، ليبين أن بر العباد أو فجورهم لا يزيد في ملكه شيئاً، ولا ينقص منه شيئاً، وهذا خلاف المخلوقين من الملوك وغيرهم، فإنهم يبلغ بعضهم نفع بعض، ومضرة بعض، ويزداد ملكهم بطاعة الرعية لهم، وينقص بعصيان الرعية، وإذا أعطى أحدهم الناس ما يسألونه، نفد ما عنده ولم يغنهم، بل هم لا يعطون غيرهم إلا ليكافئه عليه بنفع، أو دفع عنه ضرراً، ليتقي بذلك ضرره.(١)

دلالة نفي (الضُّرّ) على صفات الله تعالى

نفى الله عز وجل وقوع الضر عليه، لأن ذلك دليل على النقص، والعجز، وهو سبحانه يتعالى عن ذلك، فإنه لا تضره معصية العاصين، ولو كفر به كل العالمين.

فدل هذا النفي على كمال عزته تعالى، وتمام غنائه، وتناهي جلاله، وكبريائه، وسلطانه، فامتنع بذلك أن يرام جنابه سبحانه.

يقول الإمام سليمان الطوفي رحمه الله: «اعلم أن الإجماع والبرهان على أن الله عز وجل منزه مقدس غني بذاته، لا يلحقه ضرٌّ، ولا نفع، ولا يحتاج إلى ذلك...، ولأن الحق جلَّ جلاله غني مطلق، والعبد فقير مطلق، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ (فاطر) والفقير المطلق لا يملك ضراً، ولا نفعاً، خصوصاً للغني المطلق».(٢)

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٨/١٩٢).

(٢) منهج الطوفي في تقرير العقيدة (١/٢٥٣).



٢٦ـ نفي (الضر) عن الله سبحانه

الفرق بين الضر، والأذى:

تقدم أن الله - عز وجل - نفى عن نفسه أن يضره شيء، وجاء في الكتاب والسنة إثبات الأذى كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ (الأحزاب)، وفي الحديث القدسي: «**يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر**»[1] فأثبت الأذية، ونفى الضر؟.

الأذى في اللغة: هو لما خفَّ أمره، وضعف أثره من الشر، والمكروه، ذكره الخطابي، قال شيخ الإسلام: «وهو كما قال، بخلاف الضرر (ثم استدل بالآية)، فبين أن الخلق لا يضرونه، لكن يؤذونه».[2]

«فابن آدم يؤذي الله تعالى ويسبُّه بإضافة ما يتعالى ويتقدس عنه، مثل نسبة الولد إليه تعالى، والند، والشريك في العبادة، التي يجب أن تكون خالصة له وحده، ومثل إسناده نعمه وأفعاله، إلى غيره من الدهر والطبيعة، والكون، والمخلوقات، وغير ذلك، ثم يسبُّون ما أسندوا تلك الحوادث إليه...».[3]

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «أنه لا يلزم من الأذية الضرر، فالله تعالى قد يتأذى ولكن لا يتضرر، وأضرب لك مثلاً: لو أن شخصاً جلس إلى جنبك وقد أكل بصلاً أو شرب دخاناً ألست

---

(١) البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) نقلاً من شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/٧٣).

(٣) المصدر السابق.

تتأذى براحته؟ بلى، ولكن هل تتضرر؟ لا تتضرر، إذا رأيت شيئاً مكروهاً فإنك تتأذى، ولكن لا تتضرر، إذن لا يلزم من كون الله تعالى يتأذى، أن يتضرر».[1]

(١) تفسير سورة آل عمران (٢/٢٤٤ - ٢٤٥).



٢٧ ـ نفي (المبالاة) عن الله سبحانه

صفة نقلية خبرية فطرية، ثابتة بالقرآن الحكيم، وسنة النبي الأمين ﷺ.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾ (الفرقان).

السنة النبوية:

١ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ فيما يحكيه عن ربه عز وجل: **«يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»**.(١)

٢ ـ عن عبدالرحمن السلمي قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عز وجل خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره، وقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي...»**.(٢)

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٠)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/١٩٩) رقم (١٢٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/١٨٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٧٧).

وفي رواية: «**خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كتفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي**».[1]

المعنى في اللغة:

يعبأ: أصل العبء: الثقل، يقال: ما عبأت به، أي: لم أقدره ولم أبال به، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾، أي: لا يرى لكم قدراً، ولا وزناً.[2]

لا أبالي: أي: لا أكترث، ولا أهتم.[3]

المعنى في الشرع:

نفى الله تبارك وتعالى كما في الآية المتقدمة أن يعبأ، أي: يهتم، ويعتني، ويكترث بغير هؤلاء (أي: عباد الرحمن)، وأنه لولا دعاؤكم إياه دعاء العبادة، ودعاء المسألة: ما عبأ بكم ولا أحبكم.[4]

وقيل: ما خلقتكم ولي حاجة إليكم، إلا أن تسألوني فأغفر لكم، وأعطيكم.[5]

---

(١) رواه أحمد وابنه في زوائد المسند (٤٤١/١٦)، وصححه الألباني في المصدر السابق.

(٢) عمدة الحفاظ (٢٠/٣).

(٣) الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية للمحدث برهان الدين الشبرحيني (٦٦٦).

(٤) تفسير السعدي (٥٨٨)، ومجموع الفتاوى (٢٥٨/١٠) وقال شيخ الإسلام: وهذا أقوى الدليلين.

(٥) تفسير القرطبي (٨٠/٧).

وفي حديث أنس المتقدم يخبر تعالى عن كمال إحسانه وفضله، للسائلين المخلصين في الرجاء والدعاء، أنه لا يخيب ظنهم، وضرب سبحانه مثلاً في سعة مغفرته: أنه مهما بلغت الذنوب، وتعاظمت (الخطوب)، ولو بلغت حتى عنان السماء، أي: السحاب، والمعنى: أن الذنوب لو فرضت أجراماً، وملأت ما بين السماء والأرض، ويحتمل أن معنى «عنان السماء»، أي: أعلى السماء، «ثم استغفرتني»: أي: طلبت مني المغفرة، سواء قلت: استغفر الله، أو: اللهم اغفر لي.

لسترتها عليك وتجاوزت عنها، بعدم عقابك عليها في الآخرة.

ولو جاء «بقراب الأرض خطايا»، أي: يقاربها من الذنوب، إما ملئاً، أو ثقلاً، أو حجماً.

قوله: «**ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً**»: «شيئاً» نكرة في سياق النفي، تفيد العموم، أي: جئتني، ولم تشرك بي شركاً أصغر، ولا أكبر.

وقوله: «لا أبالي»، أي: لا أهتم، ولا أكترث بذنوبك[1]، لأني لا أتعظم مغفرتك عليَّ، وإن كان ذنباً كبيراً، أو كثيراً.[2]

---

(١) انظر: الفتوحات الوهبية (٦٦٦)، وشرح الأربعين النووية لابن عثيمين (٤٣٠ - ٤٣١).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (٩/٥٥).



دلالة نفي (المبالاة) على صفات الله تعالى

نفى الله عز وجل عن نفسه المبالاة: لكمال سلطانه، وفضله، وإحسانه، وأنه لا أحد يعترض على الله تعالى، أو يجادله له فيما أراد.[1]

لأنه تعالى لا حجر عليه فيما يفعل، ولا معقب لحكمه، ولا مانع لعطائه[2] سبحانه.

فكيف يكترث ربنا بما أسبغ وأعطى وتفضل، ومن ذلك: كثرة غفرانه لذنوب عباده، لأنه هو سبحانه (الملك): الذي له ملك العالم العلوي والسفلي، «والسلطان الكلي، النافذ في السموات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها، وما تحتها، وفي البحار، والجو، فهو المتصرف في الممالك كلها وحده، تصرف ملك، قادر، قاهر، رحيم، تام الملك، لا ينازعه في ملكه منازع، ولا يعارضه فيه معارض»[3] فلا ينقص من ملكه شيء مهما جاد، وأنعم، وأفضل، خلاف ملوك الدنيا، فهم يكترثون بما أعطوا، لأنهم إن تفضلوا وأعطوا نقص من ملكهم على قدر عطائهم، فضلاً أن يثبت ملكهم.

فهو سبحانه لا يبالي، ولا يكترث، لأنه ذو الفضل العميم، الذي ليس له عديل، ولا مثيل، فلهذا مدح ربنا نفسه سبحانه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ

(١) شرح الأربعين النووية لابن عثيمين (٤٣٣).

(٢) الفتوحات الوهبية (٦٦٦).

(٣) انظر: طريق الهجرتين (٢٢٨)، وشفاء العليل (٢/٦٥٢).

٢٧ ـ نفي (المبالاة) عن الله سبحانه

ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ (البقرة) «أي: صاحب الفضل العظيم كمية، والعظيم كيفية، والعظيم شمولاً في المكان، وشمولاً في الزمان»[1] فهو تعالى يجود، ويتفضل علينا بلا استحقاق، ولا يطلب عليه الجزاء، بل يتفضل قبل السؤال والرجاء، وإنما هو بمحض فضله الذي لا يحاط.

فأنى يهتم ويكترث ربنا جل جلاله ويبالي بنا، وهو (الغني) عنا في ذاته وصفاته، وأفعاله، وسلطانه، وأسمائه، ومع ذلك يغنينا آناء الليل وأطراف النهار، وهو غني عنا جل جلاله من كل وجه واعتبار، لأنه تعالى حبه للنعم والآلاء على العباد فوق ما يخطر على البال، أو يدور في الخيال، لأن نفعه يعود على العباد في دينهم، ودنياهم، وأخراهم، الذي فيه سعادتهم وفلاحهم في الدنيا وفي دار القرار.

قال ربنا العظيم: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ (فاطر)، وقال جل جلاله: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ (فصلت).

---

(١) أحكام القرآن الكريم لابن عثيمين (٢٠٥/٢).

٢٨ ـ نفي (امتناع عن الله فعل ما أراد) سبحانه

صفة سمعية، فطرية، جاءت في الفرقان، وسنة خير الأنام.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال سبحانه وتعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ (فاطر).

٢ ـ وقال عز شأنه: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ (الرعد).

٣ ـ وقال سبحانه: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ (الأنعام).

٤ ـ وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ (المعارج).

٥ ـ وقال جل جلاله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ (يونس).



السنة النبوية:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن العزل؟ فقال: «**ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء**».[1]

المعنى في اللغة:

بعزيز: العز في اللغة: يدل على شدة وقوة وما ضاهاهما، من غلبة وقهر، وله عدة إطلاقات: القوي القاهر الشديد الصلب، ومنه قوله: عززت القوم: قويتهم، وشددتهم، قال تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ (يس: ١٤)، أي: قوينا، وشددنا. والمنقطع النظير، الذي يندر وجود مثله، يقال: عزَّ الشيء، فهو عزيز، قل حتى ما كاد يوجد، يعني: أصبح نادراً.

ويطلق على: الجليل الشريف الرفيع الشأن والقدر، ومنه قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ (المنافقون) والعزيز المنيع الذي لا يُقدر عليه، تقول العرب: حصن عزيز: إذا كان لا يوصل إليه، ويقال للأرض الصلبة القوية: عزاز، لامتناعها على من أراد أن يحفرها، ومنه

---

(١) مسلم (١٤٣٨).

قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ (فاطر).[1]

الـرَّد: صرف الشيء بذاته، أو بحالة من أحواله، يقال: رددته فارتد، فمن الرد بالذات، قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (الأنعام) ومن الرد إلى حالة كان عليها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ (آل عمران) وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ (يونس) أي: لا دافع ولا مانع له.[2]

الفضل: أصل الفضل: الزيادة على الاقتصاد، وهو خلاف النقص والنقيصة، والإفضال الإحسان.[3]

المعنى في الشرع:

نفى ربنا العظيم في كتابه الحكيم، وعلى لسان رسوله الأمين ﷺ، عن امتناع ما أراد في أي حال من الأحوال، وجاء هذا النفي على صور منها:

الأول: إهلاك من يشاء من الخلق وتبديله بآخرين متى شاء.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣٨/٤ - ٤٢)، واللسان (٣٧٤/٥)، والمفردات (٥٦٣)، والنهاية (٢٢٨/٣)، وتفسير أبي مظفر السمعاني (١٤٧/١).

(٢) المفردات (٣٤٨).

(٣) عمدة الحفاظ (٢٣٦/٣)، والصحاح (٨١٥).



الثاني: إرسال العذاب والهلاك على من يشاء من العباد، وهو في حالتين: في الدنيا، وفي الآخرة.

الثالث: رد فضله وإحسانه متى شاء سبحانه.

فمن الأول: كما في سورة (فاطر الآية: ١٧): أخبر سبحانه وتعالى عن كمال غناه عن عباده، ونفوذ إرادته ومشيئته متى شاء جل جلاله، أنه تعالى قادر على إهلاك من يشاء من خلقه، واستبدالهم بآخرين يطيعونه ولا يعصونه، ويأتمرون بأمره، وينتهون عن نهيه، فهو تهديد بالهلاك، والإبادة، وأن مشيئته غير قاصرة عن ذلك، في أي وقت وحال شاء سبحانه.

وأبان عن ذلك بقوله: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ أي: بممتنع، ولا معجز له.

والمعنى: وما إذهابكم أيها الناس بخلق سواكم على الله شديد، ممتنع، ولا متعسر، بل ذلك عليه يسير سهل، فهو سبحانه أنشأكم من غير ما حاجة به إليكم، فاتقوا الله تعالى أيها الناس وأطيعوه، قبل أن يفعل بكم.[1]

وفي حديث أبي سعيد الخدري المتقدم، يخبر النبي ﷺ أن الله تعالى إذا أراد خلق أي شيء من فرد كان أو نوع، لم يمنعه، أو يرده أحد، كائناً من كان.

---

(١) تفسير الطبري (٦/٢٤٧)، والشوكاني (١٤١٥)، والسعدي (٦٨٧) بتصرف.

والنوع الثاني: كما جاء في سورة (الرعد: ١١)، و(الأنعام: ١٤٧) وهو إرسال العذاب والهلاك في الدنيا.[١]

ففي سورة الرعد: أخبر ربنا جل جلاله أنه إذا أراد بقوم عذاباً، وهلاكاً، وشدة، وأمراً يكرهونه في عاجل الدنيا، فإن إرادته لابد أن تنفذ فيهم، فلا يقدر على رد ذلك عنهم أحد غير الله تبارك وتعالى، وما لهم من دونه من يتولى أمورهم، فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المكروه.[٢]

والفرد الثاني من هذا النوع وهو إرسال العذاب في الآخرة.

كما في سورة المعارج[٣] يخبر سبحانه عن جهل المعاندين، واستعجالهم لعذاب الله تعالى يوم القيامة، استهزاءً، وتعنتاً، وتعجيزاً، ولهذا ردَّ الله سبحانه عليهم بأنه واجب لهم يوم القيامة، واقع بهم، فقال: ﴿**ليس له دافع**﴾: أي: لا دافع له من أحد إذا أراده سبحانه كونه، فيدفعه قبل نزوله، أو يرفعه بعد نزوله.

ولهذا أخبر تعالى من عظمته، ما يضاد أقوالهم القبيحة فقال: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ (المعارج)، أي: ذو العلو، والجلال، والعظمة، والتدبير لسائر الخلق.[٤]

---

(١) كما يدل سياق الآيات فيها وإن كان يدل كذلك في الآخرة.

(٢) الطبري (٤/٤١١) والسعدي (٤١٥).

(٣) ذهب بعض المفسرين أنه في الدنيا، والصحيح أنه في الآخرة كما ثبت عن مجاهد أنه قال: «يقع في الآخرة» انظر: التفسير الصحيح (٤/٥٣٢) ورجحه ابن جرير لدلالة سياق الآيات بعدها.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٥٥٦)، وابن السعدي (٨٨٥).

والنوع الثالث: رد فضله، وإحسانه، وآلائه، في العطاء لمن يشاء من خلقه، كما في قوله: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ (يونس: ١٠٧)، أي: وإن يردك ربك برخاء، أو نعمة، وعافية، وسرور، فلا يقدر أحد أن يحول بينك وبين ذلك، فيدفعه، أو يمنعه عنك، كائناً من كان، وعبر بالفضل مكان الخير، للإرشاد إلى أنه يتفضل على عباده بما لا يستحقونه بأعمالهم، ولهذا قال سبحانه: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾، أي: يختص بفضله، وإحسانه من شاء من خلقه، لأنه سبحانه ذو الفضل العظيم.[1]

دلالة نفي (الامتناع عن فعل ما أراد) على صفات الله تعالى

نفى الله تعالى عن نفسه أن يمتنع عليه شيء، أو يرد ما أراده أحد، التي هي «من الصفات السلبية، التي يتصف الله تعالى بها مع إثبات كمال ضدها، فنقول: وما ذلك على الله بعزيز: لكمال سهولته عليه، فهو أمر هين عليه سبحانه وتعالى، أن يهلك ويأتي ببدلهم، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ (محمد)».[2]

وفي هذا النفي يدل على كمال قوته (القوي)، ونفوذ قدرته (القدير)، أن كل أمر يريده فعله، لا يتعاصى عليه شيء، ولا يعارضه أحد، وليس له ظهير، ولا عوين، ولا مساعد على أي أمر يكون، بل إذا أراد أمراً، قال له «كن فيكون» ومع أنه سبحانه فعال لما يريد، فلا يريد إلا ما تقتضيه حكمته، وحمده.

---

(١) تفسير الطبري (٤/٢٤٩)، والشوكاني (٧٥٩)، والسعدي (٣٧٥).

(٢) تفسير سورة فاطر لابن عثيمين (٨/٧٦).

فجميع أفعاله تابع لحكمته، فهو تعالى موصوف بالكمال من جهتين: من جهة كمال القدرة، ونفوذ الإرادة (والمشيئة)، وأن جميع الكائنات قد انقادت لمشيئته وإرادته، ومن جهة الحكمة، فإنه الحكيم في كل ما يصدر منه، من قول، وفعل: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ (هود) أي: في أقواله، وأفعاله.[1]

ومن الكمالات التي تضاد صفة النقص، وهي: (امتناع عن فعل ما أراد) أن له تعالى المتانة الكاملة، فهو تعالى (المتين): الشديد في قوته، الشديد في عزته، الشديد في جميع صفات الجبروت، فهو سبحانه الواسع الكبير المحيط، الذي لا تنقطع قوته في أي حال، فلا يلحقه في أفعاله مشقة، ولا تعب، ولا كلفة، قال تعالى: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ (الأعراف)، وصفه (أي: كيده) بالمتانة: لقوة أثره في التسبب في إهلاكه، فلا يمكن لأحد رده، أو صده.[2]

وفي هذا النفي يتضمن كذلك على تمام عزته، وكمال قهره، وجبروته، فهو تعالى الغالب لعباده، المذلل لهم، العالي عليهم بتذليله لهم[3]، فلا يملك أحد رد مشيئته، أو نقض تدبيره، أو الخروج عن تقديره، فمن كمال جبروته وعلوه سبحانه: أنه «إذا أراد شيئاً كان كما أراد، ولم يمتنع عليه، ولم يتخلف كونه عن حال إرادته، فيكون فعله له، كالجبر.[4]

---

(١) فتح الرحيم الملك (٢٧).

(٢) (الجامع) أسماء الله الحسنى جلالها (٢٣٦ - ٢٣٧).

(٣) تفسير الطبري (٢٨٨/١١).

(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٨٩/١).



٢٩ ـ نفي (النفع) عن الله سبحانه

صفة نقلية سمعية فطرية، ثابتة بالسنة المحمدية ﷺ.

الأدلة الشرعية:

السنة النبوية:

عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال ـ الحديث بطوله ـ وفيه: «... **يا عبادي لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**...».[1]

المعنى في اللغة:

النفع: ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما يتوصل به إلى الخير فهو خير، فالنفع خير، وضده الضر.[2]

المعنى في الشرع:

نفى الله عز وجل عن نفسه الانتفاع بأي حال من الأحوال، لأن الانتفاع من الغير يقتضي الاحتياج إلى المنتفع منه، وهذا من النقائص التي لا تليق بكمال الله وعظمته، والله سبحانه هو الغني عن كل العالمين.

«وقد بيَّن سبحانه في كتابه ممتناً على عباده فيما خلق لهم من البُدن، وجعلها من شعائره، وهو أنه جعلها تُهدى إلى بيته الحرام، بل

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٢) المفردات (٨١٩).

هي أفضل ما يهدى إليه[1]، ثم أمر أمر إباحة للمهدي، وأمر بإطعام الفقير الذي لا يسأل تقنعاً وتعففاً، والفقير الذي يسأل، ثم ذكر سبحانه أنه ذلل وسخر هذه البُدن من أجل هذا، وجعلها منقادة لهم خاضعة، كما قال تعالى: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الحج).

ثم بيَّن تعالى أنه شرع لهم نحر هذه الهدايا والضحايا، ليتذكروه عند ذبحها، فإنه تعالى لن ينتفع منها، بل النفع يعود إليهم، لا إلى نفسه فقال: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا ﴾، ﴿ لَن يَنَالَ ﴾: عبارة مبالغة، وتوكيد، وهي بمعنى لن يرتفع عنده.

أي: لن يناله شيء من لحومها، ولا دمائها، فإنه تعالى الخالق الرازق الغني عما سواه، لأنهم كانوا في جاهليتهم، إذا ذبحوها لآلهتهم، وضعوا عليها من لحوم قرابينهم، ونضحوا عليها من دمائهم، ثم ذكر أنه يناله الإخلاص فيها، والاحتساب، والنية الصالحة، ولهذا قال: ﴿ وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ (الحج: ٣٧).[2]

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه الذي تقدم وفيه: «... **ولن تبلغوا نفعي**

---

(١) كما قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ (المائدة).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٠٥ - ٣٠٩)، وابن السعدي (٥٣٨ - ٥٣٩)، والمحرر الوجيز (٤/١٢٣).

فتنفعوني» نفى ونزه نفسه تعالى أن ينتفع من عباده بوجه من الوجوه، كما أكد ذلك بـ (لن)، والتي تفيد كما سبق تأكيد النفي، لأن من العباد قد يستغني في وقت ما، ثم يحتاج إلى من ينفعه ويعينه، فنفى الله تعالى استغناءه، واحتياجه من أحد من عباده في أي حال، ولا زمان، على الدوام، لأنه سبحانه «منزه عن لحوق المنافع، والمضار»[1] من المساوئ، كما يكون في الخلائق.

دلالة نفي (النفع) على صفات الله تعالى

نفى الله تبارك وتعالى عن نفسه الجليلة أي نوع من أنواع الانتفاع، كما نفى - كما تقدم - عن نفسه أي فرد من أفراد الضر، وفي هذا لإثبات أوصاف الكمال التي تنافي هذه الصفة النقيصة في حقه جل وعلا.

وذلك: «لكمال سلطانه عز وجل، وغناه عن كل خلقه».[2]

ولكونه تعالى أنه الحميد[3]، وكذلك على: تمام عزته، وجلالة كبريائه. فهو تعالى ذو السلطان العظيم، المحيط في السموات والأرضين، مالك الملك والأملاك في كل حين، «الكل فيه عبيده، مفتقرون إليه، مضطرون إليه في جميع حوائجهم، وشؤونهم، لا غنية لمخلوق عن إمداده، وإعداده، ونفعه، ودفعه».[4] فكيف يلحقه نفع من أحد منهم؟

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (٣/٩٢٦).

(٢) شرح الأربعين النووية لابن عثيمين (٢٧٤).

(٣) تفسير السعدي (٥٣٩).

(٤) فتح الرحيم الملك (١٩).

فهو (الغني): له الغنى المطلق في: ذاته، وصفاته، وملكه، عن كل خلقه، ومع ذلك فهو: المغني جميع خلقه غنى عام: وهو للمؤمن وللكافر، والبر والفاجر[1].

ولهذا أثنى على نفسه بذلك، فقرن غناه مع حمده، قال تعالى: ﴿**واعلموا أن الله غني حميد**﴾ (البقرة: ٢١٧). أي: أنه تعالى كما أن غناه ذاتي لا ينفك عنه بأي حال، كذلك أنه مغني غيره، من أفضاله، وهذا غاية الكمال، والجلال[2]، لأنه ليس كل غني يحمد على غناه، كالغني البخيل، أو يكون غناه عن غير استحقاق، كغني: السراق، واللصوص.[3]

ولكونه تعالى (حميد) لأنه عز شأنه محمود من وجوه لا تحصى، وجوانب لا تستقصى، لما له من النعوت، والأوصاف العلا، ولهذا حمد نفسه سبحانه لأنه لم ينتفع من أحد من شريك أو ولد، في إقامة ملكه في الأزل، والأبد، ومما ينافي الانتفاع كذلك: تمام العزة، فربنا هو «العزيز» الذي لا أعز منه في الوجود على الإطلاق.

له العزة التامة بكل أفرادها ومجاميعها العلية، والتي منها: عزة الامتناع، فهو سبحانه المنيع، الممتنع عن صفات المحدثين، فلا يحتاج إلى أحد في جلب المنافع، أو دفع المساوئ، فلا يبلغ العباد نفعه، فينفعونه ولا ضره فيضرونه. فإذا كانت هذه أوصاف ربنا العلا، فكيف ينتفع من أحد من الورى؟ حاش والله ربنا وتعالى.

---

(١) تفسير السعدي (٥/٦٢٩).
(٢) الجامع أسماء الله الحسنى جلالها (١٩٤).
(٣) تفسير سورة النساء (٢/٣١١)، وتفسير سورة فاطر (٨/٨٢) لابن عثيمين.



٣٠ـ نفي (الكذب) عن الله سبحانه

صفة خبرية، عقلية، جاءت عن الصادق المصدوق ﷺ.

الأدلة الشرعية:

السنة النبوية:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي: فزعم أني لا أقدر أن أعيده، وأما شتمه إياي فقوله: لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً**».[1]

المعنى في اللغة:

الكذب: خلاف الصدق، وهو: الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، سواء فيه العمد، والخطأ.[2]

المعنى في الشرع:

نفى الله جل جلاله ما ادعى في حقه الأفاكون، والمبطلون، والكافرون، من الصفات النقائص، بأنه تعالى لا يقدر على إعادة الأموات وحسابهم في يوم المعاد، فعده سبحانه في حقه كذباً، فجاء في نفي ذلك عنه تعالى بقوله: «**كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك**» وقد جاءت آيات كريمة، في كتاب ربنا تدل في مضمونها، تنزيهه تعالى عن

---

(١) البخاري (٤٤٨٢)، (٤٩٧٥).

(٢) المصباح المنير (٣٠٥).

الكذب، فمنها، قوله سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (الإسراء).

فصدر الآية في نفي ذلك بالتسبيح، الذي هو التنزيه والإبعاد كما تقدم، وللعلماء في تفسير افتتاح الله تعالى حادثة الإسراء بالتسبيح ثلاثة أوجه، نكتفي بذكر واحد منها:

الوجه الأول: أن الله تعالى سبح تنزيهاً لنفسه المقدسة وتعظيماً لها، عن تكذيب المشركين، الذين كذبوا حادثة الإسراء والمعراج، ونسبوا النبي ﷺ إلى الكذب، فالتسبيح على هذا خرج مخرج الرد على هؤلاء المكذبين لله تعالى، ولرسوله ﷺ.[1]

دلالة نفي (الكذب) على صفات الله تعالى

دلَّ نفي صفة النقص والعيب والذم في حقه تعالى، وهي (الكذب) على كمال صدق الله تعالى، وقدرته، وشمول علمه، وخبرته، وكبريائه، وعظمته. وقولنا على كمال (الصدق)، لأن الكذب لا يقع إلا لانتفاء الصدق، وانتفاء الصدق يكون: إما لعجز، أو ضعف، وإما لجهل، وانتفاء العلم، وإما لضعف في الكاذب بسبب الخوف، أو العجز، أو الوهن، أو الخور، ونحو ذلك، والله يتعالى عن ذلك كله، لأنه لا يخاف تبعة أحد قال تعالى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا

(١) انظر: هذه الأوجه «التسبيح في الكتاب والسنة» (١/٢٥٢ - ٢٥٣).

﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ (الشمس). لأنه سبحانه على كل شيء قدير، لا يعترضه عجز ولا فتور، ولا يعجزه شيء، ولا يفوته مطلوب، فكيف يكذب كالمخلوق؟

وكذلك لأنه عز شأنه هو: (المؤمن): الذي من معانيه أنه: الصادق في قوله، والصادق في وعده، وحديثه، وإخباره، الذي يصدق عباده وعده، ووعيده، في الدنيا والآخرة، فكل ما وعدهم آت لا محالة، لا يتغير ولا يزول، ولا يحول، ومن معانيه كذلك أنه تعالى يؤمّن من شاء من عباده، فيؤمنهم مما يخافون[1]، فأنى له تعالى أن يخاف فيكذب؟

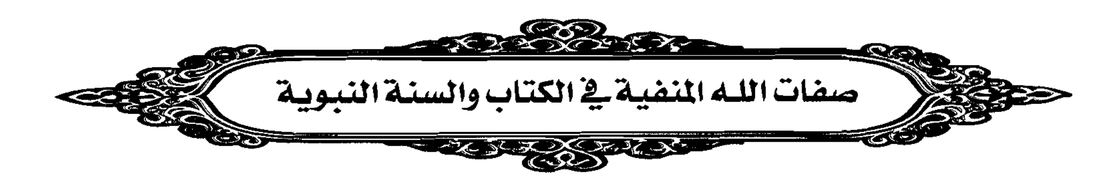
وإما أن يكون عن جهل، والله تعالى منزه عنه، لأنه سبحانه هو (العليم): «العالم بما كان، وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولما يكون بعد، قبل أن يكون، فهو سبحانه يعلم ما كان، وما يكون من المستقبلات التي لا نهاية لها».[2]

وقولنا لكمال (**عظمته**) لأنه تعالى لا تتعاظم عليه الأشياء مهما كانت، له العظمة العظيمة، في كل ما اتصف به، من الأوصاف العلية الذاتية، والفعلية، فما له وللكذب؟ فإن الكذب يكون للضعيف كما تقدم بسبب الخوف، أو العجز، والله سبحانه العظيم المطلق، فعظمته سبحانه تنافي ذلك كله.

---

(١) (الجامع) أسماء الله الحسنى (٢٧١ - ٢٧٢).

(٢) لسان العرب (٣٠٨٢/٤).



٣١- نفي (الصمم) ٣٢- ونفي (الغيْبة) عن الله سبحانه

صفتان سمعيتان وعقليتان، ثابتتان في السنة النبوية.

الأدلة الشرعية:

السنة النبوية:

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: «**اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً بصيراً، قريباً وهو معكم**».[١]

وفي رواية: «**والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عُنق راحلته**».[٢]

المعنى في اللغة:

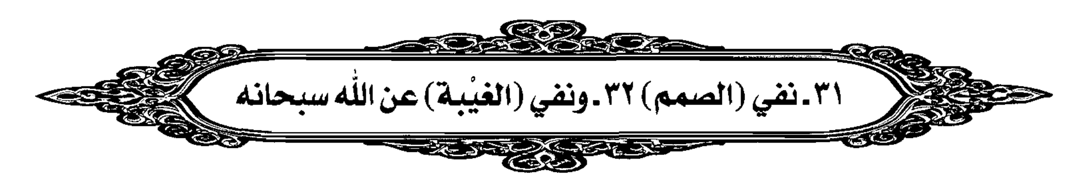
أصمَّ: من الصمم، وهو: فقدان حاسة السمع، وأصله: السد، ومنه صممت القارورة، إذا شددت رأسها، وهو انسداد الأذن، وثقل السمع بحيث لا يسمع الأصوات، أو لا يسمعها، إلا إذا كانت مرتفعة عالية.[٣]

---

(١) البخاري (٢٩٩٢)، (٤٢٠٢) (٧٣٨٦)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٢) مسلم (٢٧٠٤).

(٣) عمدة الحفاظ (٢/٣٥٤)، والقاموس المحيط (٧٥٥).



المعنى في الشرع:

نفى رسول الله ﷺ في الحديث المتقدم صفتي النقص عن الرب جل جلاله وهما: الصمم، والغيبة، (لأنهما) تتضمنان نفي نقائص كثيرة، تلزم من صفتي الصمم والغيبة، لأن الأصم هو الذي لا يسمع ولا يصلح أن يكون إلهاً، لهذا النقص العظيم، الذي يلزم منه عدم سماع دعاء الداعين، وأصوات المحتاجين، وغير ذلك من النقائص. كما أن الغيبة يلزم منها عدم إطلاعه على أحوال عباده، وعدم علمه بما ينبغي أن يعاملهم به، ونحو ذلك.[1]

قوله ﷺ: «اربعوا على أنفسكم»: بهمزة وصل وبفتح الباء الموحدة، معناه: ارفقوا بأنفسكم، واخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ويسمعه، أو لعدم سماعه، وأنتم تدعون الله تعالى، وليس هو بأصم، ولا غائب.[2]

ثم بيَّن ﷺ سبب النهي عن رفع الصوت بأنه تعالى: «سميعاً بصيراً قريباً وهو معكم» ثم أكد المعنى ﷺ في ضرب المثل بعنق الراحلة، لأجل شدة قربها من جهة من على الراحلة، فإنه قريب جداً منه، وفيه «جواز تشبيه الغائب بالحاضر للإيضاح».[3]

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن باز (٢٥٨/١).

(٢) انظر: فتح الباري (١٨٨/١١)، وشرح النووي لمسلم (١١/٩).

(٣) شرح الواسطية لابن عثيمين (٤٤١/٢).



دلالة نفي (الصمم) و(الغيْبة) على صفات الله تعالى

جاء نفي هاتين الصفتين عن الله جل جلاله، وهما: نفي الآفة المانعة من السمع، والآفة المانعة من النظر[1] «لكمال سمعه، ولكمال بصره، وعلمه، وقربه».[2]

ولهذا أثبت ﷺ أضداد هاتين الصفتين بقوله: «إنكم تدعون سميعاً، بصيراً، قريباً، معكم وهذا «يستلزم أن لا تصح أضداد هذه الصفات عليه سبحانه».[3]

وفي هذا إثبات ثلاثة أسماء حسنى لربنا جل في علاه، وهي: (السميع) و(البصير)، و(القريب) ومن الصفات (الإحاطة)، و(المعية) بنوعيها: المعية العامة، والمعية الخاصة بقوله: (وهو معكم) وجاءت هذه الأسماء الحسنى (السميع، البصير، القريب) على صيغ المبالغة، لأنه له تعالى تمام الكمال من هذه الصفات لأنه كما تقدم أن أسماء الله الحسنى مشتقة من صفاته العلا.

فهو سبحانه (السميع) الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات في كل الأوقات، فهو سبحانه قد استوى في سمعه سرَّ القول وجهره، فالسر عنده علانية، والنجوى إليه مفضية، والبعيد عنده قريب، فلا تختلط ولا تختلف عليه الكلمات،

(١) شرح الواسطية للفوزان (٢/٤٤٢).

(٢) شرح الواسطية لابن عثيمين (٢/٤٤٠).

(٣) الفتح (١١/١٨٨) نقلاً عن ابن بطال.



مهما اختلفت اللغات، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه كثرة السائلين والداعين في الآن الواحد، بل هي عنده كلها كصوت واحد.[١]

وهو جل جلاله (البصير): الذي أحاط بصره بجميع المبصرات، في أقطار الأرض والسموات، في كل اللحظات، فيرى سبحانه دبيب النملة السوداء تحت الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، حيث كانت من سهله، أو جباله، وسريان الدم، والقوت في أعضائها الدقيقة، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة، وأعضائها، ولحمها، ودمها، ومخها، ويرى نياط عروق النملة، والبعوضة وأصغر من ذلك[٢]، وهو تعالى (القريب): من كل العبيد، وقربه تعالى نوعان:

أولاً: قرب عام، من كل أحد: بعلمه، وخبرته، ومراقبته، وإحاطته بكل الأشياء.

ثانياً: قرب خاص: من عابديه، وسائليه، ومجيبيه، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات، والسكنات[٣]، وهو تعالى مستو على عرشه، فوق كل خلقه، فهو سبحانه قريب في علوه، عليٌّ في قربه[٤]، فربنا عز شأنه أقرب إلى أنفسنا من أنفسنا، وهو

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (٣/١)، وطريق الهجرتين (٧٦)، والحق الواضح (٢٤)، وتوضيح الكافية (١١٨).

(٢) طريق الهجرتين (٢٣٤)، والحق الواضح (٣٥).

(٣) انظر: تفسير السعدي (٤٩١/٥)، والحق الواضح (٦٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥٠٥/٥).

مع ذلك: في العلو الأعلى، يقرب وهو فوق سمواته السبع العلا، على العرش استوى، يسمع السر والنجوى، ويرى ما دقَّ، وما خفى.

فهو تعالى «فوق جميع خلقه مباين لهم، وهو مع هذا مطلع على أحوالهم، مشاهد لهم، مدبر لأمورهم الظاهرة والباطنة، متكلم بأحكامه القدرية، وتدبيراته الكونية، وبأحكامه الشرعية».[1]

فكيف يخفى عليه شيء في مملكته العلوية، والسفلية سبحانه؟

(١) توضيح الكافية الشافية (١١٦).



٣٣ـ نفي العور عن الله سبحانه

من الصفات الشرعية الخبرية، والعقلية الثابتة بالسنة النبوية.

الأدلة الشرعية:

السنة النبوية:

عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال: **«إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية»**.[1]

وفي رواية: **«وإن ربكم عز وجل ليس بأعور»**.[2]

المعنى في اللغة:

العور: فقد إحدى العينين، أو ذهاب بصرها[3]، **فالأعور**: ضد البصير بالعينين.[4]

المعنى في الشرع:

نفى النبي ﷺ عن ربه صفة النقص، وهي (العور)، وأكد هذا النفي بـ (إنَّ) المشددة المثقلة، لمنافاتها عن كمال الله تبارك وتعالى في ذاته، وأوصافه العلا «وذلك لأن مخلوقات الله تعالى المعروفة لدى العرب:

---

(١) البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (٢٩٣٢).

(٢) البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٣) لسان العرب (٦/٥١٣)، والقاموس المحيط (٩٢٦)، والقاموس الوسيط (٢/٦٤٢).

(٤) رد الدارمي على بشر المريسي (١/٣٠٥).

الإنسان، وكذلك الحيوان، كلها لها عينان، فوضعت العرب هذا الاسم (الأعور) لمن فقد إحدى عينيه، فهو خاص بذلك، وليس العور هو ذهاب البصر»[1] فإذا كانت هذه الصفة نقص وعيب في حق المخلوق، فمن باب أولى وأحرى أن ينزه هذا النقص عن الخالق سبحانه، لأنه كما تقدم في القاعدة السادسة: (كل نقص تنزه عنه المخلوق، فالخالق أحق بالتنزه عنه).

وقوله ﷺ عن الدجال: «**إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور**»: «اشتملت هذه الجملة على تأكيد وصف الدجال الكذاب بأنه أعور العين، أي: أنه ناقص معيب، قد لحقه الضر لفقد إحدى عينيه، فمثله محال أن يكون إلهاً، لأنه فقير محتاجٌ إلى غيره، بالإضافة إلى النقص والعيب الذي فيه، وقد جاء بأعظم الكذب والبهتان...».[2]

دلالة نفي (العور) على صفات الله تعالى

دل نفي (العور) عن ربنا تبارك وتعالى على إثبات أن لله تعالى عينين كاملتين من كل وجه، سالمتين من كل عيب ونقص، قال إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله: «لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى، وتحت الأرض السابعة السفلى، وما في السموات العلا، وما بينهما من صغير وكبير، لا يخفى على خالقنا خافية في السموات السبع، والأرضين السبع، ولا مما بينهن ولا فوقهن، ولا أسفل منهن، لا

---

(١) اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ (٤٢٣/١).

(٢) شرح كتاب التوحيد للعنيمان (٢١٠/١).



يغيب عن بصره من ذلك شيء، يرى ما في جوف البحار ولججها، كما يرى عرشه الذي هو مستوٍ عليه».[١]

قال العلامة ابن المنير رحمه الله: «وجه الاستدلال على إثبات العين لله تعالى[٢]، من حديث الدجال من قوله: «**إن الله ليس بأعور**»، من جهة أن العور عرفاً عدم العين، وضد العور ثبوت العين، فلما نزعت هذه النقيصة، لزم ثبوت الكمال بضدها، وهو وجود العين».[٣]

يقول العلامة عبدالله الغنيمان حفظه الله: «صار هذا الحديث من الأدلة الواضحة على إثبات تثنية العين لله تعالى، ويزيد ذلك وضوحاً إشارته ﷺ إلى عينه لتحقيق الوصف، يعني: أن لله عينين سالمتين من كل عيب كاملتين، بخلاف الدجال الفاقد لإحدى عينيه، وذلك من أعظم الأدلة على كذبه...، ولهذا قال ﷺ: «**وإن ربكم ليس بأعور**» **فهذا بيان واضح بوصف الله تعالى بأن له عينين كاملتين، على ما يليق بعظمته**».[٤]

---

(١) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل (١/١١٤) لابن خزيمة رحمه الله.

(٢) علق العلامة الغنيمان بقوله: الحديث فيه إثبات العينين لله تعالى لا عين واحدة كما قد يوهمه كلامه» شرح كتاب التوحيد (١/٢٠٧) قلت: يطلق السلف صفة العين بالإفراد وغيرها كاليد من باب ذكر جنس الصفة، كما يقال: لك يد كما ذكر ابن خزيمة في موضع الإفراد، وفي موضع التثنية، والبغوي، وابن كثير، وغيرهما الكثير من هذا الباب وأوضح ذلك كتاب الله: ﴿ولتصنع على عيني﴾ (طه: ٣٩) والله أعلم.

(٣) نقلاً من فتح الباري (١٣/٣٩٠).

(٤) شرح كتاب التوحيد (١/٢٠٧، ٢١٠ ، ٢١١).



٣٤ـ نفي (أن يكون لله مكره) سبحانه

صفة خبرية عقلية جاءت في السنة النبوية.

الأدلة الشرعية:

السنة النبوية:

١ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعوتم الله فاعزموا في الدعاء، ولا يقولن أحدكم: إن شئت فأعطني، فإن الله لا مستكره له**».(١)

٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، اللهم ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء، لا مكره له**».(٢) وفي لفظ: «... **ليعزم في الدعاء، فإن الله صانعٌ ما شاء، لا مكره له**».(٣)

المعنى في اللغة:

كره: هي جمع مكره، وهو ما يكرهه الإنسان ويشق عليه، والكره بالضم المشقة، وبالفتح الإكراه، يقال: قام على كُره على كذا: حمله عليه كرهاً، وقيل: المفتوح: ما ينال الإنسان من المشقة من خارج مما يُحمل عليه بالإكراه، والكُرهُ ما ينال من ذاته، وهو ما يعافه.(٤)

---

(١) البخاري (٦٣٣٨) (٧٤٦٤)، ومسلم (٢٦٧٨).

(٢) البخاري (٦٣٣٩) (٧٤٧٧)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٣) مسلم (٢٦٧٩).

(٤) مختار الصحاح (٣٠٨)، والنهاية (٧٩٩)، والمصباح المنير (٣٠٧)، وعمدة الحفاظ (٣/٣٩١).



المعنى في الشرع:

دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على نفي صفة العيب والنقص وهي: (الإكراه) عن الله تبارك وتعالى وقد تضمنت هذه الأدلة على أدب من الأداب الجليلة: أن لا يعلق العبد الدعاء إلى الرب، ولا يتردد، بل عليه الجد والعزم والاجتهاد في الطلب، من غير ضعف، ولا تردد، بأي حال من الأحوال، ومن ذلك: التعليق على المشيئة، كما ضرب ﷺ أمثلة على ذلك: «**اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، اللهم ارزقني إن شئت**».

ثم بيَّن ﷺ علة هذا النهي: بـ (إنَّ) المكسورة المشددة والتي هي من أحرف التعليل، والتي تفيد: التوكيد، والعلية[1]، كما في قوله ﷺ: «**فإن الله لا مستكره له**» وفي لفظ آخر: «**إنه يفعل ما يشاء لا مكره له**». وفي رواية أخرى: «**فإن الله صانع ما شاء لا مكره له**».

وقوله ﷺ: «**إذا دعى أحدكم فليعزم المسألة**». «أي: فليطلب طلباً جازماً من غير شك، ويجتهد في عقد قلبه على الجزم بوقوع مطلوبه، إحساناً للظن بكرم ربه تعالى، ثم بيّن العزم بقوله: «ولا» تعليق ذلك بنحو مشيئته: «**فلا يقل اللهم إن شئت فاعطني**»، بهمزة قطع، أي: لا يشترط شيئاً بعطائه، لأن من اليقينات أنه لا يعطي إلا إن شاء سبحانه، فلا معنى لذكر المشيئة».[2]

---

(١) انظر: القياس في القرآن والسنة النبوية (١٦٣).

(٢) فيض القدير للمناوي (١/٣٤٢).

وقوله ﷺ: «**فإنه لا مستكره له**»: بكسر الراء، و في رواية كما تقدم: «**لا مكره له**»، أي: يستحيل أن يكرهه أحد على شيء، لأن الأسباب (والمسببات) إنما تكون بمشيئته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو تعالى إذا أراد إسعاد عبد من عبيده ألهمه الدعاء، وليس في الوجود من يكرهه على خلاف مراده جل جلاله، فالتعليق بالمشيئة وغيرها من قبيل العبث، الذي ينزه جانب المدعو المقدس عنه.

والمراد: أن الذي يحتاج إلى التعليق بالمشيئة مع أنه مطلوب في كل شيء في المستقبل، إذا كان المطلوب منه يتأتى إكراهه على الشيء، فيخفف الأمر عليه، ويُعلم بأنه لا يطلب منه ذلك الشيء إلا برضاه، وأما الله سبحانه فإنه منزه عن ذلك، فليس للتعليق فائدة.[1]

وبالجملة فإن تحريم تعليق الدعاء بالمشيئة يرجع إلى عدة أسباب، منها:

الأول: أنه ينبئ عن استغناء الداعي عما يدعو، وعدم مبالاته إن حصل أو ما حصل، وهو خلاف الواقع، وخلاف العبودية الواجبة على العبد، الذي لا ينفك عن الفقر والاحتياج إلى الرب، وهذه حال كل الخلق.

الثاني: إشعار ذلك بأن الله تعالى له من يكرهه، أي: قد يعطي ما يكره عطاءه، والله سبحانه منزه عن ذلك، لأنه تعالى لا يفعل إلا

---

(١) انظر: الفتح (١١/١٤٤)، وفيض القدير (١/٣٤٢)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٧/٩).

ما شاءه، فهو سبحانه لا يحمله دعاء ولا غيره، على فعل ما لا يريد، فلا يمكن أن يقع في الوجود إلا ما شاء، أما المخلوق فإنه قد يكره على فعل ما لا يريد.

الثالث: أنه يدل على أن الإنسان يعاظم على الشيء أن يعطيه الله إياه، كما في لفظ آخر، «**فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**»[1] فإنه ينبئ عن ظن الإنسان بأن هذا شيء عظيم على الله، لا يقدر أن يعطيه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.[2]

رابعاً: أن الداعي إذا لم يكن جازماً لم يكن رجاؤه صادقاً قوياً، لأن الباعث على الدعاء هو الرجاء، وذلك: لأن روح الدعاء وسره، هو رغبة النفس في الشيء، مع تطلعها إلى الملأ الأعلى، والطلب بالشك يشتت العزيمة، ويفتر الهمة.

خامساً: أن عدم الجزم فيه سوء ظن بالله تعالى، لأن الداعي إذا لم يدعُ ربه على يقين أنه يجيبه، فعدم إجابته إما لعجز المدعو، أو بخله، أو عدم علمه بالابتهال، وكل هذا محال على الله تعالى.[3]

ففي هذه الأحاديث أنه ينبغي للداعي أن يجتهد ويبالغ في الدعاء والإلحاح، مع اليقين بالإجابة والعطاء، وهذا من حسن الظن بالكريم الوهاب، الذي لا يخيب من لاذ به وطرق أعظم الأبواب.

---

(١) مسلم (٢٦٧٩).

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري (٦/ ٢٠٠)، ومسلم (٧/ ٥٥٧) لابن عثيمين، وشرح كتاب التوحيد (١/ ٥٦٤، ٥٩٢) للغنيمان.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١/ ٣١٢)، والمنهاج للحليمي (١/ ٥٢٧)، وفيض القدير: (١/ ٢٢٨) (١/ ٣٤٢).

فائدة:

ينبغي أن يعلم أن النهي عن التعليق خاص بما هو خير محض من المطالب الدينية، كسؤال الرحمة، والمغفرة، والمطالب الدنيوية المعينة على الدين، كالعافية والرزق، وأما الأمور التي لا يتحقق العبد مصلحتها وعواقبها، فيعلقها على اختيار ربه له، كما في دعاء الاستخارة الوارد.[1]

دلالة نفي (الإكراه) على صفات الله تعالى

دل هذا النفي على كمال فعل الله تعالى، فهو سبحانه: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ (البروج) وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ (الحج)، وهذا من كماله تعالى أن يكون فعالاً لما يريد، كيف يريد، ومتى يريد، فهو فعال لما يريد في أي وقت، وعلى أيّ كيفية.

فهي كمال في وقتها، وعند وجود سببها، فهي (أي: أفعاله) لا يحصى أنواعها، فضلاً عن أفرادها، كما دلت صيغة المبالغة في قوله (فعَّال)، وهي صيغة مبالغة من الفعل، بمعنى: الذي يكثر منه الفعل، وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ (الحج).

فدل على أن أفعاله سبحانه لا حصر لها، ولا نهاية لها، وأنها حاصلة بمشيئته النافذة، وقدرته الشاملة، وحكمته البالغة، فكل ما أراد فعله تعالى، واقتضته حكمته، فعله سبحانه، ولا يرده أحد عن مراده.

---

(١) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية لأبي عبدالرحمن جيلان العروس (١/١٨٧).

وهذا من كمال قوته، وقدرته سبحانه، أن كل أمر يريده فعله، لا يمتنع عليه شيء، ولا يتعاصى عليه شيء، ولا يعارضه أحد، وليس له ظهير ولا عوين، ولا مساعد على أي أمر يكون، بل إذا أراد أمراً قال له: «كن فيكون»، ومع أنه فعال لما يريد، فلا يريد إلا ما اقتضته حكمته، وحمده، فجميع أفعاله تابعة لحكمته، فهو تعالى موصوف بالكمال من جهتين:

من جهة كمال القدرة، ونفوذ الإرادة، وأن جميع الكائنات قد انقادت لمشيئته وإرادته، ومن جهة الحكمة، فلا تكون إلا حيث اقتضتها الحكمة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ (الإنسان).[1]

ولهذا فهو سبحانه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الأنبياء) لأن أفعاله متضمنة للحكمة من كل وجوهها.

فهي متضمنة للحكمة كذلك لنزاهتها عن العبث، والظلم، والجور. لأنها على سنن الهدى، والعدل، والرحمة، فلا يتوجه إليه سوال، ولا يقدح في حكمته مقال، وهي متضمنة للحكمة أيضاً: لكثرتها، ووقوعها حسب مراده سبحانه، واختياره.

ولا يقع شيء من أفعال الله تعالى إلا باختياره، وإرادته، «فلا

---

(١) انظر: تفسير السعدي (٣٩٠) فتح الرحيم الملك (٢٧)، وشرح القواعد المثلى (١٢٣)، وشرح عقيدة أهل السنة (١٩٣) وشرح صحيح البخاري لابن عثيمين (١٦١/١).

أحد يمكنه أن يعارضه إذا شاء شيئاً، بل هو قادر على فعل ما يشاء، بخلاف المخلوق الذي يشاء أشياء كثيرة، ولا يمكنه أن يفعلها»[1]، «وإن قدر على فعل، عجز عن غيره».[2]

ومن أوصاف الكمال المتضمنة لنفي الإكراه عن الله سبحانه: أنه يدل على كمال الكبرياء، المشتقة من اسمه تعالى (المتكبر) وهو: الامتناع، وقلة الانقياد، فهو سبحانه الذي تكبَّر عن المذام، فلا يمانع، ولا يضاد، ولا يرام، جل جلاله، وكذلك على عظمة الله تعالى، الذي من أسمائه (العظيم) وعلى تمام العزة من (العزيز) وكمال قهره (القاهر، القهار)، ونفوذ السلطان والملك، لكل الأكوان، المشتق من أسمائه (المالك، المليك، الملك) فإذا كانت هذه أوصافه الكمال، وأسماؤه الحسان، وأفعاله التمام الجلال، فأنى يكون له مكره من أحد من الأنام.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٢٢٥).

(٢) المنهاج (١/١٩٨).



٣٥ ـ نفي (الشَّر عن الله) سبحانه

صفة شرعية، سمعية، وفطرية، جاءت في السنة المطهرة.

الأدلة الشرعية:

السنة النبوية:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، أنه كان إذا قام من الصلاة قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً، وما أنا من المشركين... إلخ**» وفيه: «**والخير كله في يديك، والشر ليس إليك**».[١]

المعنى في اللغة:

الشّر: نقيض الخير، وهو: السوء، والفساد، والظلم، والجمع شرور، والشُّر بالضم: المكره، وما قلت ذاك لشرك: أي: لشيء تكرهه، ويكون قولاً، أو فعلاً، أو وصفاً، أو اسماً، وقوله ﷺ: «**والشر ليس إليك**»: نفى عنه الظلم، والفساد، لأن أفعاله تعالى صادرة عن حكمة بالغة، والموجودات كلها ملكه سبحانه، فهو يفعل في ملكه ما يشاء، فلا يوجد في فعله ظلم، ولا فساد.[٢]

---

(١) مسلم (٧٧١).

(٢) المصباح المنير (١٨٠)، والقاموس، وانظر: التسبيح في الكتاب والسنة (٢/٢٩٦).

المعنى في الشرع:

تضمن دعاء النبي ﷺ الذي هو من جوامع الكلم على جلّ المطالب، والمجاميع العبودية لله تعالى الظاهرة والباطنة، والذي في مضامينه أنبل الألفاظ، وأشمل المعاني في الثناء على الله تعالى، بإضافة كل أنواع الخيرات الحسية والمعنوية، العلمية، والعملية، والظاهرية والباطنية إليه سبحانه، كما في قوله: «والخير كله في يديك» ثم تنزيهه تبارك وتعالى كذلك عن كل أجناس الشرور، وهي تعم كل أنواع وأفراد الشرور، والسوء، كما دلت صيغة (كل) والتي تفيد العموم، والشمول، كما هو معلوم عند أهل اللغة، والأصول، وهذا يتضمن «نفي إضافة الشر إليه تعالى (ذاتاً)، وفعلاً، ووصفاً، واسماً»[1] وملكاً، وسلطاناً، واختصاصاً.

وللعلماء في معنى قوله ﷺ: **«والشر ليس إليك»**: عدة أقوال وتوجيهات نذكرها موجزة:

أحدها: معناه: أن الشّر ليس مما يتقرب به إليك، أرشد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله تعالى، بأن يضاف إليه محاسن الأمور، دون مساويها.[2]

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم (٤١٣).

(٢) شأن الدعاء للخطابي (١٥٣)، وفتح الباري (٥٤١/١٣)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٣١/٣)، والعلم الهيب في شرح الكلم الطيب للعيني (٢٦٨).



والثاني: أن الشر لا يصعد إليك، وإنما يصعد إليك الكلم الطيب، والعمل الصالح.[١]

الثالث: أن الشر ليس مما يضاف إليك إفراداً وقصداً، فلا يقال ـ مثلاً ـ: يا خالق القردة والخنازير ونحوها، من سفل الحيوان، ولا يقال كذلك: يا خالق الشر، أو يا رب الشر، وإن كان هو سبحانه خالق كل شيء، ورب كل شيء، ومقدره، وموجده، وحينئذ يدخل الشر في العموم.[٢]

الرابع: أن معناه: والشر ليس شراً بالنسبة إليك، فإنك خلقته بحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين.[٣]

الخامس: أنه كقولك: فلان إلى بني فلان، إذا كان عداده فيهم، أو صنفوه إليهم.[٤]

السادس: أن معناه: امتناع إضافة الشر إليه تعالى بوجه من الوجوه، فإن الشر لا يلحق ذاته سبحانه، ولا يدخل في شيء من أسمائه، ولا في صفاته، ولا في شيء من أقواله، وأفعاله، وقضائه، وأحكامه كلها، فالشر ليس إليه سبحانه مطلقاً بوجه من الوجوه.

---

(١) شرح النووي (٣/٣١٧)، والعلم الهيب (٢٦٨).

(٢) شأن الدعاء (١٥٣)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٣/٣١٧)، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (٩٤).

(٣) العلم الهيب (٢٦٨)، وشرح صحيح مسلم (٣/٣١٧).

(٤) شرح صحيح مسلم (٣/٣١٧).

وكل هذه التوجيهات السابقة صحيحة، إلا أن آخرها هو أجمعها، وأتمها، وأكملها قدراً، وجلالاً، من المعاني المذكورة قبله.

ولهذا ينبغي أن يعلم أنه لا يجيء في كلام الله تبارك وتعالى، وكلام رسوله ﷺ إضافة الشر وحده إلى الله تعالى، بل لا يذكر الشر إلا على أحد وجوه ثلاثة:

الأول: إما أن يدخل في عموم المخلوقات، فإنه إذا دخل في العموم، أفاد عموم القدرة، والمشيئة، والخلق، وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾﴾ (الزمر)، ونحو ذلك...

ثانياً: أن يحذف فاعل الشر، ويُبنى الفعل معه للمفعول، كقوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴿١٠﴾﴾ (الجن) فنسبوا إرادة الرشد إلى الرب، وحذفوا فاعل إرادة الشر، وبنوا الفعل للمفعول.

ومنه قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ (الفاتحة) حيث أضاف النعمة إلى الله سبحانه، وأخبرهم أنهم هم الضالون، وحذف فاعل الغضب، وبناه للمفعول.



ثالثاً: أن يضاف الشر إلى السبب الفاعل المخلوق:

مثل قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ (العلق)، فالشر في هذه السورة مضاف إلى أسبابها المخلوقة، ويتضمن شر المخلوقات عموماً، وخصوصاً.

ثالثاً: إضافة إلى السبب، كقوله سبحانه: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ (العلق). وقوله سبحانه: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ (الكهف)، وقوله تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝٧٩﴾ (النساء) وأمثال ذلك:

ولهذا ليس من أسماء الله تعالى اسم يتضمن الشر، وإنما يذكر الشر في مفعولاته، كما قال تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ (الحجر)، وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩٨﴾ (المائدة)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٦٧﴾ (الأعراف).

فجعل تعالى المغفرة والرحمة من معاني أسمائه الحسنى، التي يسمى بها نفسه، فتكون المغفرة والرحمة من صفاته، ومن موجب نفسه المقدسة، ومقتضاها، ولوازمها، وأما العذاب والعقاب الذي

يتصل بالعباد، فهو مخلوق له، وذلك هو الأليم والشديد، فلم يقل سبحانه: وإني أنا المعذب، أو المعاقب.[1]

وبهذا ينبغي أن يعلم في هذا المقام العظيم الذي هو أجل مسائل الدين، لتعلقه بأعظم أركان الإيمان، الذي هو أصلها، وأساسها، وهو: الإيمان بالله تبارك وتعالى، وهو يشمل الإيمان: بوجوده، وبربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأقواله، وكذلك الإيمان بأحد أركانه الستة، وهو الإيمان: بالقدر والقضاء، خيره وشره، ولهذا أسهبت في البيان، لعظم ذلكم التعلق، ولذا ينبغي أن يتحقق فيه، وفق الفهم الصحيح على منهج أهل التوحيد، أهل السنة والجماعة، الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة.

فإذا بان لك ذلك فلابد من الزيادة والإيضاح والبيان في هذه المسائل الجليلة:

أنه يجب أن يفرق بين ما هو قائم بذات الله تعالى: من قول، وفعل، وقضاء، وقدر، وخلق، ومما يدخل في صفاته الفعلية الصادرة عنه سبحانه بقدرته، ومشيئته، وإرادته.

وبين ما هو منفصل عنه تعالى، غير قائم به من مفعول، أي: مخلوق، وخلق الله تعالى للشيء وفعله له، ليس هو نفس الشيء المخلوق، ولا نفس الشيء المفعول.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٩٤-٩٦) و(١٤/٢٧٢ - ٢٧٣) و(١٧/٩٤ - ٩٥)، ومنهاج السنة النبوية (٥/٤٠٩ - ٤١١)، ومدارج السالكين (١/٣٥)، وشرح العقيدة الأصبهانية (٤٢٦)، وبدائع الفوائد (١/٢٥٩، ٤٣٧، ٥٢١)، وطريق الهجرتين (٢٣٩).

فما هو قائم بذات الله تبارك وتعالى خير كله، منزه عن الشر كله، وما هو منفصل عنه من مخلوقات، ففيه خير من وجه، وشر من وجه آخر، لكن إيجاد الله سبحانه لهذه الأشياء ليس شراً، بل هو خيرٌ محض، وإنما الشر كما سبق في المفعولات، أي: المخلوقات، لا في الأفعال، أما الخير فهو في المفعولات، والأفعال، ولهذا أمرنا بالاستعاذة «**من سوء القضاء**»[1] وكذلك في دعاء القنوت: «**وقني شر ما قضيت**».[2]

أي: شر الذي قضيته، فإن الله تعالى قد يقضي بالخير، ويقضي بالشر لحكمة بالغة، فقضاؤه بالخير فهو خير محض في القضاء، والمقضي، أي: في الفعل، والمفعول، مثل: قضاء الله للناس بالرزق، والأمن، والهداية، والنصر، ونحو ذلك، أما قضاؤه بالشر، فهو خير في القضاء، لأنه فعله وخلقه، فإن فعله وخلقه كله خير محض، من كل الوجوه، وشر في المقضي، وهو المفعول: مثل القحط، فهو خير من ناحية تذكير الناس بربهم، ولجوئهم إلى الله سبحانه كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ (الروم).

فظاهر هذه الأمور من المصائب شرّ، ولكنها في حقيقة الأمر خير

---

(١) البخاري (٧٤٣٦)، ومسلم (٧٠٧٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٧٣٣) وقال محققو المسند: إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٣٧)، وصحيح النسائي (١٧٤٥).

من وجه آخر، ولهذا ينبغي أن يعلم علم يقين أن الله عز شأنه لا يخلق شراً محضاً، لا خير فيه ألبتة، فكل شر مهما عظم وكبر، فلابد فيه من الخير، فكون الشر في المخلوقات، لا يقتضي إضافة الشر إليه تعالى بوجه من الوجوه، فإذا قيل: إن الله سبحانه هو خالق الخير والشر، فالمراد بالشر هنا: ما هو شر من غيره، وغيره خيرٌ منه.

فعلم بهذا أن الموجودات التي خلقها الله تعالى، ليس فيها ما هو شر كلي مطلق عام، وإنما فيها شر إضافي مقيد خاص إلى المحل المعين، الذي هو شر في حقه، وفيه وجه آخر هو به خير وحسن، وهو أغلب وجهيه، لما تضمن من الحكمة والعدل، في خلقه، وتقديره، وأنه ينبغي أن يعلم في هذا المقام: أن كل ما خلقه الله تعالى وأوجده، فوجوده خير من عدمه.[1]

دلالة نفي (الشر عن الله) على صفاته تعالى

دل نفي الشر عن ربنا العظيم على كماله، وجلاله من جميع الوجوه، على الوجه الأقصى، على الإطلاق، على الآباد بلا انتهاء، فإن تنزيه الله تعالى - كما تقدم - عن الشرور، والسوء، والمذام، أنه لا يلحق الشر في ذاته العليّة، ولا يدخل في أسمائه الحسان، ولا في صفاته العلا الكمال، ولا في أفعاله التمام، ولا في سلطانه

---

(١) انظر مجموع الفتاوى: (٦/٢٩٨)، و(٨/١٢٦)، (١٤/٢٦٦)، وشفاء العليل (٢/٤٣، ٦٤، ٦٨، ٧١) وبدائع الفوائد: (١/١٨٠) و(١/٤٥)، وحادي الأرواح (٤١٣)، ومدارج السالكين (٢/١٩٤) (١/١٥٩)، وشرح صحيح مسلم (١/٨٢ - ٨٣) لابن عثيمين.

وملكه، لكل الأكوان، ولا في أقواله التامات الكاملات الجلال، ولا في قضائه، وقدره، ولا في شرعه، وأمره، ونهيه، لكماله تعالى من جميع الوجوه على الإطلاق، الذي له من كل كمال أكمله، وأعظمه، وأوسعه، وغايته، بحيث لا يكون وراءه كمال، الذي ليس له حدود، ولا مقيد بقيود.

فهو تعالى منزه عن الشر في «ربوبيته، (لأنه) لا شريك له في ملكه، ولا مضاد، وفي ألوهيته، فليس له ندّ في المحبة، والتعظيم، والتعبيد، وإفراده بالوحدانية، وإخلاص الدين له وحده».(١)

وهو تعالى منزه في ذاته عن الشر، لأنها أعظم، وأجل، وأكمل، وأرفع الذوات على الإطلاق، فلا تدرك، ولا يحيط بها أحد من العباد، تعالى سبحانه فوق عرشه، فوق كل المخلوقات.

وفي أسمائه: لأنها كلها أسماء حسان «ليس فيها اسم يتضمن السوء، أو الشر، وليس في الأسماء أحسن منها، ولا يقوم مقامها، ولا يؤدي معناها»(٢)، ولهذا وصفها سبحانه بـ (الحسنى)، على وزن (أفعل) التفضيل، أي: البالغة في الحسن غايته، فهي أكمل وأعظم ما يكون من الحسن، لإنبائها عن أحسن المعاني، وأشرفها.(٣)

المنزه في صفاته: لأنه تعالى موصوف بكل وصف كمال، منعوت

---

(١) انظر: فتح الرحيم الملك (٣٦، ٧١)، ومعارج القبول (١/١٣٦).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/١٦٨).

(٣) انظر: روح المعاني (١/١٦٨)، ومدارج السالكين (١/١٢٥)، وشرح القواعد المثلى (٢٧).

بالأوصاف العلا والجلال، «الذي لم يبق صفة كمال إلا اتصف بها، ووصف بغايتها، بحيث لا تحيط الخلائق ببعض تلك الصفات بقلوبهم، ولا تعبر عنها ألسنتهم، وما من كمال تفرضه الأذهان، ويقدره المقدرون، إلا والله تعالى أعظم من ذلك».[1]

ومنزه سبحانه في أفعاله: لأنه ليس في أفعاله عبث، ولا سفه، ولا خطأ، لأنها كلها أفعال حكمة، ورحمة، وهدى، وعدل، وفضل.[2]

وفي سلطانه وملكه: لأنه ليس له شريك، ولا مضاد، ولا مغالب، ولا وزير، ولا مشير، ولا معين، في أنواع التصرفات في ملكه، فهو ماضٍ فيهم حكمه، وقضاؤه بالعدل، نافذ فيهم مشيئته، فتصرفه في الممالك كلها وحده، تصرف ملك قادر، قاهر، ومع ذلك رحيم، ورؤوف، وكريم، وجواد، لا يظلم أحداً من العباد.

المنزه في كلماته وأقواله: فهي صدق في الإخبار، وعدل في الأحكام، لا تنفد كلماته، وأوامره الكونية، والشرعية، فقد «أخبر سبحانه عن سعة كلامه، وعظمة قوله، بشرح يبلغ من القلوب كل مبلغ، وتنبهر له العقول، وتحير فيه الأفئدة، وتسبح في معرفته أولو الألباب، والبصائر، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ (لقمان)».[3]

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (٢٩١)، وفتح الرحيم (٢٣).

(٢) معارج القبول (١/١٣٦).

(٣) تفسير السعدي (٦٥١).

وقال عز شأنه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ (الكهف).

وفي قضائه وقدره: وهو كما تقدم أن قضاءه الذي هو فعله وحكمه، فهو خير محض، منزه عن الشر من كل وجه، ومن نزاهته فيهما: أنه تعالى يقدر ويحكم بكل ما أراد، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه من أحد، يفعل ويحكم ما يشاء على ما يريد، في كل العبيد.

وهو المنزه في شرعه: في أمره ونهيه: فهو أحسن الشرائع، لما تضمنه من المنافع لكل الخلائق، فلا يأمر إلا بالخير الذي به تحصيل المصالح، وتكميلها، وتعطيل المفاسد، وتقليلها، فهو لا يأمر إلا بما فيه مصالحة خالصة، أو راجحة.

وفي نهيه: أنه سبحانه لا ينهى إلا عن الشر المضاد للخير، والمسبب للفساد، فليس في الشريعة أمر بفعل إلا ووجوده خير من عدمه، ولا نهي عن فعل، إلا وعدمه خير من وجوده، فهو تعالى لا ينهى إلا عما فيه مضرة خالصة، أو راجحة.[1]

فهو تعالى المنزه في أحكامه كلها، وهي: أحكامه القدرية الكونية، وأحكامه الجزائية، وأحكامه الشرعية، لا يشاركه فيها مشارك، ولا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال، فهي كلها جارية في نفسها على الحكم، والغايات الحميدة في أصلها، وفرعها، وغاياتها،

---

(١) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ١٣٠)، وشفاء العليل (٢/ ٦٧)، والحق الواضح (٥٣)، وفتح الرحيم (٢٤).

وثمراتها.[١] فتضمن ما تقدم أن ربنا جل جلاله منزه عن فعل الشر، لأنه تعالى كامل الصفات، حاز على كل الأسماء، ولا يكون عن الكامل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، إلا الفعل المحكم.[٢]

وتضمن هذا النفي على: أنه تعالى هو (الغني)، (الحميد): لأن فاعل الشر لا يفعله إلا لحاجته المنافية لغناه، أو لنقصه وعيبه المنافي لحمده، فلا يصدر الشر من الغني الحميد، وإن كان هو الخالق للخير والشر[٣] كما تقدم.

وإنما يضاف إليه تعالى الخير كله، لأنه سبحانه لا يريد إلا الخير، ولا يحب إلا الخير، ولا يقول إلا الخير، ولا يفعل إلا الخير، ولا يوصف إلا بالخير، ولا يسمى إلا بالخير، فالخير كله منه، وله، وفي يديه، ليس لأحد معه منه شيء.[٤]

فكل ذرة من ذرات الكون المرئية والمخفية، شاهدة بإضافة الخير إليه، وتنزيهه عن إضافة الشر إليه، ولهذا سبح بحمده كل من في الأرض والسموات، ومن فيهن: من الجمادات، والناطقات، في كل اللحظات: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ (الإسراء).

---

(١) توضيح الكافية الشافية (١٢٠ - ١٢١).

(٢) طريق الهجرتين (٢٤٨) بتصرف يسير.

(٣) بدائع الفوائد (١/٥٤).

(٤) انظر: شفاء العليل (٢/٣٧، ٦٣)، وطريق الهجرتين (٢٣٩).



٣٦، ٣٧ ـ نفي (تبديل، أو تحويل سنة الله) سبحانه

صفة منفية خبرية ثبتت بالقرآن العظيم.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال سبحانه وتعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ (الأحزاب).

٢ ـ وقال جل ثناؤه: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ (فاطر).

المعنى في اللغة:

السُّنَّة: الطريقة، يقال: جاءت الرياح سناسن: على طريقة واحدة، والأصل فيها: الطريقة، والسيرة حميدة كانت، أو ذميمة، والجمع سنن، مثل: غرفة وغُرف، وقوله ﷺ: «**سُنّوا بهم سنة أهل الكتاب**»، أي: (المجوس)، أي: اسلكوا بهم مسلكهم وطريقهم في قبول الجزية منهم مجراهم.

وإذا أطلقت في الشرع، فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ، ونهى عنه، وندب إليه قولاً، وفعلاً، مما لم ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يقال: في أدلة الشرع: الكتاب والسنة، ومنه سِنة الله، أي:

طريقة شرائعه، وتطلق باعتبار طريقة حكمته، وطريقة شرائعه وطاعاته.[1]

التبديل: الإبدال والتبديل والاستبدال: جعل شيء مكان آخر، وهو أعم من العوض، فإن العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول، والتبديل قد يقال للتغيير مطلقاً، وإن لم يأت ببدله، والتبديل: تغيير حال الشيء.[2]

التحويل: أصل التحول: تغير الشيء، وانفصاله عن غيره، وحولت الشيء فتحول: أي غيرته، إما بالذات، وإما بالحكم، والقول.[3]

المعنى في الشرع:

جاءت هذه الصفة المنفية في كتاب الله تعالى في سياق الوعيد البليغ والتهديد، والإنذار الشديد، لمن تمادى وعادى وطغى، فأوعده الله سبحانه بهلاكه وخسرانه، والسنة: وهي كما تقدم: طريقته، وعادته سبحانه.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: هل ينتظرون، الذين تمادوا في العصيان، وتجرؤوا على الأذى، من ذلك: تكذيب الرسول ﷺ: «**إلاّ سنة الأولين**» أي: الطريقة التي جرت للأولين، وهي: التعذيب، فإنهم عوقبوا عقوبة بليغة بتعذيبهم، بتكذيبهم للرسل.

(١) عمدة الحفاظ (٢٢٧)، والنهاية (٤٤٩)، والقاموس المحيط (٦٨٤)، والمصباح المنير (١٦٩).
(٢) المفردات (١١١)، وعمدة الحفاظ (١/١٦٧).
(٣) عمدة الحفاظ (١/٤٦٧ - ٤٦٩).

٣٦، ٣٧. نفي (تبديل، أو تحويل سنة الله) سبحانه

ثم قال سبحانه: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾، (تبديلها)، برفعها، أو (تحويلها): بتغييرها إلى قوم آخرين، يعني: أن سنة الله ستقع في أعيان الذين يستحقونها، فلن تبدل فترفع، ولن تحول إلى قوم آخرين فيسلم منها من استحقوها، بل هي واقعة على من استحقوها عيناً، فالعذاب لن يبدل بنعيم، ولن يحول عن مستحقه إلى قوم آخرين، بل هي دائمة في أمثال هؤلاء في الخلف والسلف، يجريها مجرى واحداً في الأمم، لإثباتها على أساس الحكمة، التي يدور فيها فلك التشريع.

فسنة الله تعالى وعادته جارية مع الأسباب المقتضية لمسبباتها[1]، ولهذا أكد تعالى بنفي أن يحول أحد ما جرت به سنة الله من العذاب، فيدفعه عنهم، ويضعه على غيرهم، بالنكرة في سياق النفي، والمعنى: لن تجد لسنن الله تعالى مع الذين خلوا من قبل، ولا مع الحاضرين، ولا مع الآتين تبديلاً.

ولهذا جاء تخصيص كل منهما بنفي مستقبل، لتأكيد انتفائهما **﴿فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾**، وفي هذا بيان بأن الله تعالى لا يخالف سنته، لأنها مقتضى حكمته، وعلمه، فلا تجري متعلقاتها، إلا على سنن واحد، وهذا الوعيد منه

---

(١) تفسير سورة الاحزاب لابن عثيمين (٨/١٦٧-١٦٩)، وفتح البيان لحسن صديق خان (٥/٤١١، ٤٨٩) وتفسير السعدي (٦٧٢).

تعالى[1] «لكل من سار في الظلم والعناد، والاستكبار على العباد، أن ينتظر ما يحل به من نقمته، وتسلب عنه نعمته».[2]

وينبغي أن يعلم أن سنة الله نوعان: سنة كونية، وسنة شرعية، أما السنة الشرعية، فإنها تكون بحسب مصالح العباد، وتختلف (في) الأمم، كما قال تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨)، وإن كانت هذه الشرائع كلها تتفق في أصول التوحيد.

أما السنة الكونية: فهي ما يجريه الله تبارك وتعالى قدراً من العقوبات وغيرها، وهذه السنة لا تتبدل ولا تتغير، وإن كان الله تعالى قد يضاعف العقوبة على بعض الناس دون بعض، كما قال تعالى في نساء النبي: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ (الأحزاب) أما السنة الشرعية: فيمحو الله ما يشاء ويثبت، وربما تبدل، لكن سنة الله تعالى الكونية لن تجد لها تبديلاً، لا منه سبحانه، ولا من غيره، في إنزال العقوبة بمن يستحقها، وإن كانت هذه العقوبة لن تختلف، لكن لابد للمخالفين من عقوبة، والله اعلم.[3]

---

(١) انظر: تفسير الطاهر بن عاشور (١١٢/١١)، وتفسير أبي السعود (٢٨٦/٥).

(٢) تفسير السعدي (٦٩١).

(٣) تفسير سورة فاطر لابن عثيمين (٥٦٩/٧ - ٥٧٠).



دلالة نفي (تبديل أو تحويل سنة الله) على صفاته تعالى

نفي تبديل أو تحويل سنة الله سبحانه يدلُّ على كمال حكمة الله تعالى، وإلى كمال عدل الله تعالى، وتمام سلطانه، وتمام قدرته (ونفوذ إرادته ومشيئته سبحانه، وكمال أفعاله) أما أنه تعالى كامل الحكمة: فلن يبدل النقمة بنعمة على من استحقها، ثانياً: كامل العدل: لا يمكن أن يحول الانتقام إلى قوم آخرين لا يستحقونه.

وتمام سلطانه أيضاً: بحيث لا يكرهه أحد على أن يحول النقمة إلى آخرين، أو أن يبدلها بنعمة.

ووجه كونها من تمام القدرة: أن العاجز لا يستطيع أن يجعل أفعاله على وتيرة واحدة، بل قد تتخلف وتتغير لعجزه عن الإطراد[1]، وعلى نفوذ إرادته ومشيئته: أنه تعالى لا يمنعه أحد عن مراده، فمتى أراد أن يبدل أو يغير، فلن يحجبه أحد، لأنه تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ (البروج)، على أي كيفية، وفي أي وقت فعل، كما يريد سبحانه.

---

(١) المصدر السابق (٨/١٦٧، ١٦٩).



٣٨ـ نفي (الإحاطة بالله علماً) سبحانه

جاءت هذه الصفة المنفية في الكتاب الحكيم، وقد تقدم في بيان نفي الإدراك هناك بالبصر، وهنا بالعلم، وهي صفة شرعية، نقلية، وفطرية عقلية.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ (طه).

المعنى في اللغة:

الإحاطة: المنع، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ (يوسف: ٦٦). أي: إلا أن تمنعوا. والإحاطة تقال على وجهين: أحدهما: في الأجسام، نحو أحطت بمكان كذا، أو تُستعمل في الحفظ نحو: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ (فصلت) أي: حافظ له من جميع جهاته، وتستعمل كما تقدم في المنع.

والثاني: في العلم، نحو قوله: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ (الطلاق). والإحاطة بالشيء علماً، هي: أن تعلم وجوده، وجنسه، وقدره، وكيفيته، وغرضه المقصود به، وبإيجاده، وما يكون به، ومنه، وذلك ليس إلا لله تعالى.[1]

---

(١) المفردات (٢٦٥)، وعمدة الحفاظ (٤٦٦/١ - ٤٦٧).



٣٨ـ نفي (الإحاطة بالله علماً) سبحانه

المعنى في الشرع:

نفى ربنا جل جلاله أن يحاط به علماً، كما لا يحاط به سبحانه سمعاً، ولا بصراً[١] فقال عز من قائل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ﴿١١٠﴾﴾ أي: أنه تعالى لا يحيط علمهم بمعلوماته سبحانه، فلا يحيط الخلائق علمهم بذاته، ولا بصفاته، ولا بمعلوماته، فمن حيث اتصافه تعالى بصفة الكمال التي من جملتها العلم الشامل.[٢]

يقول ابن القيم رحمه الله: «إن الله سبحانه لا يُحاط به علماً، ولا معرفة، ولا رؤية، فهو أكبر من ذلك، وأجل، وأعظم».[٣]

وينبغي أن يعلم أن المنفي هنا: الإحاطة، وهي: معرفة الشيء بكيفيته، وحقيقته، فيدخل معرفة جنسه، وشكله، وقدره، وغير ذلك. كما تقدم.

أما أصل العلم: بوجوده، وما له من الكمال العلا في صفاته، والأسنى في أسمائه، وغير ذلك مما هو مفطور في القلوب السليمة، فهذا العلم ليس المقصود النفي منه، بل هو حقيقة الإيمان، ولبّه، وأصله، عند أهل الإسلام، فضلاً أنه كما تقدم مفطور به عند كل الأنام، ما لم تتنجس بشياطين الإنس والجان.

---

(١) تفسير سورة البقرة (٢٦٠/٣) لابن عثيمين.

(٢) انظر: روح المعاني للألوسي (٣٨٨/٩)، وتفسير الشوكاني (١٠٨٢).

(٣) مدارج السالكين (٣٥٣/٣).

فالله تبارك وتعالى يُعلم في القلوب ولكن لا يدرك، ولا يحاط بكيفية ذاته المقدسة، وأسمائه، وصفاته العلية، وأفعاله الجليلة، مع إيماننا بحقائق هذه المنفيات، التي حجبت عنا، فينبغي الإيمان بها: كما نطقت به النصوص الشرعية، مع قطع الحجاب عن ما ليس لنا به علم، من هذه الأدلة السنية، قال ربنا العظيم: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الأعراف)، وقال عز شأنه: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾﴾ (الإسراء).

ونوجز «سبب عدم إحاطة العلم بالله تعالى، **الأول:** أن الله سبحانه وتعالى لم يكلف أحداً من عباده، بمعرفة كنه ذاته، وكيفيتها، ولا أراد منهم، ولم يجعل لهم إليه سبيلاً.

والثاني: أنه لا سبيل للقوى البشرية إلى معرفة ذلك، والإحاطة به معرفة، وعلماً».[1]

دلالة نفي (الإحاطة بالله علماً) على صفاته تعالى

نفي صفة إحاطة الله تعالى به علماً، لكمال عظمته، وكبريائه، وإحاطته بكل شيء، وأنه سبحانه أكبر من كل شيء[2] وأعلى، وأجل من كل شيء، «وهذا النفي يتضمن كمال علمه، فعلمه محيط بكل شيء».[3]

---

(١) جهود الإمام ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات د. وليد العلي (٢/٧٩٤ - ٧٩٥).

(٢) الصواعق المرسلة: (٣/١٠٢٢، ١٠٢٤).

(٣) شرح العقيدة الأصبهانية (٤٣٧).

٣٨ـ نفي (الإحاطة بالله علماً) سبحانه

فهو سبحانه يحيط بكل الخلائق علماً، ولا يحيطون به علماً، كما أن المؤمنين في روضات الجنان ينظرون إلى الله تعالى، ولا تحيط أبصارهم به من عظمته، وجلاله، وكبريائه، وبصره سبحانه يحيط بهم، فهو جل جلاله: أكبر من أن تحيط به العلوم، والظنون، والأفكار، والأنظار في هذه الدار، وفي دار القرار.

وفي هذا النفي يتضمن كذلك: على كمال عزة الله تعالى، فهو (العزيز): المنيع، «الذي أمنع الأبصار أن تدركه، وعن الأوهام أن تكيفه».[1]

فكيف يحاط به سبحانه وتعالى وهو (العظيم) الذي تضاءلت لعظمته المخلوقات العظيمة، وصغرت لدى كبريائه السموات السبع ومن فيهن، والأرضون ومن فيهن[2]، فما من كمال تفرضه الأذهان، ويقدره المقدرون، إلا والله تعالى أعظم من ذلك، وأجل.[3]

---

(١) الأسنى (٢٤٠).

(٢) تفسير السعدي (٦٣١).

(٣) فتح الرحيم الملك (٢٣).



٣٩ ـ نفي (أن يتعاظم على الله شيء) سبحانه

صفة شرعية ثابتة، وعقلية، بالسنة المطهرة.

الأدلة الشرعية:

السنة النبوية:

١ ـ عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دعى أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**».[١]

٢ ـ وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إذا دعا أحدكم، فليعظم الرغبة، فإنه لا يتعاظم على الله شيء**».[٢]

المعنى في اللغة:

العظم: عَظُم الشيء عِظماً، أي: كبر، وعظامةً أيضاً بالفتح فهو عظيم، وأعظمته بالألف وعظمته تعظيماً، مثل وقرته توقيراً وفخمته، واستعظمته: رأيته عظيماً، وتعظَّم فلان، واستعظم وتعظيم: تكبر، وتعاظمه أمر كذا: عظم عليه، تقول: أصابنا مطر لا يتعاظمه شيء، أي: لا يعظم عنده شيء، والعظمة الكبرياء، والتعظيم: التبجيل، واستعظمه: عده عظيماً، وروي: أن الله تعالى قال: «لا يعاظمني ذنب أن أغفره»، أي: لا يعظم علي وعندي.[٣]

---

(١) مسلم (٢٦٧٩).

(٢) صحيح أبي داود (١٣٣٣)، وصحيح موارد الظمآن (٢/٢٠٣٧).

(٣) النهاية (٦٢٥) والمصباح المنير (٢٤١)، ومختار الصحاح (٢٤٣ - ٢٤٤).



٣٩- نفي (أن يتعاظم على الله شيء) سبحانه

المعنى في الشرع:

جاء نفي هذه الصفة النقيصة في حق ربنا جل جلاله على لسان رسوله ﷺ، وقد تقدم شرح وبيان معنى الصفة المنفية رقم (٣٤): وهي: «نفي أن يكون لله تعالى مكره»، وهنا جاء النفي على أن يتعاظم على الله شيء سبحانه، وكلا الصفتان وردتا في سياق النهي في تعليق الدعاء على المشيئة.

وقد ذكرنا هناك خمسة أسباب في النهي عن ذلك. وهنا نوجز بعض هذه الأسباب، مع ذكر بعض الفوائد الجديدة.

الأول: يوهم بأن الله تعالى له من يكرهُه على الشيء، كما أقول: إن شئت فافعل، وإن شئت فلا تفعل إذا أكرهت، ولهذا قال ﷺ (كما في الرواية الأخرى): «**فإن الله لا مستكره له**» ولا يقال: إن شئت إلا لإنسان له أحد فوقه يكرهه.

الثاني: أنه يدل على أن الإنسان يتعاظم هذا الشيء أن يعطيه الله تعالى إياه، ولهذا قال: «**فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**»، وأنت إذا قلت: إن شئت، فإنه يدل على أنك تتعاظم هذا الشيء، وأن هذا قد يكون عظيماً على الله، فلا يعطيك إياه.

الثالث: أن عدم العزم في السؤال لا يليق بالبائس الفقير ذي الحاجة الشديدة، وإنما ينبئ عن استغناء الإنسان وعدم مبالاته، إن حصل أم لم يحصل، كما تقول مثلاً لشخص من الناس: إن كان ودُّك أن تعطيني كذا وكذا: وإلا فأنا في غنى عنه.

فأنت حين تقول: «**اللهم اغفر لي إن شئت**»، يعني: إن شئت اغفر لي فذلك، وإن لم تشأ فلا يهم[1].

ومن كان هذا حاله لم يتحقق من حالة الافتقار والاضطرار، الذي هو روح عبادة الدعاء، وكان ذلك دليلاً على قلة اكتراثه بذنوبه، وبرحمة ربه، ولا أحد يستغني عن فضل الله، وعن عطائه، ومسألته، وأيضاً فإنه كذلك لا يكون موقناً بالإجابة، وقد قال ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب من قلبٍ غافلٍ لاهٍ**».[2]

وقوله ﷺ: «**فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**» أي: لا يعجزه شيء[3]، لأنه سبحانه لا يكبر، ولا يعلو، ولا يعظم عليه شيء، مهما كان أمراً دنيوياً، أو شرعياً، أو أخروياً، ولهذا جاءت النكرة (شيء) في سياق النفي (لا)، وهي تفيد العموم كما هو معلوم، وكما في الرواية الأخرى: «**فإن الله لا مستكره له**»:

قال القرطبي رحمه الله: «هذا إظهار لعدم فائدة تقييد الاستغفار، والرحمة بالمشيئة، لأن الله تعالى لا يضطره إلى فعل شيء دعاء، ولا غيره، بل يفعل ما يريد، ويحكم ما يريد.[4]

---

(١) شرح صحيح مسلم (٥٥٧/٧ - ٥٥٨) وشرح صحيح البخاري (٢٠٠/٦ - ٢٠١) لابن عثيمين.

(٢) صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٩٤).

(٣) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية (٥٥٣/٣ - ٥٥٤) لابن علاء الصديقي.

(٤) نقلاً عن المصدر السابق.

وعلى هذا فإن المحظورات التي تقدمت الثلاثة (وغيرها)[١] فإن الأمر في قوله: (فليعزم): للوجوب، والنهي في قوله: (لا يقل) للتحريم.[٢] قال الإمام الحافظ ابن عبدالبر: «لا يجوز لأحد أن يقول: اللهم أعطني إن شئت من أمور الدين، والدنيا، لنهي النبي ﷺ، ولأنه كلام مستحيل لا وجه له، لأنه لا يفعل إلا ما يشاء، لا شريك له».[٣]

دلالة نفي (أن يتعاظم على الله شيء) على صفاته تعالى

دلَّ هذا النفي على عظمة الله تعالى، التي لا يقوم لها الخلق، فليس لعظمته سبحانه بداية، وليس لها نهاية، فهو جل جلاله العظيم «الذي جاوز قدره، وجلَّ عن حدود جميع العقول، حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه، وحقيقته»[٤].

فهو سبحانه لكمال عظمته أنه لا يمكن الامتناع عليه شيء بالإطلاق، فلا يمكن أن يعصى قهراً، ولا يخالف أمره قهراً[٥]، فلا يتعاظم عليه شيء مهما عظم في الأرض، ولا في السموات الطوابق، فهو العظيم في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وسلطانه، «الذي تتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة العظيمة، والكبرياء الجسيمة، والقهر والغلبة لكل (الخليقة)».[٦]

(١) للاستزادة انظر عند ذكر الصفة المنفية رقم (٣٤).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٧/٥٥٧ - ٥٥٨).

(٣) نقلاً من الفتوحات الربانية (٣/٥٥٣).

(٤) النهاية (٣/٢٥٩)، والمقصد الأسنى (٦٤).

(٥) المنهاج (١/١٩٥) والأسماء والصفات (١/٩٥).

(٦) تفسير السعدي (١١٠).

وتضمن هذا النفي العظيم على كمال جبروته، فهو سبحانه (الجبار): المتكبر المتعظم، الذي إذا أراد شيئاً كان كما أراد، ولم يمتنع عليه شيء، ولم يتخلف عن كونه عن حال إرادته، فهو تعالى قهر وجبر كل خلقه على ما يريد، على مقتضى حكمته، لكل العبيد[1]، وفي هذا النفي إثبات كمال ملك الله تعالى، ونفوذ سلطانه في العوالم كلها، العلوية والسفلية، يتصرف فيها كيف يشاء، لا معقب لحكمه، ولا راد أحد لقضائه، وقدره، ومما ينافي التعاظم على الله شيء: تمام العزة، لأنه هو سبحانه (العزيز) القوي، القاهر، المنيع، الذي لا يمتنع عليه ما شاء، متى شاء، وكيف شاء، ومن شاء.

وفي طيات هذا النفي الجليل على إثبات كمال أفعال الله سبحانه، وكثرتها التي لا تحصى، ولا تتناهى، كما قال عز شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾ (الحج) وقال جل جلاله: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ (البروج) فـ«كل فعل من أفعال الله تعالى له إرادة تخصه، فشأنه سبحانه: أنه يريد على الدوام، يفعل ما يريد، وأن فعله وإرادته متلازمان، فما أراد أن يفعله فعله، لا يعوقه شيء، وما فعله فقد أراده، بخلاف المخلوق، فإنه يريد ما لا يفعل، وقد يفعل ما لا يريد، فلا (فعَّال) لما يريد إلا الله تعالى وحده، لا شريك له».[2]

---

(١) تفسير الطبري (٣٦/٢٨) وابن كثير (٣٤٣/٤)، والأسنى (٤٥٦).

(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (٦١).

٤٠ـ نفي (الخيانة) عن الله سبحانه

صفة شرعية، سمعية، وعقلية.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال جل جلاله ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (الأنفال).

المعنى في اللغة:

الخيانة والنفاق واحد، إلا أن الخيانة تقال: اعتباراً بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتباراً بالدين، ثم يتداخلان، فالخيانة: مخالفة الحق بنقض في السر، ونقيض الخيانة الأمانة.[1]

المعنى في الشرع:

جاءت هذه الصفة وهي الخيانة في الكتاب منفية مفهوماً، وليس منطوقاً، فهي من أوصاف النقائص التي تنفى عن ربنا جل جلاله، وهي صفة ذميمة «ونقيصة مطلقة، لا يوصف بها ربنا عز شأنه في أي حال من الأحوال، كالعاجز، والأعمى، والأصم، لأن الخيانة معناها: الخديعة في مقام الإئتمان، والخداع في مقام الإئتمان نقص في كل الأحوال على الإطلاق، وليس فيه مدح أبداً.

(١) المفردات (٣٠٥).

ولهذا قال الله عز وجل: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (الأنفال)، ولم يقل: فخانهم، لكن لما قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء: ١٤٢) قال سبحانه: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ (النساء: ١٤٢) فأثبت خداعه لمن خادعه، لأن الخديعة صفة مدح مقيدة، ولهذا قال الرسول ﷺ: «**الحرب خدعة**».[1]

وقال ﷺ: «**لا تخن من خانك**».[2]

لأن الخيانة كما تقدم تكون في موضع الإئتمان، أما الخداع فيكون في موضع ليس فيه إئتمان، والخيانة صفة نقص مطلق، فإذاً فـ(الخيانة) من صفات النقص المنفية عن الله تعالى مطلقاً».[3]

دلالة نفي (الخيانة) على صفات الله تعالى

لا يوصف ربنا تبارك اسمه، وتعالت صفاته، ونعوته، بصفة الخيانة أبداً، لأنها موضع ذم على الإطلاق، بخلاف صفات أخرى أطلقها على نفسه على جهة التقييد مثل: (الاستهزاء)، و(الكيد)، و(المكر)، و(الخداع)، و(العداوة)، و(النسيان).

لأن هذه الصفات لا تطلق إلا مقيدة، على جهة المقابلة بالجزاء، والعدل الحسن.

---

(١) البخاري (٣٠٢٨)، ومسلم (١٧٤٠).

(٢) صحيح أبي داود (٣٥٣٥) وصحيح الترمذي (١٢٦٤) وفيه: «أدِّ الأمانة إلى من إئتمنك ولا تخن من خانك».

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة (١/٥٨)، وشرح العقيدة الواسطية (١/٢٦٢-٢٦٣) لابن عثيمين.

فهذه الصفات نقيصة إن أطلقت، كما يقال: «الله (الماكر)، أو الله (الخادع)، أو (المستهزيء)، ففي هذا الإطلاق نقص وذم، أما في حال التقييد، والمقابلة، كقول: (الله يمكر بالماكرين)، و(يستهزئ بالمنافقين) و(يكيد الكافرين) و(يعادي من عادى المؤمنين) ففي هذه الحالة يكون وصف كمال، لأنه عدل جزاءً وفاقاً، وهذا أكمل ما يكون في الأوصاف، بخلاف صفة (الخيانة) فإنها تتضمن على ما تقدم في معناها: على الذم المطلق في كل الأحوال، لأنها غدر في موضع الإئتمان، وهذا ليس فيه كمال سواء في سياق المقابلة، أو الإطلاق.

فتضمن هذا النفي على كمال ضده، وهو: كمال (عدل) الله عز وجل، فهو تعالى العدل الحق، الذي لا يظلم أحداً حتى مع أشد أعدائه، وعلى تمام (حكمته)، و(حسن وعده)، وعهده، وعلى (طيبته)، فإن من أسمائه سبحانه: (الطيب)، أي: «المنزه عن كل وصف خال عن كمال، أو طيب الثناء»[1] فكل ما تسمى به، ووصف به تعالى طيب، ولا يصدر عنه إلا الطيب، فالطيبات كلها له، ومضافة إليه، وصادرةٌ عنه، ومنتهية إليه.[2]

والخيانة: ظلم، وغدر، وجور، وخور، وغير ذلك من أوصاف المذام، التي يتنزه عنها سبحانه ذو الجلال والإكرام، الموصوف بكل صفات الكمال، تباركت يا ربنا ما أعظم شأنك، وقدرك، تقدست عن كل

---

(١) فيض القدير (٢/٢٣٩).

(٢) كتاب الصلاة لابن القيم (٢١٤).

النقائص والآفات، وتعاليت في كمالاتك بنهاياتها، وحقائقها، على الكمال الأعلى الأقصى، الذي ليس له ابتداء، كما ليس له انتهاء، فلا أحد يحصي ثناء عليك، بل أنت كما أثنيت على نفسك.



الآيات والأحاديث التي تتضمن النفي المنفصل

تضمن كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ على البيان بالتفصيل في نفي النقائص المنفصلة عن الله تعالى.

والنقائص المنفصلة كما تقدم: هي ما افتراه الجاهلون ونسبوه إلى الله تعالى من الأشياء المنفصلة، التي توجب نسبتها إلى الله تعالى النقص في حقه سبحانه، وليست من قبيل الصفات القائمة بالموصوف.[1]

وضابط هذا النوع: «تنزيه رب العالمين عن أن يشاركه أحدٌ من خلقه في شيء من خصائصه التي لا تنبغي إلا له من التوحد، والتفرد بالكمال».[2]

---

(١) التسبيح في الكتاب والسنة: (١/١٥٢ - ١٥٣).

(٢) الحق الواضح (٨)، وشرح النونية للهراس (٢/٥٧).



الصفة الأولى

٤١ - (١) نفي (أن يكون لله والد) سبحانه

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ (الإخلاص).

السنة النبوية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «**كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إيايّ فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد**».[١]

المعنى في اللغة:

الوالد: الأب، والأم: الوالدة.[٢]

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ أي: ولم يتفرع هو عن شيء، فليس له والد.[٣]

---

(١) البخاري (٣١٩٣)، (٤٩٧٤).

(٢) المفردات (٨٨٣).

(٣) انظر: ابن كثير (٤/٦١٠). وشرح الواسطية للهراس (٨٣).



المعنى في الشرع:

نفى الله عز وجل كما في سورة الإخلاص، وكذلك في الحديث القدسي الذي تقدم، أن يكون له والد، فإن هذه السورة اشتملت على جميع أنواع التنزيه، والتحميد. على النفي والإثبات، ولهذا كانت تعدل ثلث القرآن، وليس في القرآن سورة هي وصف محض للرحمن إلاَّ هذه السورة[١]، ففي اسم (الصمد) إثبات كل الكمال، وفي نفي الكفء التنزيه عن التشبيه والمثال، وفي الأحد نفي كل شريك لذي الجلال، وهذه الأصول الثلاثة هي مجامع التوحيد.[٢]

ففي هذه السورة تضمنت ثلاث صفات ثبوتية (الله، أحد، الصمد) وثلاث صفات منفية ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ و﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.[٣]

فتضمنت هذه السورة العظيمة تنزيه الله تعالى عن الأصول، والفروع، والنظراء، وهذه الثلاثة هي جماع ما ينسب إليه المخلوق من الآدميين، والجن، والملائكة، والبهائم، بل والنبات، ونحو ذلك: فإنه ما من شيء من المخلوقات إلا ولابد أن يكون له شيء يناسبه: إما أصل، وإما فرع، وإما نظير، أو اثنان من ذلك، أو ثلاثة.[٤]

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/١٣٤، ٤٥٢).

(٢) زاد المعاد (٤/١٨١).

(٣) شرح الواسطية لابن عثيمين (١/٢٩٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٢/٤٣٨)، و(١٧/١٠٩).

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ أي: ولم يتفرع هو عن شيء، أي: لم يكن متولداً عن شيء فليس له تعالى والد، وليس بمحدث لم يكن فكان، لأن كل مولود فإنما وجد، بعد أن لم يكن، وحدث بعد أن كان غير موجود، ولكنه سبحانه وتعالى أزلي لم يزل، وأبدي دائم لا يبيد، ولا يزول، ولا يفنى.[1]

وفي قوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾: فيه بيان أنه لو ولد، لكان مسبوقاً بوالد، مع أنه جل وعلا هو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الخالق، وما سواه مخلوق، فكيف يولد؟ وإنكار أنه ولد أبلغ في العقول من إنكار أنه والد، ولهذا لم يدّع أحد أن لله تعالى والداً، وادعى المفترون أن له ولداً.[2]

ولهذا لعل العلّة في عدم تركيز القرآن العظيم على ذكر هذه المسألة، أنه لم يعرف في الأمم السابقة، ولا المعاصرة لنزول القرآن الكريم، ولا بعد ذلك، من ادعى الوالد لله عز وجل، بخلاف مسألة الصاحبة، والولد، فإنه وجد من قال بذلك قديماً وحديثاً.[3]

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٢/٧٤٤)، وابن كثير (٤/٦١٠)، وفتح الباري (٨/٦١٢)، وشرح الواسطية للهراس (٨٣).

(٢) شرح الواسطية لابن عثيمين (١/٢٩١).

(٣) النفي في باب صفات الله عز وجل (٣٤٠).



دلالة نفي (أن يكون لله تعالى والد) على صفاته تعالى

نفى الله عز وجل أن يكون له والد: إنما هو لإثبات كمال غناه تعالى، وعدم حاجته لأي شيء منفصل عنه في وجوده، وبقائه تبارك وتعالى[١] فإن من أسمائه تعالى العلا (الغني) أي: الغير محتاج لأحد بوجه من الوجوه، فهو تبارك وتعالى الغني عن كل مخلوقاته، وكلها فقيرة إليه في جميع شؤونها وأحوالها، وتضمن كذلك على كمال صمديته (الصمد)، وأحديته سبحانه (الأحد) «فالصمدية تثبت الكمال المنافي للنقائص، والأحدية تثبت الانفراد بذلك».[٢]

فـ «لفظ (ص م د) يدل على الاجتماع، والانضمام المنافي للتفرق، والخلو، والتجويف».[٣] والأحدية دلت على انتفاء الشبه والمثلية، «فهو سبحانه خالق لكل شيء، وليس شيء من المخلوقات مشابهاً لله تعالى بوجه من الوجوه، (لأن) الولد لا بد أن يكون من جنس والده».[٤]

ومن الكمالات التي تضمنت هذا النفي: أنه (الأول): الذي ليس له تعالى ابتداء، فهو الأول قبل كل شيء، فهو سبحانه سابق الأشياء كلها، بأوقات لا نهاية في الوجود، والصفات، والنعوت، فله تقدم المطلق بالقبلية بكمال الذات، وعلو الشأن، والفوقية، فهو الذي ابتدأت

---

(١) النفي في باب صفات الله (٣٣٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٥٢/١٧).

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٥٩/٢، ٢٤٨).

(٤) تفسير السعدي (٢٦٧).

منه جميع البرية، فكلها مرجعها إلى الله تعالى بالعطاء، والإيجاد، والإمداد[1]، فكيف يكون له والد، وهو الذي لم يسبق بعدم، فكيف يتولد من شيء سبحانه، وهذه هي أوصافه، وجلاله، وكماله، وسموه جل شأنه؟

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣١/١)، وطريق الهجرتين (٢٥)، والكافية (١١٧).



٤٢ ـ (٢) نفي (اتخاذ الصاحبة) عن الله سبحانه

صفة منفية شرعية، سمعية، وفطرية.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال تبارك وتعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ (الأنعام).

٢ ـ وقال جل جلاله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ (الجن).

السنة النبوية:

١ ـ في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، في حديث رؤية الله تعالى يوم القيامة وفيه: «**فيدعى اليهود فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد،... ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد.... الحديث**».[1]

٢ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما**

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٤٥٣).

تكذيبه إياي، فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي: فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً».[1]

المعنى في اللغة:

الصاحبة: المعاشر، وأصلها: الاجتماع طال زمنها أو قصر، والصاحب: الملازم إنساناً كان أو حيواناً، أو مكاناً، أو زمناً، وفرق بين مصاحبته بالبدن، وهو الأصل والأكثر، أو بالعناية والهمة[2]، والصاحبة: الزوجة.[3]

المعنى في الشرع:

نفى ربنا العظيم الجليل أن تكون له صاحبة، وهي كما تقدم: الزوجة، ففي آية سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾، أي: إذا كان الله تعالى الذي أبدع السموات والأرض، وخلقهما، وأنشأهما، وأتقن صنعتهما على مثال غير مسبوق، بأحسن خلق، ونظام، وبهاء، ليس له في ذلك شبيه، ولا مثال، فكيف يجوز أن يكون له ولد.

ولا ينبغي كذلك أن يكون لله سبحانه صاحبه، لأن الولد إنما

---

(١) البخاري (٤٤٨٢) و(٤٩٧٥).

(٢) المفردات (٤٧٥ - ٤٧٦)، وعمدة الحفاظ (٢/٣٢٠ - ٣٢١).

(٣) تفسير الطبري (٧/٣٨٥).

يكون متولداً بين شيئين متناسبين وهما: الذكر والأنثى، والله تعالى لا يناسبه، ولا يشابهه شيء من خلقه عز شأنه، لأنه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾: أي: يقول: فإذا كان لا شيء إلا لله تعالى خلقه وأحاط علمه بكل شيء، فأنى يكون له صاحبة من خلقه تناسبه.[1]

غير ذلك كما سيأتي: أن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها، فلا يستطيع الاستغناء عنها بحال من الأحوال، والله تعالى لا نظير له، ولا شبيه له، ولا عديل له من خلقه.

ولهذا قال النفر المؤمنون من الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾: أي: «تعالى جلاله، وعظمته، وفعله، وأمره، وقدرته».[2]

قال شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: «وإنما عنوا أن خطوته من الملك، والسلطان، والقدرة، والعظمة العالية، فلا يكون له صاحبة، ولا ولد، لأن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز، الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع، الذي يحدث منه الولد».[3]

---

(١) تفسير الطبري (٣/٣١٦)، وابن كثير (٢/٢٢٠)، وتفسير السعدي (٢٦٧).

(٢) ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعن قتادة: التفسير الصحيح (٤/٥٤٣).

(٣) تفسير الطبري (٧/٣٨٤ - ٣٨٥).



دلالة نفي: (اتخاذ الصاحبة) على صفات الله تعالى

دلّ هذا النفي على كمال «جلال الله تعالى، وعظمته، وفعله، وأمره، وقدرته».[1] والجلال: هو منتهى الحسن والعظمة في الأسماء، والصفات، والأفعال، وله عند التحقيق ركنان: أولهما الكمال: وهو بلوغ الوصف أعلاه، والثاني: الجمال، وهو بلوغ الحسن منتهاه.[2]

قال الطبري رحمه الله: «فقال النفر من الجن: علا ملك ربنا، وسلطانه، وقدرته، وعظمته...».[3]

وتضمن هذا النفي على تمام غنى ربنا سبحانه، فـ «هو الغني عن مخلوقاته وكلها فقيرة إليه، مضطرة في جميع أحوالها إليه»[4] فالله أوجدها لا لحاجة ولا لمنفعة، كمثل المخلوقين الذين ينفع بعضهم بعضاً في اتخاذ ما يضعون، ولهذا علم الجن المؤمنون «من جد الله تعالى، وعظمته، ما دلهم على بطلان من يزعم أن له صاحبةً، أو ولداً، لأنه له العظمة والكمال في كل صفة كمال، واتخاذ الصاحبة والولد ينافي ذلك، لأنه يضاد كمال الغنى».[5]

ونفي الصاحبة عن ربنا العظيم يدل على كمال صمديته،

---

(١) كما تقدم من قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة رحمه الله.

(٢) أسماء الله الحسنى د. الرضواني (١٢٦).

(٣) التفسير (٧/٣٨٥).

(٤) تفسير السعدى (٢٦٧).

(٥) المصدر السابق (٨٩٠).

وأحديته، لأن (**الصمد**) هو «الذي يفتقر إليه كل شيء، ويستغني عن كل شيء.[١]

وكذلك على الأحدية: «المستلزمة نفي كل شركة عنه، فظهر أن اسمه (الأحد) يوجب تنزيهه عن ما يجب نفيه عنه من التشبيه، ومماثلة غيره في شيء من الأشياء».[٢] والتي منها: اتخاذ الصاحبة.

وأما دلالته على كمال ملك الله وسلطانه، «أنَّ جميع الموجودات كلها ملكه، وعبيده، المفتقرون إليه، المضطرون إليه في جميع شؤنهم، ليس لأحد خروج عن ملكه، ولا لمخلوق غنىً عن إيجاده، وإمداده، ونفعه، ودفعه»[٣] في كل خطوة، وخطرة.

وكذلك على عظمته. لأن «من كمال عظمته سبحانه: تنزيهه عن كل صفة نقص، وتقديسه عن أن يماثله أحد من خلقه»[٤] في شيء من الوصف، ويدل كذلك على كمال قدرته، لأن اتخاذ «الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز، الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها»[٥] أما الله تعالى القادر القدير المقتدر ذو القدرة العظيمة النافذة، الذي لا يستعين بأحد في أي منفعة ولا حاجة، فهو تعالى «ليس كمثله شيء في صفات الكمال الثابتة»[٦] له، فأنى أن يتخذ زوجة له.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٥/٥١٥).

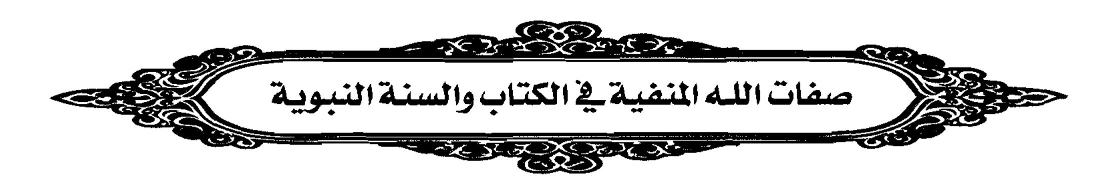
(٢) المصدر السابق (١٧/١٠٨) وانظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/٦٠، ٦٩).

(٣) فتح الرحيم الملك (١٩).

(٤) توضيح الكافية الشافية (١١٧).

(٥) تفسير الطبري (٧/٣٨٥).

(٦) مجموع الفتاوى (١٧/١٠٨).



٤٣ ـ (٣) نفي (اتخاذ الولد) عن الله سبحانه

صفة شرعية، خبرية فطرية، فقد نفى ربنا تبارك وتعالى أن يكون له ولد في كتابه، وفي سنة نبيه ﷺ، أما في كتابه فقد جاءت على نوعين:

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

الأول: نفي مقرون بالتسبيح جاء في عشرة مواضع في القرآن الحكيم.

الثاني: نفي غير مقرون بالتسبيح جاء في ثمانية مواضع من القرآن الكريم.[1]

النوع الأول:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ (البقرة).

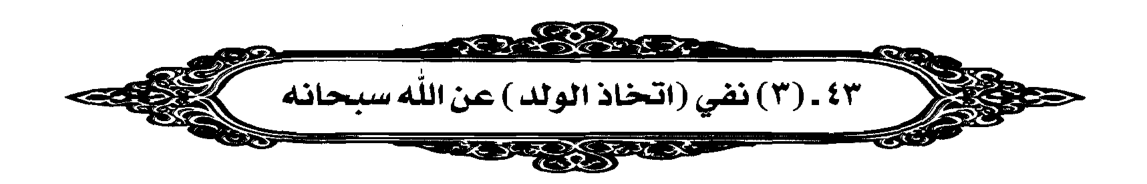
٢ ـ وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ (النساء).

٣ ـ وقال جل جلاله: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ﴾ (يونس).

وغيرها من الآيات الكثيرة.

---

(١) انظر: التسبيح في الكتاب والسنة (٢/١٣٥)، والنفي في باب صفات الله (٣٤١).



٤٣ - (٣) نفي (اتخاذ الولد) عن الله سبحانه

النوع الثاني: وهو النفي غير المقرون بالتسبيح:

١ - قال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (التوبة).

٢ - وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ (الإسراء).

٤ - وقال جل ثناؤه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ (الإخلاص).

وغيرها من الآيات الكريمة.

السنة النبوية:

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالى: شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك، وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك، أما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد، ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد...**».

وفي لفظ: «وأما شتمه إياي، فقوله: لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً».[1]

---

(١) صحيح البخاري (٤٤٨٢)، و(٤٩٧٤).

٢ ـ وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله تعالى، إنهم يجعلون له نداً، ويجعلون له ولداً، وهو مع ذلك يرزقهم، ويعافيهم، ويعطيهم**».(١)

المعنى في اللغة:

الولد: المولود، يقال للواحد والجمع، والصغير والكبير، ويطلق على: الابن، والابنة.(٢)

المعنى في الشرع:

نفى وتنزه ربنا جل ثناؤه، وتعالى في كبريائه، عن اتخاذ الولد، وهو يشمل الذكر والأنثى، كما ادعاه المبطلون، والمفترون، والأفاكون، في حقه سبحانه، فكانت هذه الدعوى من العقائد الباطلة الظاهرة عند اليهود في دعواهم أن عزيز ابن الله، والنصارى في عيسى عليه السلام، والمشركون أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ولهذا جاء النفي مفصلاً فيها في الكتاب والسنة، لبيان بطلانها ومنافاتها لكمال الله تعالى، ولذا جاء هذا النفي في أعظم صيغة الدالة عليه، وهو: (التسبيح) في عشرة مواضع في القرآن، ناهيك عن السنة المشرفة.

---

(١) البخاري (٦٠٩٩).

(٢) المفردات (٨٨٣).



٤٣ - (٣) نفي (اتخاذ الولد) عن الله سبحانه

والتسبيح معناه: التنزيه، وهو: الإبعاد، والتبرئة عن الله تبارك وتعالى كل سوء[١]، وشر، ونقص، وعيب من كل الوجوه.

ومن أسمائه تعالى كما تقدم (السبوح).[٢]

وينبغي أن يعلم «أن أعظم المسبحين لله تعالى، هو الله تبارك وتعالى نفسه، حيث ورد في القرآن الكريم تسبيح الله تعالى لنفسه في آيات كثيرة، بلغت سبعاً وعشرين آية، من تسع عشرة سورة».[٣]

قال أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ (البقرة).

«ولما كانت هذه المقالة (أي: اتخاذ الولد) من أفسد الأشياء، وأوضحها في الاستحالة، أتى باللفظ الذي يقتضي التنزيه والبراءة من الأشياء، التي لا تجوز على الله تعالى، قبل أن يضرب مقالتهم، ويستدل على بطلان دعواهم، وكان ذكر التنزيه أسبق (أي قوله: «سبحانه»)، لأن فيه ردعاً لمدعي ذلك، وأنهم ادعوا أمراً تنزه الله عنه وتقدس».[٤]

---

(١) انظر: كتاب العين (٣/١٥١)، ولسان العرب (٢/٤٧١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/٢٧٨)، وشأن الدعاء (١٤٣).

(٢) تقدم شرحه عند ذكر الأسماء الدالة على التنزيه.

(٣) التسبيح في الكتاب والسنة (١/٢٤٨).

(٤) البحر المحيط (١/٥٣٢).

وقد تقدم ذكر الآيات الكريمة والأحاديث السنية على تنزيه الله تعالى أن يكون له ولد، فقد «استدل الله تعالى على إبطال دعوى أهل الكتاب والمشركين باتخاذ الولد بحجج خمس، ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله[1] وفصل القول فيها بما ليس فيه مزيد.[2]

دلالة نفي (اتخاذ الولد) على صفات الله تعالى

نفى ربنا ذو الجلال والإكرام هذه الصفة النقيصة، لاتصافه بصفات الكمال، والجلال، والعلا، التي ليس لها منتهى، التي تقابل وتضاد هذا النقص من الوصف من ذلك: الغنى (الغني)، والأحدية (الأحد)، والوحدانية (الواحد)، والصمدية (الصمد) والعزة (العزيز)، فكيف يتخذا ولداً سبحانه، وهو الذي «لا يتكثر (بأحد) من قلة، ولا يتعزز به من ذله، ولا ينتصر به من غلبة، ولا يستعين به في أمر»[3]، أو حاجة.

ولذا نزه نفسه سبحانه عن ذلك، وأثبت لنفسه العليَّة الغنى، فقال: ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ ﴾ (يونس: ٦٨) فلكمال أحديته سبحانه، وكمال صمديته، أنه تعالى: ﴿لم يلد﴾، لأن الولد يكون على مثل الوالد في الخلقة، وفي الصفة، وحتى الشبه، لأن الولد مشتق من والده، وجزء منه، كما قال ﷺ في فاطمة: «**إنها بضعة مني**».[4]

---

(١) البدائع والفوائد: (١٢٨/٣).

(٢) النفي في باب صفات الله (٣٤٣).

(٣) مدارج السالكين (٤٩٥/١).

(٤) البخاري (٣٧١٤)، ومسلم (٢٤٤٩).



وكما جاء مجزز المدلجي إلى زيد بن حارثة، وابنه أسامة، وهما ملتحفان برداء، قد بدت أقدامهما، نظر إلى القدمين، فقال رسول الله ﷺ: «**إن هذه الأقدام بعضها من بعض**»[1] فعرف بذلك الشبه، والله جل وعلا لا مثيل، ولا شبيه له، ثم إن الولد إنما يكون للحاجة إليه، إما في المعونة على مكابدة الدنيا بالخدمة، والنفقة، والإعانة عند العجز، وإما في الحاجة إلى بقاء النسل، والله عز وجل مستغن عن ذلك كله.

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى امتناع ولادته أيضاً في قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ (الأنعام) فالولد يحتاج إلى صاحبة تلده، وكذلك هو خالق كل شيء، فإذا كان خالق كل شيء، فكل شيء منفصل عنه، بائن منه، فهو تعالى الخالق، وما سواه مخلوق، فكيف يولد.

وإنكار أنه ولد أبلغ في العقول من إنكار أنه والد، ولهذا لم يدّع أحد أن لله تعالى والداً، وادعى المفترون أن له ولداً، وقد نفى الله تعالى هذا وذاك، وبدأ بنفي الولد، لأهمية الرد على مدعيه، بل قال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ (المؤمنون: ٩١)، حتى ولو بالتسمي، فهو لم يلد، ولم يتخذ ولداً.

ولما كان يرد على الذهن فرض أن يكون الشيء لا والداً، ولا مولوداً،

---

(١) البخاري (٦٧٧٠)، ومسلم (١٤٥٩).



لكنه متولد، نفى هذا الوهم الذي قد يرد، فقال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾، وإذا انتفى أن يكون له كفواً أحداً، لزم أن لا يكون متولداً، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ أي: لا يكافئه أحد في جميع صفاته»[1] وفي كل خصائصه تعالى التي انفرد بها عز وجل من كل الوجوه عن خلقه.

(١) انظر: تفسير جزء عم (٣٥٤)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٢٩٠ - ٢٩١).



٤٤ـ (٤) نفي (الظهير) عن الله سبحانه

صفة شرعية سمعية وعقلية، جاءت بالقرآن العظيم.

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾﴾ (سبأ).

٢ ـ وقال جل ثناؤه: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾﴾ (الكهف).

المعنى في اللغة:

الظهير: هو المعين، يقال: ظاهرته، أي: عاونته، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ (الأحزاب)، أي: عاونوهم، وأصل ذلك من: الظهر الذي هو الجارحة، لأن المعاون يساعد صاحبه بجوارحه، وأقواها ظهره، ثم جعل عبارة عن كل معاونة، وإن كانت بغير الظهر، حتى باللسان، قوله: ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ﴿٥٥﴾﴾ (الفرقان)، أي: معيناً.[1]

والعضد: الإعانة والتقوية، وأصله من قولهم: عضدته، أي: شددته،

---

(١) عمدة الحفاظ (٣/١٦-١٧)، والصحاح (٦٦١).

واشتد بعضده عند الوقوع في هلكةٍ من حفيرة وغيرها، ثم جعل عبارة عن كل معاونة، يقال: فلان عضدي، أي: معتمدي على الاستعارة.[1]

المعنى في الشرع:

نفى ربنا جل جلاله في كتابه الحكيم أن يكون له من خلقه أحد: ظهير يعاونه، ويساعده، وينتفع به، كما يكون للملك أعوان من الجند، أو من وزير، أو مشير، أو غير ذلك، بل هو المنفرد بذلك وحده سبحانه، فليس له من ذلك شيء يعاونه في خلقه، وتدبيره، في مملكته العلوية، والسفلية، وما بينهما، وما فيهما.

ولهذا جاءت آية (سبأ) في سياق التحدي أن تكون المعبودات التي دعيت من دون الله سبحانه، سواء كانت من الملائكة، أو الجن، أو البشر، أو الحجر، أو الشجر، أن تملك مثقال ذرة في ملكه، وفي ذلك التحدي المشوب بالنفي المطلق، أن تكون شريكة له في شيء من ملكه.

ولهذا صدر قوله تعالى: (**قل**) «يا أيها الرسول للمشركين بالله غيره من المخلوقات، التي لا تنفع ولا تضر، ملزماً لهم بعجزها، ومبيناً لهم بطلان عبادتها: ﴿**ادعوا الذين زعمتم من دون الله**﴾، أي: زعمتموهم شركاء لله، إن كان دعاؤكم ينفع، فإنهم قد توفرت فيهم أسباب العجز، وعدم إجابة الدعاء من كل وجه، فإنهم ليس لهم أدنى ملك، فـ (**لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض**): على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك.

(١) عمدة الحفاظ (٣/٨٨ - ٨٩)، والمصباح المنير (٢٣٩ - ٢٤٠).



٤٤ـ (٤) نفي (الظهير) عن الله سبحانه

ولهذا قال: (**وما لهم**) أي: لتلك الآلهة الذين زعمتم (**فيهما**) أي: في السموات والأرض (**من شرك**) أي: لا شرك قليل، ولا كثير، فليس لهم ملك، ولا شركة ملك، بقي أن يقال: ومع ذلك، فقد يكونون أعواناً للمالك، ووزراء له، فدعاؤهم يكون نافعاً، لأنهم بسبب حاجة الملك إليهم، يقضون حوائج من تعلق بهم، فنفى تعالى هذه المرتبة فقال: (**وما له**) أي: لله تعالى (**منهم**)، أي: من هؤلاء المعبودين: (**من ظهير**)، أي: معاون، ووزير يساعده على الملك، والتدبير».[1]

فهذه الآية العظيمة قد سدت على المشركين جميع أبواب ومجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك، وسدتها عليهم أحكم سدّ، وأبلغه.[2]

وفي آية سورة الكهف يقول الله تعالى: ﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ ﴾، أي: ما أشهدت الشياطين، وهؤلاء المضلين: ﴿خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾، أي: ما أحضرتهم ذلك، ولا شاورتهم عليه، فاستعين بهم على خلق السموات والأرض، ولا أشهدت بعضهم أيضاً خلق بعض منهم، فأستعين به على خلقه، فكيف يكونون خالقين لشيء من ذلك؟، بل تفردت بخلق جميع ذلك بغير معين، ولا ظهير، ولهذا قال: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ۝٥١﴾ أي: معاونين، مظاهرين لله على شأن من الشؤون.

---

(١) السعدي (٦٧٨).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (٢/٤٦١)، ومدارج السالكين (١/٣٥١).

أي: وما ينبغي ولا يليق بالله، أن يجعل لهم قسطاً من التدبير، لأنهم ساعون في إضلال الخلق والعداوة لربهم، فاللائق أن يقصيهم، ولا يدنيهم، والله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى عون أحد كائناً من كان، في أي حال، وخص (المضلين): بالذكر لزيادة الذم والتوبيخ.[1]

والعضد هو عبارة عن: الإعانة والتقوية، وأصله من قولهم: عضدته، أي: شددته، واشتد بعضده عند الوقوع في هلكة من حفيرة وغيرها، ثم جعل عبارة عن كل معونة، ونصرة، ويستعار العضد للمعين، فيقال: أنا عضدك، نحو: أنا يدك.[2]

دلالة نفي (الظهير) على صفات الله تعالى

تضمن نفي الظهير، والمعين على كمال ولايته سبحانه، العامة والخاصة، وعلى «كمال ملكه تعالى، وغناه، وعظيم سلطانه، وكمال قدرته، وقوته، لا يحتاج إلى أحد في تدبير شؤون خلقه، بل هو الغني عن كل ما سواه، وما سواه فقراء محتاجون إليه، قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ (فاطر).»[3]

بل (هو) المتفرد بالخلق، والتدبير، والحكمة، والتقدير[4]،

فالله تعالى هو ولي العالمين: فهو سبحانه (الولي، المولى) لكل

---

(١) انظر: تفسير السعدي (٤٨٠)، وتفسير الطبري (١١٠/٥)، وتفسير القرطبي (٦/٥-٦).

(٢) انظر: عمدة الحفاظ (٨٨/٣ - ٨٩).

(٣) النفي في باب صفات الله (٣٥٢).

(٤) السعدي (٤٨٠).



الخلق أجمعين بالخلق، والتدبير والمعونة، والتيسير، وتصريف الأمور، والمقادير، في السموات والأرضين.

وهو ولي المؤمنين: بالنصرة، والتمكين، وإخراجهم من ظلمات الجهل، إلى نور العلم واليقين.

فإذا كان سبحانه ولي العالمين، فكيف يكون له ظهير، أو عوين من الخلق أجمعين؟

كيف يكون له ظهير ومعين من خلقه، وهو سبحانه القوي على الإطلاق، له القوة جميعاً، التي لا تتخلف في أي حال ولا لحظة، الذي لا يعتريه ضعف أو قصور، ولا يتأثر بوهن أو فتور، على مر الدهور، فكل ما يريده فعله، قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ (البروج).

٤٥ـ (٥) نفي (أن يتخذ الله أحداً ولياً من الذل) سبحانه

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ (الإسراء).

المعنى في اللغة:

الولي: صيغة مبالغة من اسم الفاعل الوالي، ويدل على القرب والدنو، ويطلق على: النصير، والمعين، والسيد، ومتولي الأمر، ومالك التدبير، فكل من تولى أمر آخر: فهو وليه، أي: متولي أمره، والقيم على شؤونه.[1]

الذل: بالضم، ضد العز، وبالكسر ضد الصعوبة، وهو الطواعية، والانقياد، والمذلة: إذا ضعف وهان، فهو ذليل، وقوله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾ (الإسراء: ١١١)، أي: لم يتخذ ولياً يحالفه، ويعاونه لذلة، وكانت العرب تحالف بعضها بعضاً لتعتز به.[2]

---

(١) اللسان (٥/٤١١)، والنهاية (٥/٢٢٧)، والقاموس المحيط (١٤٢٠)، وشأن الدعاء (١٠١).

(٢) عمدة الحفاظ (٢/٤٦ - ٤٧)، والمصباح المنير (١٢٥).



المعنى في الشرع:

نفى ربنا تبارك وتعالى أن يتخذ أحداً كائناً من كان، ليعينه على أمر من أمور، على سبيل الحاجة، والافتقار.

ولهذا «أمر الله جل وعلا في هذه الآية (أي آية: (١١١)، سورة الإسراء) الكريمة الناس على لسان نبيه ﷺ، لأن أمر القدوة، أمر لأتباعه كما تقدم، أن يقولوا: (الحمد لله)، أي: على كل ثناء جميل لائق بكماله وجلاله، ثابتاً له مبيناً: أنه منزه عن الأولاد، والشركاء، والعزة بالأولياء، سبحانه وتعالى عن ذلك كله علواً كبيراً، ومعنى قوله في هذه الآية: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ يعني: أنه لا يذل، فيحتاج إلى وليّ يعزّ به، لأنه هو العزيز القهار، الذي كل شيء تحت قهره، وقدرته».[١]

«وهذه الآية رادة على اليهود، والنصارى، والعرب في قولهم أفذاذاً: عزير، وعيسى، والملائكة، ذرية الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم، ورادةٌ على العرب في قولهم: لولا أولياء الله لذلّ، وقيد لفظ الآية نفي الولاية لله عز وجل بطريق الذل وعلى جهة الانتصار، إذ ولايته تعالى موجوده بتفضله، ورحمته، لمن والى من صالح عباده».[٢]

وثبت عن مجاهد رحمه الله أنه قال في قوله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾، «يقول: لم يحالف أحداً، ولم يبتغ نصر أحد».[٣]

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٣/٤٦٢ - ٤٦٣).

(٢) تفسير ابن عطية (٣/٤٩٢ - ٤٩٣).

(٣) التفسير الصحيح (٣/٢٩٦).

«أي لم يكن له ناصر يجبره من الذل، فيكون مدافعاً»[1]، لأن من كان ذا حاجة إلى نصرة غيره، فذليل مهين، ولا يكون من كان ذليلاً مهيناً، يحتاج إلى ناصرٍ إلهاً يطاع»[2].

يقول ابن كثير رحمه الله: «لما أثبت الله تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى ﴿**ادعوا الله أو ادعوا الرحمن... فله الأسماء الحسنى**﴾، نزه نفسه عن النقائص، بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾، أي: ليس بذليل فيحتاج إلى أن يكون له وليٌّ، أو وزير، أو مشير، بل هو تعالى خالق الأشياء وحده، لا شريك له، ومدبرها ومقدرها بمشيئته وحده، لا شريك له، وقوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾، أي: عظمه، وأجله عما يقول الظالمون المعتدون علواً كبيراً»[3].

ومن ذلك «عن أن يلحقه شيء من هذه النقائص، تعظيماً جليلاً»[4].

وهذا من أكبر الأدلة الجلية أن ما ينفى عن الله تعالى من النقائص، يتضمن كمال ضدها، فهو تعالى لكبريائه، وعظمته، لم يتخذ ولياً من الذل، فربنا جل جلاله «لا يتولى أحداً من خلقه، ليتعزز به، ويعاونه، فإنه الغني الحميد»[5].

---

(١) تفسير القرطبي (٥/٦٧٠).

(٢) تفسير الطبري (٥/٧٦).

(٣) ابن كثير (٣/٩٩ - ١٠٠).

(٤) تفسير القاسمي (٦/٥٢٣).

(٥) تفسير السعدي (٤٦٩).



ولهذا قيد هذا النفي سبحانه، وهو عدم اتخاذ ولياً من خلقه عن ذل، وحاجة، وافتقار، ليعينه على أي أمر من الأمور، لأن في ذلك المهانة، والافتقار، الذي هو حقيقة الذل بعينه، المنافي للواحد القهار، لأن «(من) هنا للتعليل، لأن الله تعالى له أولياء: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (يونس).

وقال تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»[١] ولكن الولي المنفي هو: الولي من الذل، لأن الله تعالى له العزة جميعاً، فلا يلحقه ذل بوجه من الوجوه، لكمال عزته».[٢]

ولم ينف الله عز وجل اتخاذ الولي مطلقاً، بل كما تقدم قيده بـ (الذل) «إفهاماً، (وإعلاماً) بأن له تعالى أولياء، جاد عليهم بالتقريب، وجعلهم أنصاراً لدينه، رحمة منه لهم، لا احتياجاً منه إليهم».[٣]

لأن ولايته سبحانه وتعالى ثابتة لخلقه بنوعيها وهي: **الولاية العامة، والولاية الخاصة، فالعامة:** هي لكل العالمين، بالخلق، والتدبير، وتصريف الأمور والمقادير، في كل وقت وحين، فليس لنا وليّ سواه يجلب لنا المنافع، ويدفع عنا الضر والمساوئ.

---

(١) البخاري (٦٥٠٢).

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١٤٥/٢).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٣٩/٤).

والولاية الخاصة: لأوليائه المتقين: يخرجهم من ظلمات الجهل، والكفر، والمعاصي، إلى نور العلم، والإيمان، واليقين.[1]

فموالاته تعالى لعبده: إحساناً إليه، ومحبة له، وبرًّا به، وجبراً له ورحمة، لا يتكثر به من قلة، ولا يتعزز به من ذلة، ولا ينتصر به من غلبة، ولا يستعين به في أمر، فهو تعالى يتخذ من أوليائه المؤمنين رحمة بهم، وإحساناً منه إليهم، وتفضلاً منه لهم، يحبهم ويحبونه[2]، فهو تعالى ﴿نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ (الأنفال).

دلالة نفي (اتخاذ الولي من الذل) على صفات الله تعالى

نفى ربنا العظيم جل جلاله أن يتخذ الولي من الذل من أحد، لكماله سبحانه الذي ليس له ابتداء، وليس له انتهاء على الإطلاق، «فإنه تعالى الغني الحميد، الذي لا يحتاج إلى أحد من المخلوقات في الأرض ولا في السموات، فلم يتخذ من خلقه ولياً من الذل، لكمال اقتداره، وغناه، وعظمته».[3] ولأنه هو العزيز القهار، الذي كل شيء تحت قهره، وقدرته.[4]

---

(١) الحق الواضح (١٢)، وفتح الرحيم (٥١).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٥٢٠)، ومدارج السالكين (١/٤٩٥)، وبدائع الفوائد (٢/١١٨)، ومفتاح دار السعادة (١/٤٩٥) والحق الواضح (١٣).

(٣) تفسير السعدي (٤٦٩)، والحق الواضح (١٣).

(٤) أضواء البيان (٣/٤٦٣).

وكذلك لكمال «عزته، وكبريائه»[١]، فهو تعالى «لا يوالي أحداً لذلته، بل هو العزيز بنفسه، له العزة جميعاً، قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر).[٢]

فهو تعالى القوي المنيع، فلا يلحقه ذل بوجه من الوجوه، فهو سبحانه الغني عن كل أحد، المتفرد بالملك، وتمام السلطان بلا انتهاء ولا أمد، الموصوف بالجلال، والكبرياء بلا قيد ولا حد.

«وإنما يتخذ ويوالي عباده المؤمنين لرحمته، ونعمته، وحكمته، وإحسانه، وجوده، وفضله، وإنعامه».[٣]

وبذلك يعلم: «أنه ليس أحد مساوياً لله تعالى، أو مماثلاً، أو معيناً، أو وزيراً، أو محتاجاً إليه بوجه من الوجوه».[٤]

ولهذا قال عز شأنه: ﴿وكبره تكبيراً﴾، أي: عظمه، وأجله بالإخبار بأوصافه العظيمة، وبالثناء عليه، بأسمائه الحسنى، وبتمجيده بأفعاله المقدسة، وبتعظيمه، وإجلاله بعبادته وحده، لا شريك له، وإخلاص الدين كله له.[٥]

«الله أكبر» أي: الله أكبر من كل شيء: ذاتاً، وقدراً، ومعنى،

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٦٧٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٥٢٠).

(٣) المصدر السابق.

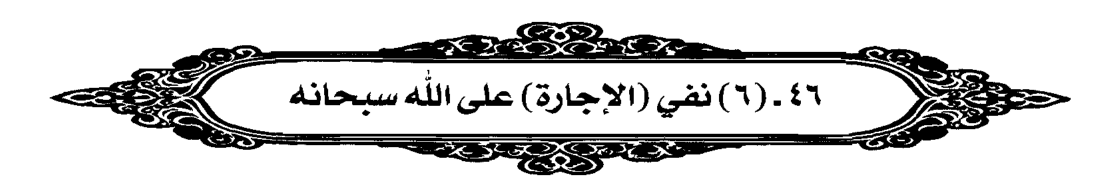
(٤) الحق الواضح (١٣).

(٥) تفسير السعدي (٤٦٩).

وعـزة، وجلالة، يقال: التكبير: أنها أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم، والإجلال، فهو أكمل من صفة العظمة، لأنه يتضمنها، ويزيد عليها في المعنى[1]، ولهذا أكده بالمصدر، تحقيقاً له، وإبلاغاً في معناه.[2]

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢٥٣)، والصواعق المرسلة: (٤/١٣٧٩)، والأسنى (٢٥٢).

(٢) تفسير النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٢/٣٢٥).



٤٦ـ (٦) نفي (الإجارة) على الله سبحانه

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال سبحانه تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ (المؤمنون: ٨٨).

٢ ـ وقال عز شأنه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٨﴾ (الملك).

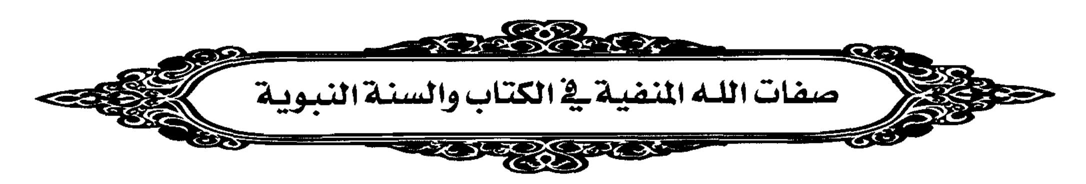
٣ ـ وقال جل جلاله: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢﴾ (الجن).

المعنى في اللغة:

يجير: يجير ويجار، مأخوذ من جار يُجيرُ جوراً: إذا طلب، أو سأل أن يجار، يقال: أجرت فلاناً، وأجرت فلاناً على فلان، أي: حميته، ومنعته منه، واستجار بي استغاث بي، واحتمى، وامتنع، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: يُؤمِّن من يخاف من غيره، ولا يؤمَّن من يخيفه هو.[1]

---

(١) عمدة الحفاظ (٣٥٨/١)، واللسان (١٥٥/٤)، والبحر المحيط (٥٨٠/٧).



المعنى في الشرع:

نفى الله تعالى عن نفسه العلية أن يجير عليه أحد، كما في سورة (المؤمنون) أمر ربنا تبارك وتعالى نبينا محمداً ﷺ الذي هو أمرٌ لنا كذلك أن يقول: ﴿مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أي: خزائن كل شيء من العالم العلوي والسفلي ما ينصره، وما لا ينصره، و(الملكوت): صيغة مبالغة بمعنى: الملك.

ثم قال عز شأنه: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾، أي: يحمي، ويمنع من أراد ممن قصده بسوء، أو شر، أو ضر.

والمعنى: أنه تعالى يجير عباده من الشر ويؤمنهم، ويدفع عنهم المكاره، والمساوئ، ويحفظهم مما يضرهم، لأنه كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحداً، لا يحفز[1] في جواره، وليس لمن دونه أن يجير عليه، لئلا يقتات عليه، ولهذا قال عز شأنه: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾، أي: يمنع، ويغيث من يشاء فيكون في حرزه، لا يقدر أحد على الدنو من ساحته، وقوله: ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾.

ولا يمنع منه، أي: لا يقدر أحد أن يجير على الله تعالى، والمعنى: ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء، فيدفع عنه عذابه، وعقابه الذي قدره عليه، فيدفعه أو يرده، أو ينقذه من قبضته، بل يأخذ من أراد، وإن نصره جميع الخلائق يعلى من أراد، وإن تحاملت عليه كل

(١) أي: دفعه، القاموس المحيط (٣٠٣).

المصائب، ولهذا عدى الفعل (يجار) بـ(على) لتضمنه معنى النصرة، أو الاستعلاء، فهو تعالى الذي له الخلق، والأمر، ولا معقب لحكمه، الذي لا يمانع، ولا يخالف بأي وجه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وبالجملة: فإن الله تبارك وتعالى يمنع من يشاء ممن يشاء، ولا يمنع أحد منه جل وعلا أحداً.[١]

ثم بيَّن سبحانه أن المشركين سيعترفون بذلك، أنه هو تعالى السيد العظيم المالك لكل شيء، المجير الذي لا يجار عليه، فقال: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: سيقرون بذلك، ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩)﴾ أي: فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره، مع اعترافكم بأنه تعالى وحده لا شريك له.[٢]

دلالة نفي (الإجارة) على صفات الله تعالى

تضمن نفي الإجارة على الله تعالى من أحد، على عدة أوصاف كمال، تنافي هذا النقص من كل وجه، فهو تعالى «السيد، العظيم، الذي لا أعظم منه على الإطلاق، (وعلى) كمال ملكه، وعظيم سلطانه، وقدرته، وكبريائه، وقهره، وحكمته، وعدله».[٣]

---

(١) ذهب بعض أهل العلم أن منعه، ومنعته في الدنيا والآخرة: إحداهما في الدنيا: أن من أراد إهلاكه لم يمنعه منه مانع، ومن أراد نصره لم يدفعه من نصره دافع،الثاني: في الآخرة: لا يمنعه من مستحقي الثواب مانع، ولا يدفعه من مستوجب العذاب دافع، تفسير الماوردي (٤/٩٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/٣٨١)، وابن كثير (٣/٣٤٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥/٤٨٧)، ونظم الدرر (٥/٢١٨)، والبحر المحيط (٧/٥٨٠)، والسعدي (٥٥٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٣٤٩ - ٣٥٠)، والطبري (٥/٣٨١).

فهو تعالى له الخلق، والأمر، ولا معقب لحكمه الذي لا يمانع، ولا يخالف ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.[1]

فكيف يجير أحد على الله سبحانه، وهو (السيد): سيد الخلق، ومالكهم، ومدبر أمورهم، وأحوالهم، الظاهرة، والباطنة، الذي إليه يرجعون، وبأمره يعملون، نواصيهم كلها بيده، يتولى أمرهم، ويسوسهم إلى صلاحهم، ليس لهم غنىً عنه طرفة عين[2].

له مطلق السيادة: ملكاً، وخلقاً، وتدبيراً، وذلاً، وخضوعاً، وانكساراً[3]، له المشيئة الكاملة، التامة، الشاملة، والإرادة النافذة على الجميع، لا راد له من أحد من العبيد، فلا يرام جنابه، ولا يوصل إلى مقامه سبحانه.

---

(١) ابن كثير (٣/٣٥٠).

(٢) بدائع الفوائد (٣/٧٣٠)، وتحفة المودود (١/١٢٦)، بتصرف يسير.

(٣) فقه الأدعية د. عبدالرزاق البدر (٧٨).



٤٧ـ (٧) نفي (سؤال الله عما يفعل) سبحانه

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الأنبياء).

المعنى في اللغة:

السؤال استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة.[1]

المعنى في الشرع:

نفى ربنا تبارك وتعالى أن يسأل سائل ما عن الذي يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء، من حياة، وموت، وإعزاز، وإذلال، وغير ذلك من حكمه فيهم، لأنهم خلقه وعبيده، وجميعهم في ملكه وسلطانه، والحكم حكمه، والقضاء قضاؤه الذي لا معقب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد، ولا شيء فوقه يسأله عما يفعل لا بقول، ولا بفعل، فيقول: لم فعلت؟ ولم لم تفعل؟.

فإذا كانت الملوك والجبابرة لا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم، وعما يوردون، تهيباً وإجلالاً مع جواز الخطأ والزلل، وأنواع الفساد عليهم، كان ملك الملوك، ورب الأرباب، خالقهم ورازقهم، أولى بأن لا يسأل عما يفعله سبحانه، مع علم واستقرار في العقول

(١) المفردات (٤٣٧).

من أن كل ما يفعله جل جلاله على سنن الحكمة، والرشاد، والذي لا يجوز عليه الخطأ، ولا فعل القبائح.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾، أي: وجميع من في السموات والأرض من عباده مسوؤلون عن أفعالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، فهو تعالى الذي يسألهم عن ذلك، ويحاسبهم عليه، لعجزهم، وفقرهم، ولكونهم عبيداً له، قد استحقت أفعالهم، وحركاتهم، فليس لهم من التصرف والتدبير في أنفسهم، ولا في غيرهم مثقال ذرة، لأنه عز شأنه فوقهم، ومالكهم، وهم في سلطانه[1] لا يخرجون عنه في أي حال، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (الحجر).

فربنا جل جلاله لا ينبغي لأحد أن يعترض عليه في شيء كان، لا من أفعاله، ولا في أقواله، «لأنه لا كفوء له في علم، ولا حكمة، ولا قدرة، ولا عظمة، ولا إلى غير ذلك»[2] فيعترض عليه، لأن المعارض لابد في معارضته أن يكون مساوياً، أو مكافئاً للمعترض فيما ادعاه، وأما إذا لم يكن كذلك، فحجته باطلة، داحضة، فمن يكون شبيهاً، أو مساوياً، أو كفئاً لربنا العظيم الجليل؟

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/٢٤٦)، وابن كثير (٣/٢٤٣)، والكشاف للزمخشري (٣/١١١)، والسعدي (٥٢١).

(٢) نظم الدرر (٥/٧٦).



دلالة نفي (السؤال عما يفعل) على صفات الله تعالى:

دلَّ هذا النفي على عظمته سبحانه، وعزة سلطانه، وتفرده بالألوهية، والسلطنة الذاتية[١]، التي لا تنفك عنه تعالى بوجه من الوجوه.

فربنا تبارك وتعالى «هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد لعظمته، وجلاله، وكبريائه، وعلمه، وحكمته، وعدله، ولطفه»[٢]، وعزته، وكمال قدرته» لا يقدر أحد أن يمانعه، أو يعارضه، لا بقول، ولا بفعل، ولكمال حكمته ووضعه الأشياء مواضعها، وإتقانها، أحسن شيء يقدره العقل، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح فيه مقال، لأن خلقه ليس فيه خلل، ولا إخلال، وليس في أفعاله عبث، ولا في أوامره سفه، بل كل أفعاله لا تخرج عن الحكمة، والعدل، والفضل»[٣]، لأن أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة، لأجلها فعل، فهو تعالى الحكيم في أقواله، وأفعاله، وأحكامه، فلا يقول، ولا يفعل، ولا يفصل إلا بالحق، والعدل، والصواب، فلا يخرج عن حكمته مخلوق، ولا مشروع.[٤]

«فليس في شيء من أفعاله لإتقانها، (ولأقواله لصدقها، وتمامها) موضع سؤال، فمهما أراد كان، ومهما قال فالحسن الجميل».[٥]

---

(١) تفسير البيضاوي (٤١٧/٢)، وتفسير أبي السعود (٣٣١/٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٤٣/٣).

(٣) تفسير السعدي (٥٢١، ٩١٥).

(٤) ابن كثير (١٨٤/١، ٤٥٩)، والقواعد الحسان (٢٣) والأسماء للبيهقي (٢٢).

(٥) نظم الدرر (٧٦/٥).

فلا يُسأل جل جلاله «لأنه ربٌّ مالك علاَّم، لا نهاية لعلمه، وكل ما سواه مربوب، مملوك جاهل، لا يعلم شيئاً إلا بتعليم، فليس للمملوك الجاهل، أن يعترض على سيده، العليم بكل شيء فيما يفعل».[1]

ولكمال عدله سبحانه الذي وسع كل الخليقة، فهو تعالى عدلٌ مع أوليائه، ومع أهل كفرانه، «فلو شاء لعذب أهل سمواته، وأهل أرضه، كان ذلك منه عدلاً حسناً»[2].

كيف يُسأل ربنا العظيم، وهو (اللطيف): «الذي لطف صنعه، وحكمته ودق، حتى عجزت عنه الأفهام»[3] عن إدراكه، فهو العالم بحقائق المصالح وغوامضها[4]، وبدقائق الأفعال، وإدراكه أسرار الأمور، حيث أحاط بها خبرة من كل الوجوه، تفصيلاً، وإجمالاً، وسراً وعلانية[5] فدل على أنه سبحانه «لا يُسأل عما يفعل لا لمجرد قهره، ومشيئته، وقدرته، (بل) لكمال علمه، وحكمته، ورحمته، وعدله»[6] وهذا نهاية الكمال وغايته. فإذا كان ربنا العظيم موصوفاً بهذه الأوصاف الجلال، والعظام، والكمال، فكيف يُسأل عما يفعل، بل من يتجرأ على السؤال عن ذلك؟ تعالى ربنا عن النقائص، والمعائب، والشوائب.

---

(١) تفسير البروسوي (٢/٤٥٧).

(٢) نظم الدرر (٥/٧٦).

(٣) الصواعق المرسلة (٢/٤٩٢).

(٤) المقصد الأسنى (٧٠).

(٥) معارج القبول للحكمي (١/٥٠).

(٦) انظر: شرح العقيدة الأصبهانية (٤٢٩).



٤٨ ـ (٨) نفي (القول على الله بلا علم) سبحانه

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الأعراف).

المعنى في الشرع:

جاءت هذه الآية ضمن صفات آيات الصفات، (المنفية)، للدلالة على أن القول على الله تعالى بلا علم، من أعظم المحرمات، بل إنه يأتي في مرتبة أعلى من مرتبة الشرك، حيث رتب المحرمات في هذه الآية، من الأدنى إلى الأعلى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الأعراف).

والقول على الله بلا علم يشمل القول عليه في أحكامه، وشرعه، ودينه، كما يشمل القول عليه في أسمائه، وصفاته، وهو أعظم من القول عليه في شرعه، ودينه.[١]

---

(١) شرح الواسطية للعلامة ابن باز رحمه الله (١٠٣/٢).



دلالة نفي (القول على الله بلا علم) على صفاته تعالى

دل هذا النفي: على كمال سلطانه تعالى، وكبريائه، وجلاله، أن لا يقول عليه أحد ما لا يعلم.

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: في تفسير الآية ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾: «إذا قال قائل: أين السلبية في هذه الآية؟ قلنا هي: (ثم ذكر الآية): فالاثنان جميعاً من باب الصفات السلبية، ﴿وَأَن تُشْرِكُوا﴾، يعني: لا تجعلوا لله شريكاً لكماله.

﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: كذلك: لكماله، فإنه من تمام سلطانه، أن لا يقول عليه أحد ما لا يعلم».[1]

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١٥٦/٢).

٤٩ ـ (٩) نفي (الشفاعة إلا بإذن الله) سبحانه

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

٢ ـ وقال عز شأنه: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ (سبأ: ٢٣).

٣ ـ وقال جل ثناؤه: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ (طه).

٤ ـ وقال سبحانه: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (الزمر).

المعنى في اللغة:

الشفع: ضم الشيء إلى مثله، ويقال للمشفوع: شفع.

والشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصراً له، وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل من هو أعلى حرمةً ومرتبة، إلى من هو أدنى، ومنه: الشفاعة في القيامة، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ (المدثر)، أي: لا شفاعة فينتفع بها.[1]

(١) المفردات (٤٥٧ - ٤٥٨)، وعمدة الحفاظ (٣/٢٧٨ - ٢٧٩).

وفي الاصطلاح: التوسط للغير لجلب منفعة، أو دفع مضرة، فشفاعة النبي ﷺ في أهل الموقف، أن يقضي الله بينهم بعدما يلحقهم من الهمّ، والغمّ ما لا يطيقون: شفاعة لدفع مضرة، وشفاعته في أهل الجنة، أن يدخلوا الجنة: شفاعة في جلب منفعة.[1]

المعنى في الشرع:

أخبر ربنا تبارك وتعالى كما تقدم من الآيات الكريمة أنه المالك لكل شيء، وأنه لا يقع لأي فرد من خلقه ضر، أو نفع إلا بإرادته، ومشيئته، وتدبيره، ومن ذلك: أنه مالك الشفاعة كلها، فلا تقع الشفاعة لديه إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ (سبأ: ٢٣).

وجاء هذا النفي مشوباً بالتحدي، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

«فمن هي (من) الاستفهامية، أشربت معنى النفي»[2]، يعني: لا يتجاسر أحد على أن يشفع عنده إلا بإذن له في الشفاعة[3]، فهذا الاستفهام الإنكاري ينكر تعالى على من يزعم أن أحداً يشفع عنده بدون إذنه، كما هو معهود في الدنيا لدى العظماء، فإن الشفاعة عندهم تحصل بدون إذنهم[4].

فالشفاعات كلها لله تعالى، ولكنه تعالى إذا أراد أن يرحم من يشاء

(١) تفسير سورة البقرة لابن عثيمين (٢٥٢/٣).

(٢) مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري (٤٣١) نقلاً من التسبيح في الكتاب والسنة (١٤٣/١).

(٣) ابن كثير (١٣٦/١).

(٤) شرح كتاب التوحيد لغنيمان (٦٠١/٢). وانظر: شرح العقيدة الأصبهانية (٤٣٥).

من عباده، أذن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه، لا يبتدئ الشافع قبل الإذن.[١]

فالمنفي عنه سبحانه تلك الشفاعة المطلقة، التي كان يدعيها المشركون وأشباههم من أهل الكتاب لآلهتهم، وأنبيائهم، وقديسيهم، وأما الشفاعة عنده بإذنه فإنها ثابتة بالنصوص الكثيرة من الكتاب والسنة[٢]، للأنبياء، والأصفياء لأهل الجرائم، لأنها دالة على كمال رحمته، وعموم إحسانه، فإنها من رحمته بالشافع، والمشفوع له.

فالشافع ينال بها الأجر، والثناء من الله تعالى، ومن خلقه، والمشفوع له يرحمه الله على يد من أذن له بالشفاعة فيه، ومع هذا فلا يأذن لأحد أن يشفع إلا فيمن رضي قوله، وعمله، وهو من كان مخلصاً لله تعالى، متابعاً لرسوله ﷺ.[٣]

فتضمن هذا النفي والاستثناء (إلا بإذنه) أمرين:

أحدهما: إثبات الشفاعة الصحيحة، وهي أنها تقع بإذنه سبحانه، لمن يرضى قوله، وعمله.

والثاني: إبطال الشفاعة الشركية، التي كان يعتقدها المشركون لأصنامهم، وهي أنها تشفع لهم بغير إذن الله، ورضاه[٤]، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

---

(١) السعدي (١١٠).

(٢) النفي في باب صفات الله (١٢٣).

(٣) انظر: الحق الواضح (٩).

(٤) شرح الواسطية للهراس (١/٢٩٧).



دلالة نفي (الشفاعة إلا بإذن الله) على صفاته تعالى

نفى ربنا جل جلاله أن يشفع أحد إلا بإذنه سبحانه، «لكمال توحيده، وغناه عن خلقه، وكمال ملكه، وربوبيته وهيمنته».[1]

وتضمن النفي كذلك على «عظمته، وجلاله، وكبريائه، أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع عنده إلا بإذنه له في الشفاعة».[2]

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله - في تفسيره لآية الكرسي، يقول: «فنفى شفاعة أحد عنده إلا بإذنه، يتضمن: كمال كونه له ما في السموات وما في الأرض، ليس له في ذلك شريك ولا ظهير.

فإن الشافع إذا شفع عند غيره بغير إذنه كان شريكاً له فيما شفع فيه، وكان متصرفاً فيه، إذ جعله فاعلاً بعد أن لم يكن، فكان في نفي هذه الشفاعة قد بيّن أنه لا شريك له بوجه من الوجوه».[3]

وفي هذا النفي بيان على «أنه تعالى الصمد الذي يحتاج إليه كل شيء، ولا يحتاج إلى شيء، ولا يؤثر فيه غيره».[4]

يقول العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ (سبأ:٢٣)، النفي هنا متضمن الإثبات، وهو: كمال السلطان، لأن من كمال السلطان، ألا يتكلم أحد

(١) الصواعق المرسلة (١٠٢١/٣)، وحادي الأرواح (٢٦٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٣٠/١).

(٣) شرح العقيدة الأصبهانية (٤٣٥).

(٤) المصدر السابق.

عند الملك المشفوع إليه أبداً، إلا بإذن[(١)]. ويقول - رحمه الله - عند قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

يفيد أنه ملك تام السلطان بمعنى: لا أحد يستطيع أن يتصرف ولا بالشفاعة التي هي خير، إلا بإذن الله، وهذا من تمام ربوبيته، وسلطانه».[(٢)]

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾: «يعني إلا إذا أذن في هذه الشفاعة، حتى أعظم الناس جاهاً عند الله تعالى».[(٣)] لا يشفع إلا بإذن الله، وهذا من كمال سلطان الله، وهو غير عموم الملك، لكن إذا انضمت قوة السلطان، إلى عموم الملك، صار ذلك أكمل، وأعلى».[(٤)]

ودل نفي شفاعة أي أحد إلا بإذنه: على كمال هيمنته سبحانه، فهو تعالى المهيمن الذي لا يخرج عن قدرته مقدور، ولا ينفك عن حكمه مفطور، له الملك على جميع الخلائق، في سائر الأمور.[(٥)]

---

(١) تفسير سورة سبأ (٦٦٣/٧).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (٣٠٨/١).

(٣) يقول شيخ الإسلام: «... ولهذا أعظم الخلق عند الله، وأكملهم شفاعة محمد ﷺ تسليماً وعلى آله، لا يشفع يوم القيامة إلا بإذن الله له في الشفاعة، كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة... ثم ذكر - رحمه الله - بعضاً منها» شرح العقيدة الأصبهانية (٤٣٦).

(٤) تفسير سورة البقرة لابن عثيمين (٢٥٢/٣، ٢٥٩ ، ٢٦٠).

(٥) أسماء الله الحسنى، د. الرضواني (٢٠٨).



٥٠ - (١٠) نفي (التعقيب على حكم الله) سبحانه

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ (الرعد).

السنة النبوية:

كما في حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما في حديث دعاء الوتر، وكذلك في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «... وكان يعلمنا هذا الدعاء[1] وفيه: «... **فإنك تقضي ولا يقضى عليك**».[2]

المعنى في اللغة:

التعقيب: أن يأتي بشيء بعد آخر، يقال: عقَّب الفرس في عدوه، قال تعالى: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾، أي: لا أحد يتعقبه، ويبحث عن فعله، من قولهم: عقّب الحاكم على حكم من قبله: إذا تتبعه، ويجوز أن يكون ذلك (أي: التعقيب على حكمه تعالى) نهياً للناس أن يخوضوا في البحث عن حكمه، وحكمته، إذا خفيت عليهم.

---

(١) وهذه الرواية عن أنس رضي الله عنه مطلقة غير مقيدة بالوتر، وقوله (وكان يعلمنا) الفعل المضارع بعد كان يدل على الدوام والاستمرارية.

(٢) صحح الألباني الرواية المقيدة في صحيح أبي داود (١٢٨١)، وصحح محققو المسند الرواية المطلقة في مسند أحمد (١٧٢٣).

ويكون ذلك من نحو النهي عن الخوض في سر القدر[١]، وحقيقته (أي: التعقيب) الذي يُعقب الشيء بالإبطال، ومنه: قيل لصاحب الحق معقب، لأنه يقفو غريمه بالاقتضاء.[٢]

الحكم: أصل الحكم: المنع، ومنه حكمة الدابة، سميت حكمة: لأنها تمنعها من الجماح، والحكم: القضاء بالعدل، وسمي الحاكم حاكماً: لأنه يمنع الخصمين من التظالم، فالحكم هو: الذي يحكم ويفصل في سائر الأمور.[٣]

المعنى في الشرع:

يخبر ربنا تبارك وتعالى كما في آية (٤١) الرعد أنه هو الفعّال لما يريد، في كل ما أراد في العبيد، في أي وقت شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، «فهو تعالى الذي يحكم فينفذ حكمه، ويقضي فيمضي قضاؤه، وإذا جاء هؤلاء المشركين بالله تعالى من أهل مكة حُكم الله وقضاؤه، لم يستطيعوا ردَّه، ويعني بقوله: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾: لا راد لحكمه».[٤]

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾: اعتراض في اعتراض، لبيان علو شأن حكمه جل جلاله.[٥] وأفاد نفي جنس المعقب، انتفاء كل من شأنه أن يكون معقباً، من شريك، أو شفيع، أو داع، أو راغب.[٦]

---

(١) المفردات (٥٧٥ - ٥٧٦).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٢/٢١١)، وتفسير روح المعاني (٨/٢٥٠).

(٣) لسان العرب (١٢/١٤٠) وتفسير الأسماء (٤٣).

(٤) تفسير الطبري (٤/٤٣٥).

(٥) تفسير أبي السعود (٢/٤٦٥).

(٦) تفسير التحرير والتنوير (٧/١٧٢).

والمعنى: أنه حكم للإسلام، بالعز، والإقبال، وعلى الكفر بالذل، والإدبار، وذلك كائن لا يمكن تغييره، بأي حال، كما هو يشاهده ذو الأبصار من المخايل والآثار، ومحل (لا) مع النفي، النصب على الحال، أي: يحكم نافذاً حكمه سبحانه.(1)

ويدخل في هذا حكمه تعالى الشرعي الديني، والقدري الكوني، والحكم الجزائي، فهو سبحانه يحكم بها: في الأولى والآخرة، لا يشاركه فيها مشارك، فهذه الأحكام التي يحكم الله تعالى فيها توجد في غاية الحكمة، والاتقان، لا خلل فيها ولا نقصان، بل هي مبنية على القسط، والعدل، والحمد، فلا يتعقبها أحد بسؤال، ولا يقدح فيها مقال، بخلاف حكم غيره، فإنه قد يوافق الصواب، وقد لا يوافقه، فهو تعالى حكم بين عباده في أقداره، وشرعه، وجزائه، بالحق، والعدل، والحمد، فهي مع ذلك في نفسها جارية في غاية الإحكام، والحكم والحق، في أصلها، وفرعها، وغاياتها، وثمراتها».(2)

دلالة نفي (التعقيب على حكم الله) على صفاته تعالى

دل هذا النفي على كمال ملك الله تعالى، ونفوذ سلطانه، وعلى تمام عزته، وعظمته، ونفوذ حكمه، وسعة حكمته، وشمول عدله في كل خلقه، فهو سبحانه الحاكم على الإطلاق، النافذ أمره فيما أراد. لا راد له في ذلك أحد من العباد.

---

(1) تفسير البيضاوي (٢/٢١١).

(2) تفسير السعدي (٤٢٠)، وفتح الرحيم الملك (٢٣ - ٢٤)، والكافية الشافية (١١٩ -١٢١).

٥١ ـ (١١) نفي (أن يكون للخلق وليٌ من دون الله) سبحانه

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ ـ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ (البقرة: ١٠٧)، والتوبة (١١٦)، والعنكبوت (٢٢)، والشورى (٣١).

٢ ـ وقال جل ثناؤه: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ (الأنعام).

٣ ـ وقال جل جلاله: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ (الرعد).

المعنى في اللغة:

تقدم معنى الولي عند الصفة المنفية رقم (٤٦) وهي: (نفي أن يتخذ الله تعالى أحداً ولياً من الذل).

المعنى في الشرع:

نفى ربنا عز شأنه أن يكون لنا وليّ سواه، يلي أمورنا، فيجلب لنا المنافع، ويدفع عنا الشرور والمساوئ، فهو وحده تعالى المتولي لأمور خلقه في هذا الكون، فإنه سبحانه تولى خلقنا، ورزقنا، وتدبيرنا، وتربيتنا، التربية العامة، والخاصة.[1]

---

(١) انظر: الحق الواضح (١٢)، وشرح النونية للهراس: (٣/٧٤ – ٧٥).



وقد تقدم بيانه: أن ولاية الله نوعان:

ولاية عامّة: وهي ولاية الخلق، والتدبير، الشاملة للبر والفاجر، قال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ (السجدة: ٤)، وقوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ (الشورى: ٤٤).

وولاية خاصة: وهي ولايته تعالى للمؤمنين المتقين، يخرجهم بها من ظلمات الجهل، والكفر، والمعاصي إلى نور العلم، والإيمان، والطاعة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ (البقرة: ٢٥٧).[1]

فهو تعالى يوالي عباده المؤمنين، لرحمته، ونعمته، وحكمته، وإحسانه، وجوده، وفضله، وإنعامه.[2] والآيات في هذا الباب كثيرة: تدل دلالة جليّة على أنه ليس أحد من الخلق في هذا العالم العظيم علويّه، وسفليه، له وليّ من دون الله تعالى.

دلالة (نفي أن يكون للخلق ولي من دون الله) على صفاته تعالى

تضمن هذا النفي على كمال ملك الله تعالى الذي لا يحد، وعظيم سلطانه الذي لا ينفد، وقهره، وسيادته التامة لكل عبد، ومشيئته النافذة في كل وقت، وعلى ولايته الكاملة الشاملة في كل الخلق، فلا يخرج عنها أحد، لا في السموات ولا في الأرض.

(١) الحق الواضح (١٢ - ١٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٥٢٠).

٥٢ـ (١٢) نفي (أن يظن بالله تعالى ظن السوء) سبحانه

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

١ـ قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ (الفتح).

٢ـ وقال سبحانه: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (فصلت).

٣ـ وقال عز شأنه: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ (آل عمران: ١٥٤).

٤ ـ وقال جل جلاله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (الصافات).

المعنى في اللغة:

الظن: ترجح أحد الطرفين على الآخر، نفياً وإثباتاً، ويأتي على معنيين مختلفين: يقين، وشك، فأما اليقين فقول القائل: ظننت ظناً، أي: أيقنت. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (البقرة) أي: يتقون.

والأصل الآخر: الشك، يقال: ظننت الشيء إذا لم تتيقنه، ومن ذلك: الظنَّة: التهمة، والظنين: المتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ (التكوير)، أي: بمتهم.[1]

والسوء: ساء سوءه سواء بالفتح، ومساءة ومساية، نقيض سره، والاسم السوء بالضم[2]، وعبر عن كل ما يستقبح[3]، ويدخل في ذلك الأقوال، والأفعال، والأحوال النفسية الباطنية،والله تعالى أعلم.

المعنى في الشرع:

نفى ربنا جل جلاله أن يُظن به خلاف كماله المقدس، وجلاله المعظم، وهو ظن السوء والباطل «ولهذا توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم، كما قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ (الفتح)».[4]

فلهذا رتب عز شأنه على هذا الظان المعاند شر الموارد، والمهالك:

أولاً: الخسران في المآل، فقال: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (فصلت)

---

(١) عمدة الحفاظ (٣/١٤-١٦)، ومعجم مقاييس اللغة (٥٥١)، والمصباح المنير (٢٢٣).

(٢) الصحاح للجوهري (١/٥٥-٥٦).

(٣) المفردات (٤٤١).

(٤) الجواب الكافي (١٩٦).



ثانياً: دائرة السوء.

ثالثاً: الغضب.

رابعاً: اللعنة.

خامساً: جهنم وساءت مصيراً.

فقال عز من قائل: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ (الفتح).

وقد جاء الاستفهام في الكتاب في سياق التهديد والوعيد، لمن ظن به ظن السوء من العبيد، بقوله: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (الصافات)، أي: «فما ظنكم برب العالمين، أن يفعل بكم، وقد عبدتم معه غيره؟، وهذا ترهيب لهم بالجزاء بالعقاب على الإقامة على شركهم، وما الذي ظننتم برب العالمين، من النقص حتى جعلتم له أنداداً وشركاء».(١)

«فالاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ تشمل عدة معاني:

١ ـ ظنكم به يترككم هملاً بدون عقاب.

٢ ـ ما ظنكم به إذا أتخذتم معه غيره، أنكم تنقصتموه.

٣ ـ ما ظنكم به أنه يرضى أن تعبدوا معه غيره، كل هذا أمر إن كانوا يظنونه، فقد أساؤوا الظن بالله، ولم يقدروا الله حق قدره».(٢)

---

(١) تفسير السعدي (٧٠٥).

(٢) تفسير سورة الصافات (١٩٥ - ١٩٦) لابن عثيمين.

بل إن صور الظن السوء بالله تعالى عديدة وكثيرة، لا تحصى أفرادها في هذه الوريقات، وقد استعرض الإمام الجليل ابن القيم - رحمه الله - كثيراً منها.[1]

دلالة نفي (ظن السوء) على صفات الله تعالى

إن الظن بالله تبارك وتعالى السوء في حقه يقدح في موجبات، ومقتضيات كماله، التي لا تحصى، ولا تستقصى، والتي منها: الحمد، فإن من أسمائه جل جلاله الحسنى (الحميد): وهو أوسع الصفات، وأعم المدائح، فهو تعالى المحمود في ذاته، وأسمائه، وأوصافه، وأفعاله، وسلطانه، فمن كمال حمده يوجب أن لا ينسب ولا يظن به السوء، ولا شر، في أي حال، ومن أسمائه تعالى: (القدوس)، و(السلام)، و(السبوح) و(الطيب) وغيرها من الأسماء، التي تدل على نزاهته، وطهارته عن كل عيب، ونقص، وآفة، وشر، من كل وجه واعتبار.

فمن كان كذلك لا يظن به ظن السوء، بل يظن به ظن الخير، والحمد، والمجد، والعلا، واليقين. وهو: أنه الكامل جل جلاله من جميع الوجوه: في ذاته، وأوصافه، وأفعاله، وأسمائه، وسلطانه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «أعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به، فإن المسيء به الظن، قد ظن به خلاف كماله المقدس، فظن ما يناقض أسماءه، وصفاته».[2]

---

(١) انظر: زاد المعاد (٣/٩٠).

(٢) الجواب الكافي (١٩٦).

ويقول - رحمه الله - في تعليقه على سورة الفتح (٦) الآنفة الذكر:

«وإنما كان هذا ظن السوء، وظن الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل، وظن غير الحق، لأن ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وذاته المبرأة من كل عيب، وسوء، وخلاف ما يليق بحكمته وحمده، وتفرده بالربوبية، والألوهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه، وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم، ولا يخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون...».[١]

فالذي يساء به الظن هو الناقص، وهذا يكون في أوصاف الخلائق، أما رب الخلائق فهو منزه عن ذلك، لأنه سبحانه لم يبق صفة كمال إلا اتصف بها، «بأكملها، وأجلها، وأعلاها»[٢]، ونهاياتها على الوجه الأقصى، والأعلى، بالجلال والكمال، «بحيث لا يفوته منها صفة، ولا نعت دال على الجلال، والجمال».[٣]

فكل صفة من صفاته العلا يستحق عليها أكمل الحمد، والثناء، والمجد، فكيف بجميع صفاته، ولهذا قال أعبد البشر، وأتقاهم لله تعالى: «**لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»[٤] وصدق الصادق المصدوق ﷺ.

---

(١) زاد المعاد (٣/٩٠).

(٢) طريق الهجرتين (٥٤).

(٣) فتح الرحيم (٣٧).

(٤) مسلم (٤٨٦).

كيف يحصي الثناء على ربنا العظيم الجليل لما له من أوصاف الكمال، والبهاء، والجمال، والكبرياء، وهو الذي «لا تقدر القلوب أن تبلغ كنهه، ولا الألسن على التعبير عنه، (بل) وأن الخلق من أولهم إلى آخرهم لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته، لم يكن لهم قدرة، ولا وسع ذلك»[1] فويل لمن يظن به خلاف كماله المعظم؟ فوالله وبالله، وتالله، إنه لخاسر وهالك في الدنيا والآخرة، والعياذ بالله.

---

(١) تفسير السعدي (٣٣٥)، وفتح الرحيم (٧).



٥٣ . (١٣) نفي (اختيار غيره على اختياره) سبحانه

الأدلة الشرعية:

القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (القصص).

المعنى في اللغة:

الخيرة: اسم من الاختيار، وهي: الحالة التي تحصل للمستخير، والمختار، نحو القعدة والجلسة للقاعد والجالس.

والاختيار: طلب ما هو خيرٌ وفعله، وقد يقال لما يراه الإنسان خيراً، وإن لم يكن خيراً، وخيرت فلاناً في كذا فخرته.

والاختيار: الاصطفاء، يقال: اخترت هذا، فهو: الأخذ بخير الأمرين، والاختيار في عرف الفقهاء والمتكلمين هو: ضد الإكراه، والمختار هو: ضد المكروه.[1]

المعنى في الشرع:

نفى ربنا جل جلاله في محكم كتابه أن يختار أحد على اختياره، وجاء هذا النفي بالتسبيح، والذي تقدم هو: التنزيه، والإبعاد عن الله تعالى العيوب، والشرور، والسوء، وكذلك جاء مع

(١) عمدة الحفاظ (١/٥٤٥-٥٤٧)، ومختار الصحاح (١١٥).

التسبيح بالتعالي، ومعناه كما تقدم: العلو مع التنزيه، فقال جل ثناؤه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

ففي هذه الآية الكريمة سبح الله تعالى لنفسه المقدسة، وأعلى نفسه العظيمة، تنزيهاً عن شرك المشركين، ودعوى الجاحدين المبطلين، بعد أن أخبر عز شأنه عموم خلقه لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده سبحانه بالخلق والاختيار من يختار، ويختصه من الأشخاص، والأوامر، والأماكن، والأزمان، وأنه ليس له في ذلك، منازع، ولا معقب.

وأن أحداً ليس له من الأمر، والاختيار شيء، بل هو الذي يخلق ما يشاء ويختار ما يشاء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، والأمور كلها، خيرها وشرها بيده، ومرجعها إليه[1].

فيحكم بها على مقتضى حكمته، ومشيئته، وإرادته، التي لا تنفك عنه سبحانه في أي حال من الأحوال، ولهذا قال: (ما يشاء)، «أي: ما يشاء خلقه، فالمفعول محذوف، وكل ما ذكر الله تعالى عن فعل من أفعاله أنه تابع للمشيئة، فإنه مقرون بالحكمة.

لأن من أسماء الله تعالى (الحكيم) فلا يخلق شيئاً عبثاً، ولا يحكم بشيء عبثاً، كل ما شاءه، فهو مقرون بالحكمة».[2]

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٥٣٩)، وتفسير السعدي (٦٢٢).

(٢) تفسير سورة القصص لابن عثيمين (٦/٤٢٤).

وقوله: (**ما كان لهم الخيرة**): نفي عام لجميع الأشياء أن يكون للعبد فيها شيء سوى اكتسابه بقدرة الله عز وجل[١]، ومشيئته، وإرادته.

وقوله: (ما)[٢] النافية، والوقف التام عند قوله تعالى: (**ويختار**)[٣] ثم تبدأ بقوله: (**ما كان لهم الخيرة**)، والمعنى: أن الله هو الذي له الاختيار المطلق، وليس لأحد خيرة[٤]، فهو استئناف لنفي الاختيار، الذي اقترحه المشركون بإرادتهم، وأهوائهم، ولبيان انفراده تعالى بالخلق، والتقدير، والاختيار، وأنه لا نظير له في ذلك.[٥]

ولهذا قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾: فنزه نفسه المقدسة عن شرك المشركين، وعما أشركوه به من الأصنام، والأنداد التي لا تخلق، ولا تختار شيئاً[٦]، فهو تعالى منزه عن كل ما يشاركونه به من الشريك، والظهير، والعوين، والولد، والصاحبة، ونحو ذلك.[٧]

---

(١) تفسير القرطبي (٧/٢٧١).

(٢) ذهب ابن جرير إلى أن (ما) اسم موصول، بمعنى (الذي) (٦/٤١) وذهب أكثر المفسرين وعلى رأسهم (ابن عباس) رضي الله عنهما أن (ما) نافية هذا ما رجحه ابن القيم في شفاء العليل (١/٩٧، ٩٨)، وابن كثير وغيرهم الكثير.

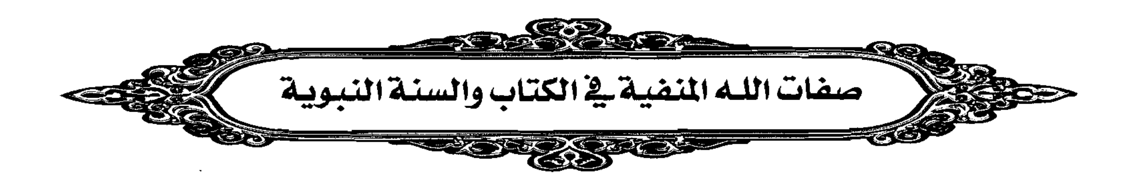
(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤/١٥١).

(٤) تفسير سورة القصص لابن عثيمين (٦/٤٢٤ - ٤٢٥).

(٥) شفاء العليل (١/٩٧ - ٩٨)، وتفسير ابن كثير (٣/٥٤٠).

(٦) ابن كثير (٣/٥٤٠).

(٧) السعدي (٦٢٢).



دلالة نفي (اختيار غيره على اختياره) على صفات الله تعالى

دل نفي اختيار غيره تعالى على اختياره على: كمال حكمه، وحكمته، وسيادته سبحانه، ونفوذ إرادته، ومشيئته وحده، فهو تعالى (الحكم)، «الحاكم في الدارين، في الدنيا: بالحكم القدري، الذي أثره جميع ما خلق، وذرأ، والحكم الديني، الذي أثره جميع الشرائع، والأوامر، والنواهي.

وفي الآخرة: يحكم بحكمه القدري، والجزائي، ولهذا قال: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٤٥﴾، فيجازي كلاً منكم بعمله، من خير وشر»[1] فلا يخرج أحد عن حكمه، وقضائه في الدنيا، ولا في الآخرة .

إذ أن «الخيرة لله تعالى في أفعاله، وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها، (ولذا) فليس لأحد من خلقه أن يختار عليه»[2] لكمال حكمته جل جلاله.

ودلّ هذا النفي كذلك على «أنَّ الله تعالى وحده هو الذي يخلق (فمن أسمائه الخالق، الخلاق) وأن الله تعالى قادر على كل شيء، وانفراد الله تعالى بالإرادة المطلقة، لا مقيد لإرادته، ولا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه».[3]

---

(١) المصدر السابق (٦٢٢ - ٦٢٣).

(٢) تفسير القرطبي (٢٧١/١).

(٣) تفسير سورة القصص لابن عثيمين (٤٢٦/٦ - ٤٢٧).



٥٣ـ (١٣) نفي (إختيار غيره على اختياره) سبحانه

فهو تعالى (السيد) الذي لا اختيار لأحد على اختياره، لكمال سيادته تعالى، الذي ليس لمخلوق غنية عنه في أمره، وأحواله، في ليله ونهاره، في حضره وسفره، فلو لم يوجدهم لم يوجدوا، ولو لم يبقهم بعد الإيجاد، لم يكن لهم بقاء، فإذا كانت الملائكة، والإنس، والجن خلقاً، وعبيداً له سبحانه وتعالى، وملكاً له، ليس لهم غنى عنه طرفة عين، وكل رغباتهم إليه، وكل حوائجهم إليه[1]، فكيف يستطيع أحد كائناً من كان، أن يختار على غير اختياره سبحانه.

---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (١٥٦/١)، وتحفة المودود (١٠٩).


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

الموضوع	ص
مقدمة العلامة شيعب الأرنؤوط	٥
المقدمة	٧
تضمن الكتاب والسنة على أشرف العلوم	٩
أعظم الأقسام التي اشتملت عليها الكتب السماوية	١٠
أركان عبودية المكلفين	١٠
أنواع التوحيد الذي دعت به الرسل	١٢
إتمام الدين بالنبي الأمين صلى الله عليه وسلم	١٣
عناية الصحابة بمنهج النبوة	١٥
عدم تنازعهم في مسائل التوحيد والإيمان	١٦
بداية الانحراف بعد انقضاء الصحابة	١٨
أعظم أسباب ضلال العباد في هذا الباب	١٩
نصرة سلف الأمة جناب عقيدة الملة	٢٠
دعوتهم إلى الاستمساك بالكتاب والسنة	٢٢
دعوتهم إلى التمسك بالطائفة المنصورة (أهل الحديث)	٢٣
تعريفهم للطائفة المنصورة	٢٦
أهمية الموضوع وسبب اختياره	٢٩
وصية جليلة	٣٦
تمهيد	٤١
معنى النفي	٤١
السلب	٤٣



أصل كلمة التنزيه	٤٣
التسبيح	٤٤
الأدوات الدالة على النفي	٤٦
أولاً: النفي الوارد في حق الله تعالى بـ(ليس)	٤٦
ثانياً: النفي الوارد في حق الله تعالى بـ(لا)	٤٧
ثالثاً: النفي الوارد في حق الله تعالى بـ(لم)	٤٨
رابعاً: النفي الوارد في حق الله تعالى بـ(لن)	٤٨
خامساً: النفي الوارد في حق الله تعالى بـ(ما)	٤٩
الألفاظ الدالة على النفي	٥١
١ - التقديس	٥٢
٢- تعالى	٥٢
٣ - حاش لله	٥٣
٤ - سبحان الله	٥٤
الأسماء الحسنى في الكتاب والسنة المتضمنة للتنزيه والنفي العام	٥٥
١ - السلام	٥٥
٢- القدوس	٥٧
٣ - الواحد	٥٩
٤ - الأحد	٦١
٥ - الصمد	٦٣
٦ - المتكبر	٦٥
٧ - الكبير	٦٨
٨ - المتعال	٦٩

٩ - العلي	٧٠
١٠ - الأعلى	٧٠
١١ - العزيز	٧٤
١٢ - الطيب	٧٦
١٣ - السبوح	٧٧
١٤ - الوتر	٧٩
أنواع صفات ربنا سبحانه	٨١
تمهيد	٨١
شرع مفردات التعريف للصفات	٨٢
تقسيم أهل السنة والجماعة صفات الله سبحانه	٨٥
أقسام صفات رب العالمين	٨٧
تنقسم الصفات عموماً إلى قسمين	٨٧
الأول: صفات كمال	٨٧
الثاني: صفات نقص	٨٧
تقسيم الصفات باعتبار ما تشتمل عليه من المعاني الوجودية والعدمية إلى نوعين	٨٨
النوع الأول: الصفات الثبوتية	٨٨
النوع الثاني: الصفات المنفية	٨٨
تقسيم الصفات باعتبار ملازمتها للذات أو باعتبار تعلقها بمشيئة الله تعالى وعدمه إلى ثلاثة أنواع:	٨٨
الأول: صفات ذاتية	٨٨
الثاني: صفات فعلية	٨٨



الفهرس

الثالث: صفات ذاتية، وصفات فعلية	٨٩
تقسيم الصفات الفعلية من جهة تعلقها بمتعلقها إلى قسمين	٨٩
الأول: صفات فعلية متعدية	٨٩
الثاني: صفات فعلية لازمة	٩٠
الفرق بين الصفات الذاتية والفعلية	٩١
تقسيم الصفات الإلهية من حيث أدلة ثبوتها إلى قسمين	٩٢
النوع الأول: هي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي النقلي، والدليل العقلي الفطري، وتنقسم إلى نوعين	٩٢
الأول: الذاتية	٩٣
الثاني: الفعلية	٩٣
المراد بالصفات الثبوتية	٩٤
المراد بالصفات المنفية	٩٥
ضوابط صفات النفي	٩٦
معاني التنزيه التي جاءت بالكتاب والسنة	٩٧
كلام نفيس للعلامة السعدي	٩٨
الأحوال التي تذكر فيها الصفات المنفية	٩٨
الأول: بيان عموم كمال الله عز وجل	٩٩
الثاني: نفي ما ادعاه الكاذبون في حق الله تعالى من النقائص».	١٠٠
الثالث: دفع توهم النقص في كمال الله تبارك وتعالى	١٠٣
الرابع: ذكرها في سياق تهديد الكافرين	١٠٥
أنواع النقائص المنتفية عن الله جل جلاله	١٠٩
النوع الأول: نفي النقائص المتصلة.	١٠٩

النوع الثاني: نفي النقائص المنفصلة	١٠٩
القواعد الكلية للصفات المنفية	١١٤
تعريف القواعد	١١٥
القاعدة الأولى: (النفي في صفات الله توقيفي)	١١٧
أدلة القاعدة	١١٨
أقوال العلماء	١١٩
القاعدة الثانية: (طريقة الكتاب والسنة في أسماء الله تعالى وصفاته: الإثبات المفصل، والنفي المجمل)	١٢١
أدلة القاعدة	١٢١
النفي قد يأتي مجملاً ومفصلاً في صفات الله تعالى	١٢٤
أقوال العلماء	١٢٦
القاعدة الثالثة: (صفات النفي ليست أصلاً في معرفة الله تعالى)	١٢٨
القاعدة الرابعة: (النفي ليس فيه كمال ولا مدح إلا إذا تضمن إثباتاً)	١٣٠
أدلة القاعدة	١٣١
أقوال العلماء	١٣٢
القاعدة الخامسة: (كل كمال اتصف الله تعالى به، فإن نفيه عنه يستلزم اتصافه بالنقص الذي هو منزه عنه)	١٣٤
أدلة القاعدة	١٣٦
أقوال أهل العلم	١٣٧
القاعدة السادسة: (كل نقص تنزه عنه المخلوق، فالخالق أحق بالتنزه عنه)	١٣٩
احتراز مهم في القاعدة	١٤١
الأدلة على تقرير القاعدة	١٤٣

الفهرس

أقوال أهل العلم	١٤٤
القاعدة السابعة: (إذا كانت الصفة كمالاً في حال، ونقصاً في حال، فما يثبت لله تعالى منها هو حال الكمال المقيد)	١٤٦
أدلة القاعدة	١٤٨
القاعدة الثامنة: (إثبات الصفات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل)	١٥٠
أدلة القاعدة	١٥٢
أقوال العلماء	١٥٣
القاعدة التاسعة: (الصفات معلومة لنا باعتبار المعنى، ومجهولة لنا باعتبار الكيفية)	١٥٦
أدلة القاعدة	١٥٨
أقوال العلماء	١٥٩
الآيات والأحاديث الواردة في الصفات المنفية	١٦٠
القسم الأول: آيات وأحاديث الصفات الواردة على سبيل النفي المجمل	١٦٠
أولاً: نفي اتخاذ الشريك في الألوهية	١٦٠
ثانياً: نفي اتخاذ الشريك في الربوبية	١٦٢
ثالثاً: نفي اتخاذ الشريك في الأسماء والصفات	١٦٣
الآيات والأحاديث التي تتضمن النفي المتصل	١٧٠
١ - نفي (الموت)	١٧١
الأدلة الشرعية	١٧١
المعنى في الشرع	١٧٢
دلالة نفي الموت على الصفات الله تعالى	١٧٥
٢ - نفي (السنة)	١٨٠

الأدلة الشرعية	١٨٠
المعنى في الشرع	١٨٠
دلالة نفي السِّنة على صفات الله تعالى	١٨١
٣ - نفي (النوم)	١٨٣
استحالة النوم	١٨٣
الأدلة الشرعية	١٨٣
المعنى في الشرع	١٨٤
دلالة نفي واستحالة (النوم) على صفات الله تعالى	١٨٥
٤ - نفي (الجهل وخفاء الأمور) عن الله سبحانه	١٨٨
الأدلة الشرعية	١٨٨
المعنى في اللغة	١٨٨
المعنى في الشرع	١٨٩
دلالة نفي (الجهل وخفاء الأمور) على صفات الله تعالى	١٨٩
٥ - نفي (الضلال)	١٩٤
الأدلة الشرعية	١٩٤
المعنى في اللغة	١٩٤
المعنى في الشرع	١٩٥
دلالة نفي (الضلال) على صفات الله تعالى	١٩٦
٦ - نفي (التعب والإعياء) عن الله سبحانه	١٩٨
الأدلة الشرعية	١٩٨
المعنى في اللغة	١٩٨
المعنى في الشرع	١٩٩



الفهرس

دلالة نفي (التعب والإعياء) على صفات الله تعالى	٢٠١
٧ - نفي (الإثقال) عن الله سبحانه	٢٠٤
المعنى في اللغة	٢٠٤
المعنى في الشرع	٢٠٥
دلالة نفي (الإثقال) على صفات الله سبحانه	٢٠٥
٨ - نفي (العبث، واللعب، الباطل) عن الله سبحانه	٢٠٨
الأدلة الشرعية	٢٠٨
المعنى في اللغة	٢٠٩
المعنى في الشرع	٢٠٩
دلالة نفي (العبث واللعب، والباطل) على صفات الله تعالى	٢١٣
٩ - نفي (النسيان) عن الله سبحانه	٢١٧
الأدلة الشرعية	٢١٧
المعنى في اللغة	٢١٨
المعنى في الشرع	٢١٨
دلالة نفي (النسيان) على صفات الله تعالى	٢٢٢
١٠ - نفي (العجز) عن الله سبحانه	٢٢٣
الأدلة الشرعية	٢٢٣
المعنى في اللغة	٢٢٤
المعنى في الشرع	٢٢٤
دلالة نفي (العجز) على صفات الله تعالى	٢٢٦
١١ - نفي (الفقر) عن الله سبحانه	٢٢٩
الأدلة الشرعية	٢٢٩

المعنى في اللغة	٢٣٠
المعنى في الشرع	٢٣٠
دلالة نفي (الفقر) على صفات الله تعالى	٢٣٢
١٢ - نفي (الخوف من عواقب الأمور) عن الله سبحانه	٢٣٤
الأدلة الشرعية	٢٣٤
المعنى في اللغة	٢٣٤
المعنى في الشرع	٢٣٤
دلالة نفي (الخوف) على صفات الله	٢٣٦
١٣ - نفي (إخلاف الوعد) عن الله سبحانه	٢٣٨
١٤ - نفي (العهد) عن الله سبحانه	٢٣٨
١٥ - نفي (تبديل القول) عن الله سبحانه	٢٣٨
الأدلة الشرعية	٢٣٨
المعنى في اللغة	٢٤١
المعنى في الشرع	٢٤١
دلالة نفي (الوعد، والعهد، وتبديل القول) على صفات الله تعالى	٢٤٤
١٦ - نفي (الظلم) عن الله سبحانه	٢٤٧
الأدلة الشرعية	٢٤٧
المعنى في اللغة	٢٤٨
المعنى في الشرع	٢٤٨
دلالة نفي (الظلم) على صفات الله تعالى	٢٥٣
١٧ - نفي (الغفلة) عن الله سبحانه	٢٥٩
الأدلة الشرعية	٢٥٩



المعنى في اللغة	٢٥٩
المعنى في الشرع	٢٦٠
دلالة نفي (الغفلة) على صفات الله تعالى	٢٦٢
١٨ - نفي (البخل، والغلول) عن الله سبحانه	٢٦٤
الأدلة الشرعية	٢٦٤
المعنى في اللغة	٢٦٤
المعنى في الشرع	٢٦٥
دلالة نفي (البخل، والغلول) على صفات الله تعالى	٢٦٧
١٩ - نفي (الرزق) عن الله تعالى	٢٦٩
الأدلة الشرعية	٢٦٩
المعنى في اللغة	٢٦٩
المعنى في الشرع	٢٦٩
دلالة نفي (الرزق) على صفات الله تعالى	٢٧١
٢٠ - نفي (الاستحياء من الحق) عن الله سبحانه	٢٧٣
الأدلة الشرعية	٢٧٣
المعنى في اللغة	٢٧٣
المعنى في الشرع	٢٧٤
دلالة نفي (الاستحياء من الحق) على صفات الله تعالى	٢٧٦
٢١ - نفي (رؤية الله تعالى في الدنيا بالأبصار) سبحانه	٢٧٨
الأدلة الشرعية	٢٧٨
المعنى في اللغة	٢٧٨
المعنى في الشرع	٢٧٩

دلالة نفي (رؤية الله تعالى في الدنيا بالأبصار) على صفات الله تعالى	٢٨٠
٢٢ - نفي (أن يُظْلم) سبحانه	٢٨١
الأدلة الشرعية	٢٨١
المعنى في اللغة	٢٨١
المعنى في الشرع	٢٨١
دلالة نفي (أن يُظلم) على صفات الله تعالى	٢٨٣
٢٣ - نفي (تضييع شيء من الأشياء) عن الله سبحانه	٢٨٥
الأدلة الشرعية	٢٨٥
المعنى في اللغة	٢٨٦
المعنى في الشرع	٢٨٧
دلالة نفي (تضييع الله شيء من الأشياء) على صفات الله تعالى	٢٨٨
٢٤ - نفي (الإطعام) عن الله سبحانه	٢٩٢
الأدلة الشرعية	٢٩٢
المعنى في اللغة	٢٩٢
المعنى في الشرع	٢٩٢
دلالة نفي (الإطعام) على صفات الله تعالى	٢٩٤
٢٥ - نفي (إدراك الله له شيء بالأبصار في الآخرة) سبحانه	٢٩٦
الأدلة الشرعية	٢٩٦
المعنى في اللغة	٢٩٦
المعنى في الشرع	٢٩٧
دلالة نفي (الإدراك) على صفات الله تعالى	٢٩٨
٢٦ - نفي (الضر) عن الله سبحانه	٣٠٠



الفهرس

الأدلة الشرعية	٣٠٠
المعنى في اللغة	٣٠٠
المعنى في الشرع	٣٠١
دلالة نفي (الضر) على صفات الله تعالى	٣٠٢
الفرق بين الضر والأذى	٣٠٣
٢٧ - نفي (المبالاة) عن الله سبحانه	٣٠٥
الأدلة الشرعية	٢٠٥
المعنى في اللغة	٢٠٦
المعنى في الشرع	٢٠٦
دلالة نفي (المبالاة) على صفات الله تعالى	٢٠٨
٢٨ - نفي (امتناع عن الله فعل ما أراد) سبحانه	٣١٠
الأدلة الشرعية	٣١٠
المعنى في اللغة	٣١١
المعنى في الشرع	٣١٢
دلالة نفي (الامتناع عن فعل ما أراد) على صفات الله تعالى	٣١٥
٢٩ - نفي (النفع) عن الله سبحانه	٣١٧
الأدلة الشرعية	٢١٧
المعنى في اللغة	٢١٧
المعنى في الشرع	٢١٧
دلالة نفي (النفع) على صفات الله تعالى	٣١٩
٣٠ - نفي (الكذب) عن الله سبحانه	٣٢١
الأدلة الشرعية	٣٢١

المعنى في اللغة	٣٢١
المعنى في الشرع	٣٢١
دلالة نفي (الكذب) على صفات الله تعالى	٣٢٢
٣١ - نفي (الصمم) عن الله سبحانه	٣٢٤
٣٢ - نفي (الغيبة) عن الله سبحانه	٣٢٤
الأدلة الشرعية	٣٢٤
المعنى في اللغة	٣٢٤
المعنى في الشرع	٣٢٥
دلالة نفي (الصمم والغيبة) على صفات الله تعالى	٣٢٦
٣٣ - نفي (العور) عن الله سبحانه	٣٢٩
الأدلة الشرعية	٣٢٩
المعنى في اللغة	٣٢٩
المعنى في الشرع	٣٢٩
دلالة نفي (العور) على صفات الله تعالى	٣٣٠
٣٤ - نفي (أن يكون لله مكره) سبحانه	٣٣٢
الأدلة الشرعية	٣٣٢
المعنى في اللغة	٣٣٢
المعنى في الشرع	٣٣٣
فائدة	٣٣٦
دلالة نفي (الإكراه) على صفات الله تعالى	٣٣٦
٣٥ - نفي (الشر عن الله) سبحانه	٣٣٩
الأدلة الشرعية	٣٣٩



الفهرس

المعنى في اللغة	٣٣٩
المعنى في الشرع	٣٤٠
دلالة نفي (الشر عن الله) على صفاته تعالى	٣٤٦
٣٦، ٣٧ - نفي (تبديل أو تحويل سنة الله) سبحانه	٣٥١
الأدلة الشرعية	٣٥١
المعنى في اللغة	٣٥١
المعنى في الشرع	٣٥٢
دلالة نفي (تبديل أو تحويل سنة الله) على صفاته تعالى	٣٥٥
٣٨ - نفي (الإحاطة بالله علماً) سبحانه	٣٥٦
الأدلة الشرعية	٣٥٦
المعنى في اللغة	٣٥٦
المعنى في الشرع	٣٥٧
دلالة نفي (الإحاطة بالله علماً) على صفاته تعالى	٣٥٨
٣٩ - نفي (أن يتعاظم على الله شيء) سبحانه	٣٦٠
الأدلة الشرعية	٣٦٠
المعنى في اللغة	٣٦٠
المعنى في الشرع	٣٦١
دلالة نفي (أن يتعاظم على الله شيء) على صفاته تعالى	٣٦٣
٤٠ - نفي (الخيانة) عن الله سبحانه	٣٦٥
الأدلة الشرعية	٣٦٥
المعنى في اللغة	٣٦٥
المعنى في الشرع	٣٦٥

دلالة نفي (الخيانة) على صفات الله تعالى	٣٦٦
الآيات والأحاديث التي تتضمن النفي المنفصل	٣٦٩
٤١ - (١) نفي (أن يكون لله والد) سبحانه	٣٧٠
الأدلة الشرعية	٣٧٠
المعنى في اللغة	٣٧٠
المعنى في الشرع	٣٧١
دلالة نفي (أن يكون لله تعالى والد) على صفاته تعالى	٣٧٣
٤٢ - (٢) نفي (اتخاذ الصاحبة) عن الله سبحانه	٣٧٥
الأدلة الشرعية	٣٧٥
المعنى في اللغة	٣٧٦
المعنى في الشرع	٣٧٦
دلالة نفي (اتخاذ الصاحبة) على صفات الله تعالى	٣٧٨
٤٣ - (٣) نفي (اتخاذ الولد) على صفات الله تعالى	٣٨٠
الأدلة الشرعية	٣٨٠
المعنى في اللغة	٣٨٢
المعنى في الشرع	٣٨٢
دلالة نفي (اتخاذ الولد) على صفات الله تعالى	٣٨٤
٤٤ - (٤) نفي (الظهير) عن الله سبحانه	٣٨٧
الأدلة الشرعية	٣٨٧
المعنى في اللغة	٣٨٧
المعنى في الشرع	٣٨٨
دلالة نفي (الظهير) على صفات الله تعالى	٣٩٠



الفهرس

٤٥ - (٥) نفي (أن يتخذ الله أحداً ولياً من الذل) سبحانه	٣٩٢
الأدلة الشرعية	٣٩٢
المعنى في اللغة	٣٩٢
المعنى في الشرع	٢٩٣
دلالة نفي (اتخاذ الولي من الذل) على صفات الله تعالى	٣٩٦
٤٦ - (٦) نفي (الإجارة) على الله سبحانه	٣٩٩
الأدلة الشرعية	٣٩٩
المعنى في اللغة	٣٩٩
المعنى في الشرع	٤٠٠
دلالة نفي (الإجارة) على صفات الله تعالى	٤٠١
٤٧ - (٧) نفي (سؤال الله عما يفعل) سبحانه	٤٠٣
الأدلة الشرعية	٤٠٣
المعنى في اللغة	١٠٣
المعنى في الشرع	٤٠٣
دلالة نفي (السؤال عما يفعل) على صفات الله تعالى	٤٠٥
٤٨ - (٨) نفي (القول على الله بلا علم) سبحانه	٤٠٧
الأدلة الشرعية	٤٠٧
المعنى في الشرع	٤٠٧
دلالة نفي (القول على الله بلا علم) على صفات الله تعالى	٤٠٨
٤٩ - (٩) نفي (الشفاعة إلا بإذن الله) سبحانه	٤٠٩
الأدلة الشرعية	٤٠٩
المعنى في اللغة	٤٠٩

المعنى في الشرع	٤١٠
دلالة نفي (الشفاعة إلا بإذن الله) على صفاته تعالى	٤١٢
٥٠ - نفي (التعقيب على حكم الله) سبحانه	٤١٤
الأدلة الشرعية	٤١٤
المعنى في اللغة	٤١٤
المعنى في الشرع	٤١٥
دلالة نفي (التعقيب على حكم الله) على صفاته تعالى	٤١٦
٥١ - (١١) نفي (أن يكون للخلق ولي من دون الله) سبحانه	٤١٧
الأدلة الشرعية	٤١٧
المعنى في اللغة	٤١٧
المعنى في الشرع	٤١٧
دلالة نفي (أن يكون للخلق ولي من دون الله) على صفات الله تعالى	٤١٨
٥٢ - (١٢) نفي (أن يظن بالله تعالى ظن السوء) سبحانه	٤١٩
الأدلة الشرعية	٤١٩
المعنى في اللغة	٤١٩
المعنى في الشرع	٤٢٠
دلالة نفي (ظن السوء) على صفات الله تعالى	٤٢٢
٥٣ - (١٣) نفي (اختيار غيره على اختياره) سبحانه	٤٢٥
الأدلة الشرعية	٤٢٥
المعنى في اللغة	٤٢٥
المعنى في الشرع	٤٢٥
دلالة نفي (اختيار غيره على اختياره) على صفات الله تعالى	٤٢٨


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com